

بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته

دكتور

فرج محمد الوصيف

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

بديع الزمان سميح النورسي

عصره ودعوته

د. فرج محمد الوصيف

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٩٦/٥١٩٦

I.S.B.N. : 977 - 19 - 0755 - 7

دار نور الإسلام بالمنصورة للنشر والتوزيع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد :

فإن الدعوة الإسلامية من أجل الأعمال وأفضلها ، بها ينال المنتسب إليها
الشرف والتكريم من الله ذي الفضل والإنعام ، يقول تعالى : (ومن أحسن قولا ممن
دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)^(١) ، ويلحق بركب قافلة الدعاة
الذين هم ورثة النبي (ﷺ) في التبليغ ، والأمناء على الدعوة من بعده إلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها ، فهم أتباعه السائرون على الطريق المستقيم (قل هذه سبيلي
أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)^(٢) .

ومن هؤلاء الدعاة الذين كنا نسمع عنهم من أساتذتنا العلماء الأفاضل ،
الداعية المفكر بديع الزمان سعيد النورسي الذي أشار شجوني للتعرف على عصره
والبحت عن دعوته لعدة أسباب ، منها :

أولا : قلة الكتابة عنه ، خاصة في الأبحاث العلمية من الماجستير والدكتوراه
وأبحاث الترقية وغيرها التي تكتب في هذا المجال ، والتي يفترض فيها أنها
مكتوبة بدقة وبحيدة علمية ... وترتب على ذلك عدم ذبوع اسمه بين طلاب
العلم والمعرفة ولا سيما الدعاة منهم .

ثانيا : أهمية الفترة التي ظهر فيها بديع الزمان سعيد النورسي ، إذ كانت مقترق
الطرق بين الثقافات المختلفة والدعوات الإصلاحية والهدامة .

ثالثا : أن النورسي عايش فترة سادت فيها الفلسفة المادية ، وانتشرت فيها الشيوعية
انتشار النار في الهشيم .. فترة ادلهمت فيها الخطوب وانتشر الفساد في
المجتمع التركي ، فقيض الله تعالى للأمة هذا العالم في هذه الظروف
العصيبة ، فقام بدعوته ينفخ روح الأمل بالاسلام في إنسان عصره كي يحيا
بعد موات ويستيقظ بعد غفلة .

(١) فصلت : (٣٣) .

(٢) يوسف : (١٠٨) .

رابعاً: أن أيامه شهدت خفوت شمس الحرف ، إسلاميه ، واقتسام ما يسمى بتركة
أرجل المريض بين الدول الصليبية الحديثة ، وقيام الجمهورية العلمانية
على أنقاض الدولة العثمانية الكبرى ، مما ترتب عليه تجزئة العالم
الإسلامي جغرافياً وشرزمته سياسياً وفكرياً ، صار بموجبه المسلمون أيتاماً
على موائد اللثام يفعل بهم أعداؤهم الأفاعيل .. وتعين بناء على ذلك
التعرف على دور الدعاة والمفكرين المسلمين في هذه الظروف العصيبة .
لهذا كان اختيار مثل الداعية سعيد النورسي دليلاً للتعرف على هذا الدور .

خامساً : أن الحديث عن المصلحين المجددين ولا سيما المحدثين يبعث الحياة في
الأمّة ، ويوقظها من سباتها لتأخذ بالزمام مرة أخرى ، وتتبوأ مكانتها في
العالم تحت راية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فتسعد بها البشرية
جمعاء بدلاً من الشقاء الذي تنقلب في ناره في كل مكان رغم التقدم المادي
الذي تعيش فيه .

ويديع الزمان سعيد النورسي داعية ومصلح مجدد في عصره بلا ريب -
كما سيتبين للقارئ على صفحات هذا الكتاب - ولسائل أن يسأل : كيف يكون
النورسي مجدداً مع وجود كثير من المجددين المعاصرين له ؟ .

أقول : إن الحديث الذي رواه أبو داود : " إن الله يبعث لهذه الأمة على
رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها . " ^(١) لا يدل على أن المجدد في العصر
الواحد يكون واحداً ، لأن لفظة "من" في الحديث يدل على الجمع كما يدل على
المفرد .

قال صاحب عون المعبود : " واعلم أنه لا يلزم أن يكون عنى رأس كل مائة

(١) السنن ٤/١٠٦ - ١٠٧ كتاب الملاحم باب ما يتكرر في قرن المائة . دار الجيل . بيروت . ١٤٠٨ هـ -
١٩٨٨ م .

قال السيوطي في مرقاة السعود : " اتفق الحفاظ على تصحيحه ، منهم الحاكم في المستدرک
وتبیهقی فی المدخل . وممن نص على صحته من المتأخرين : الحافظ ابن حجر "
(عون المعبود شرح لسنن أبي داود . أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ٦/٢٦٧ دار
الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .

سنة مجدد واحد فقط ، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد . " (١)

وعلى هذا فمن الممكن أن يأتي في عصر واحد أكثر من مجدد ، خاصة في هذا العصر الذي سقط فيه المسلمون سقطة كبيرة ، وجابتهم فلسفة مادية ملحدة أحدثت ببلادهم وعقولهم ودينهم ما هو معلوم للجميع .

فكان من رحمة الله تعالى أن يعث مجددين كثيرين في أماكن شتى من العالم الإسلامي لتجديد ما اندرس فيها من الدين الحنيف .

لهذه الأسباب ولغيرها اخترت الكتابة عن دعوة هذه الشخصية العظيمة وعصرها ، وجعلت عنوان الكتاب : " بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته " .

فتكلمت عن الأحوال السياسية والخلقية والاجتماعية والفكرية التي سادت عصره ، وموقفه من كل ذلك . كما تكلمت عن دعوته التي جهر بها بجوانبها المختلفة من حيث الأهداف والوسائل والأساليب والمناهج ، وختمت ذلك بفصل يتعلق بدعوته بعد وفاته وما آل إليه الأمر على يد تلامذته وأتباعه .

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل صاحبه وأن يجنبه الإفراط والتفريط في الحكم ، وأن يغفر له زلاته ، ويجعله أهلاً للكتابة عن الدعاة العاملين ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

د/ فرج محمد إبراهيم الوصيف
منية النصر - دقهلية

الباب الأول

لمحة عن عصر النورسي

- 📖 الفصل الأول : الأحوال السياسية
- 📖 الفصل الثاني : الأحوال الخلقية والاجتماعية
- 📖 الفصل الثالث : الأحوال الفكرية

مدخل :

للأوضاع المحلية والعالمية تأثيرها الكبير في حياة الإنسان أى إنسان بها يتأثر ويؤثر في المحيط انذى حوله .

وإذا كان هذا أمراً بدهياً بالنسبة للإنسان العادى ، فما بالك بخاصة الناس من الدعاة والمفكرين ؟ .

لاشك أن الأوضاع التى عاصرها داعيتنا سعيد النورسى كان لها تأثيرها على حياته وكانت المحرك له للنهوض فى الناس بدعوته . كيف لا وقد شهد أخطر حدث فى تاريخ المسلمين هو اضمحلال الدولة العثمانية وإنهاء الخلافة الإسلامية رمز قوة المسلمين ووحدهم والحارس الأمين لهويتهم وعقيدتهم، وقيام الجمهورية التركية العلمانية التى حملت معها السم الزعاف الذى تجرعتة الأمة الإسلامية ، فأصابها التشردم والدل والحرمان وتمكن شرار أهل الأرض منهم والنيل من عقيدتهم .

ولهذا فإن الحديث فى هذا الباب يتناول بعون الله تعالى الفصول التالية :

📖 الفصل الأول : الأحوال السياسية .

📖 الفصل الثانى : الأحوال الاجتماعية .

📖 الفصل الثالث : الأحوال الفكرية .

☐ وإنيك أيها القارئ الكريم الحديث عنها على هذا الترتيب :

الأحوال السياسية

عاصر سعيد النورسي - رحمه الله - فى حياته التى ربت على الثمانين سنة (١٨٧٣-١٩٦٠م) مرحلتين متغايرتين كل التغاير :

✳ المرحلة الأولى : الخلافة العثمانية .

✳ المرحلة الثانية : الجمهورية التركية العلمانية .

وكان لكل مرحلة منهما طابعها الخاص بها ومعالمها البارزة التى تميزها عن الأخرى . . وإليك لمحة عنهما .

المرحلة الأولى : الخلافة العثمانية

ولد سعيد النورسي فى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦م) واشتد ساعده فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٩م) الذى ورث تركة متقلبة بالهموم والأعباء الجسيمة نظراً لتردى الأوضاع الداخلية والخارجية فى الدولة .

فقد كانت الدولة على عهد هذا السلطان - رحمه الله تعالى - تضم بقعة من البلقان ، وشبه جزيرة الأناضول وعدداً من الجزر اليونانية (تاسوس وكريت ورودس) ، وسوريا (ومن ضمنها لبنان وفلسطين والأردن) والعراق ، والحجاز والساحل الليبى فى شمال إفريقيا .

أما فى المناطق الأخرى فقد كان حكم السلطان ضعيفاً أو اسمياً لا وجود له وأما اليمن ودأخل صحراء العرب فلم يخضعوا له تماماً . وكذلك كانت السيادة العثمانية على مصر وقبرص اسمية وإن كان البلدان يدفعان للدولة الأم إتاوة سنوية . " وفيما يتعلق بتونس فقد حكمها الفرنسيون منذ عام (١٨٨١م) ^(١) .

(١) الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا . مصطفى محمد ص ٤٤ الأولى. ألمانيا الغربية (١٩٨٤هـ ١٤٠٤م).

يتحدث السلطان عبد الحميد عن ظروف الدولة عند توليته الحكم فيقول في

منكراته:

كيف كانت الظروف وقت توليتي العرش؟ أحاول أن أتذكر . نعم . تمرد

لبوسنة والهرسك ، هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود.

□ الصرب تعلن الحرب بقوات منظمة وخطرة .

□ من هذه البادرة انفجرت الحرب الروسية الفظيعة .

□ بالطبع ليست من نتائج عهد سلطنتي كل هذه الوقائع الداخلية والخارجية.

□ توليت السلطنة بعد خلع سلطانين متعاقبين^(١) ، وأزمة وزارية استمرت (٩٣)

يوماً ، وفراغ في السلطنة . والأمة كانت تزعم أنها وصلت إلى رشدها^(٢) .

شجعت الأوضاع المنهارة روسيا على التحرك لتنفيذ خطة القضاء على

الرجل المريض فاندفعت جيوشها حتى أصبحت على بعد أميال قليلة من استنبول

وبدا فجأة أن استيلاء روسيا على الممرات المائية واستعادة مسجد "أيا صوفياً"

أمران قريبان .

بيد أن الدول الأخرى كى تمنع روسيا من حيازة مثل هذه الأراضي المهمة

عقدت مؤتمراً في استنبول حضرته كل دولة مهتمة (بالمسألة الشرقية) ما عدا

العثمانيين أنفسهم فإنهم لم يدعوا إليه ، وحين انفض المؤتمر كان المؤتمرون قد

تنازلوا لروسيا القيصرية عن معظم ما طلبته^(٣) حسب معاهدة (أيا ستقائوس) في

(٣ مارس ١٩٧٨ م)^(٤) .

كان المؤتمر صفقة لمدحت باشا وعملاء الإنجليز الآخرين ممن كانوا

يحسنون الظن بأسيادهم الأوربيين ... وكانت الروح النصليبية المعادية للإسلام

تجيم على المؤتمرين ، وعلى طبيعة القرارات التي اتخذوها .

(١) هما عمه السلطان عبد العزيز ، وأخوه السلطان مراد الخامس الذي ولي العرش لمدة ثلاثة أشهر

(٢) منكرات السلطان عبد الحميد ص ٢٣ ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨ م

(٣) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا . مصطفى محمد ص ٤٥ .

(٤) راجع تاريخ الدولة العلية العثمانية . محمد فريد بك . ص ٣٦٩ وما بعدها . دار الجيل . بيروت . عن المطبعة الأميرية بالقاهرة .

واستطاع السلطان عبد الحميد الذي طرد منحت باشا من رئاسة الوزراء وبالدهاء الذي يتمتع به أن يقرب من الإنجليز ويثير فيهم المخاوف من التوسع الروسي ، ودعا الأسطول البريطاني إلى البوسفور ... وعندئذ اضطرت الدول إلى عقد مؤتمر برلين في يوليو (١٨٧٨م) .

كان المؤتمر عملية إنقاذ لم ترجع لعبد الحميد الكثير من أراضيه . وكان السلطان قد تنازل لبريطانيا عن قبرص كي يكسب تأييدها له . أما بريطانيا فقد تنازلت سراً لفرنسا عن تونس . وأما النمسا فقد وضعت البوسنة والهرسك تحت حمايتها ، ومنحت رومانيا الاستقلال التام ، بينما منحت بلغاريا استقلالاً جزئياً .

وعندما احتلت بريطانيا مصر ... اضطر السلطان إلى التحول نحو ألمانيا التي أصبحت في هذه الأثناء قوة أوربية كبيرة يحسب لها حساب (١) .

يشرح السلطان نفسه خطته التي تصرف على أساسها تجاه هذه الدول فيقول :
" عندما توليت العرش لم أكن أعلم بهذه الحقائق (٢) ، وإنما ابتدأت معرفتها واحدة بعد واحدة بالتجربة وأثناء الحرب الروسية ، كما ظهر أمر آخر أيضاً هو : أننا نقف بمفردنا في العالم ، لنا أعداء ، وليس لنا صديق ... يمكن للصليب أن يتحد في كل وقت ، لكن الهلال دائماً بمفرده ، كل ينتظر النفع من الدولة العثمانية ، ويظهر لنا الصداقة ، ولكن في الوقت الذي لا يجد فيه ما يأمل ، سرعان ما يعاديهما ، ووضعت بالتالي سياستي على هذا الأساس : التوجه للعدو بسلاح العدو " (٣) .

وهذا يرينا كيف أن السلطان عبد الحميد كان يدرك أن الحرب بينه وبين الغرب والشرق ، هي حرب صليبية بكل معنى الكلمة ، وأن الدول الصليبية كانت تتآمر لضرب الدولة العثمانية باعتبارها دولة الإسلام .

(١) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص ٥٤-٤٦ .

(٢) أي ببعض الفتن الداخلية فيما يتعلق بعمه السلطان عبد العزيز والجيش .

(٣) المذكرات ص ٦٤ .

ويقول : " الشيء الذي نفت انتباهي بادئ ذي بدء في السياسة الخارجية وقت اعتلاني العرش كان تأسيس الاتحاد الألماني

هذه الدولة التي ولدت وأسرت في التوسع في عدة أعوام ، أفسدت توازن القوى في أوروبا ، وأدت بالدول الأوروبية كلها إلى ضرورة إحداث تغيير كبير في سياستها . خففت فرنسا - المتنافسة مع إنجلترا في ذلك الوقت - من حدة تنافسها ، وإن لم تتركه ، وبدأت في البحث عن طرق للتفاهم مع الروس لتأمين أمنها . ولهذا السبب أيضاً بدأت تراجع من جديد السياسة التي تنتهجها تجاهنا وبسبب هذا الخوف ، بدأت في التأييد المتصل للروس في خلافاتهم مع الدولة العثمانية . وبدأ الروس يعملون حساباً للألمان ، جيرانهم الأقوياء في الغرب ، وأقامت النمسا من جديد سياسة التداخل بين العدو والصديق . ولكن إنجلترا وهي تعتمد على جزرها وعلى أسطولها القوي ، لم تكن على وفاق كبير مع ألمانيا بسمارك بل إنها أفادت من نزاع الدول الأوروبية الأخرى مع بعضها البعض . ولتبعث تأمين مصالح جديدة لها في أراضي الدولة العثمانية في البحر الأبيض وفي آسيا وسلك " جلاستون " طريق إقامة دولة غازية ، بسياسة - اعمل ما تستطيع عمله ، واكسب ما تستطيع كسبه " (١) .

ثم ذكر تنافس روسيا وإنجلترا على آسيا الوسطى وعلى الصين واستيلاء الثانية على بعض بلاد آسيا الوسطى واستيلاء الأولى على الهند ، ثم قال : " وولدت في أمريكا دولة فنية قوية ، وكانت أسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها . وانتظم يهود العالم ، وسعوا - عن طريق المحافل الماسونية - في سبيل (الأرض الموعودة) . وجاءوا إلى بعد فترة ، وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة ، وبالطبع رفضت .

ولم أكن أستطيع الوقوف أمام هذه القوى بمفردي ... طاقاتها لم تكن تكفي .. الشيء الوحيد الذي كنت أستطيع عمله هو : أن أفيد من التنافس بين هذه القوى .. هذه الإفادة كانت عبارة عن توزيع الأمل في لقمة كبيرة بعض الشيء

(١) المنكرات ص ٦٤-٦٥ .

على كل واحدة منها ، والإيقاع بين كل واحدة وأخرى . (١)

إلى أن يقول : " أصابت إنجلترا الشكوك من حملة الاستعدادات العظيمة التي تبذلها ألمانيا في أسطولها . وإنه من الخطر العظيم وجود ألمانيا قوية في البحار المفتوحة . في هذه الأيام كان الإنجليز والروس قد أعدوا اقتراح تقسيم الإمبراطورية العثمانية . كانوا يريدون ضرب عصفورين بحجر :

منع الروس من تقدمهم في آسيا ، وأيضاً التحالف معاً ضد ألمانيا .. لم يرغب الإنجليز في أي وقت من الأوقات في نزول الروس في البحر الأبيض لكنهم رأوا الأخذ بهذه العملية الفدائية ، لأن منافعهم في آسيا كبيرة ومخاوفهم من ألمانيا تتضخم .

رفض الروس هذا الاقتراح السري الإنجليزي لأنى كنت من ناحية أقرب من القيصرية ، ومن ناحية أخرى أقرب من الألمان . ومعنى اقترابي من الألمان : اكتساب الألمان فرصة الحركة في مساحة تمتد حتى الهند .. وهذا لا يرضى الروس ولا يرضى الإنجليز ، وجعلهما معاً يقيمون علاقات ودية معي . لم يكن من نيتي التحالف مع الألمان ، ولكن الظهور بمظهر المتحالف سيجعل اتفاقى مع دولة تسود البحار العالية غالباً . وكان على إنجلترا - لكى تظمن على أمنها في الهند - أن تسلك أحد طريقين : الاستيلاء على أراضي الدولة العثمانية ، أو الاتفاق معها . وهى لم تكن تستطيع الاستيلاء على أراضي الدولة العثمانية ، فالدنيا كانت ستقف على قدم وساق . ونظراً لرفض الروس اقتراحهم في التقسيم ، كان لابد لهؤلاء الإنجليز أن يتفقوا معي ... ولهذا السبب أيضاً سلكت إنجلترا طريقين : التقارب معنا في السياسة ، واستخدام المحافل الماسونية وسيلة للاستيلاء على الحكم من داخلنا لصالحهم هم . " (٢)

تلك كانت الأوضاع الخارجية للدولة العثمانية جملة على الصعيد السياسى إبان حكم السلطان عبد الحميد الثانى : التأمير - التربص - ابتلاع أجزاء منها ، وفى المقابل بذل السلطان كل ما فى وسعه للحيلولة دون وصول الصليبيين إلى كل أغراضهم ، أما فى الداخل فقد نخر السوس المتمثل فى المحافل الماسونية

(١) نفسه ص ٦٥ .

(٢) المنكرات ص ٦٨-٩٦ .

والعملاء واليهود ونصارى الولايات العثمانية فى عظام الدولة حتى أنهك قواها
ووصلت إلى ما وصلت إليه فى نهاية المطاف . وكان لرجال تركيا الفتاة أو الاتحاد
والترقى القدر المعلى فى هذه المسألة .

جمعية الاتحاد والترقى :

كانت جمعية الاتحاد والترقى إحدى الركائز التى اعتمد عليها الغرب فى
الداخل ووصل عن طريقها إلى مأربه .

وقد نشأت هذه الجمعية فى أول أيامها فى "سالونيك" ، عام (١٨٨٨ م)
وكان شعارها " الاتحاد ، المساواة ، الأخوة " ، وكان جمهرة أعضائها من الموظفين
والضباط ، كما كان عدد اليهود والماسونيين بها كبيراً ، وهم الذين تولوا طريقة
تكوينها ، حيث جعلوها خلايا خماسية ، وكل عضو يستطيع أن يلحق بها خمسة
أعضاء جدد لا يعرف بعضهم بعضاً ، وما ثبتت خلايا هذه الجمعية أن انتشرت فى
المراكز المهمة بمقدونيا ، وفى المدن الكبرى من الدولة ولكنها كانت كلها خاضعة
للجنة المركزية فى " سالونيك " .

وقد نجحت الجمعية التى نشأت فى أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثانى
بوسائلها المختلفة فى إلهاب عواطف الجماهير ، واستغلال الظروف لصالحها حتى
أمكنها ضم الجيش الثالث كله إلى صفوفها فى ليلة (٢٣ يوليو ١٩٠٨ م) ومن ثم
أرسلت إلى السلطان عبد الحميد تطالبه بإعلان الدستور فى ظرف (٢٤ ساعة)
وإلا تحرك الجيشان الثانى والثالث لاحتلال العاصمة . وصدر الدستور فى الموعد
المحدد ، وتحت الانتخابات ، وفى ديسمبر من نفس العام افتتح البرلمان ، وبهذا
وصلت جمعية الاتحاد والترقى إلى الحكم وشرعت فى تنفيذ مبادئها وبرامجها
الهدامة .^(١)

(١) تفكر الدينى والأبى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى . د / سمير رجب محمد
ص ٢٠-٢١ . سوزلر للنشر بالقاهرة الثانية . ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

حادثة ١٩٠٩م وإسقاط السلطان عبد الحميد :

حدثت هذه الحركة نتيجة تشابك عدة أسباب منها :

(أ) إحساس الشعب ببعدها عن الترقى عن الدين ، وعلاقتهم الوطيدة بالماسونيين واليهود .

(ب) إشاعة جمعية الاتحاد والترقى جواً من الإرهاب فى البلد ، إذ اغتيل " حسن فهمى بك " صاحب جريدة (سربستى) الذى كان يهاجم جمعية الاتحاد والترقى بمقالات عنيفة ، ولم يعثر على قاتلة ، كما اغتيل " إسماعيل ماهر باشا " .

(ج) ما أشيع بين الناس من أن جمعية الاتحاد والترقى سوف تسرح جميع الضباط الذين ترقوا عن طريق الخدمة الطويلة فى الجيش ، ولن يبقى فى الجيش سوى المتخرجين من الكلية العسكرية .

(د) ما أشيع بين الناس من أن جمعية الاتحاد والترقى قد باعت (البوسنة) و (الهرسك) وجزيرة (كريت) من البلقان .

فى مثل هذا الجو المتوتر والمشحون ضد جمعية الاتحاد والترقى وقعت هذه الحادثة ، إذ نشب عصيان بين أفراد الطابور العسكرى الذى كان قد أرسل من قبل الاتحاديين من مدينة (سلانيك) إلى استنبول لحماية المشروطة وكان مقره فى " طاش قشلة " فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم فى القشلة^(١) واجتمعوا فى منتصف ليلة (١٣) إبريل ١٩٠٩) فى ساحة " السلطان أحمد " حيث انضم إليهم بعض لجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً دام أحد عشر يوماً ، راح ضحيته بعض الأشخاص ... وساد جو من الهرج والمرج وإطلاق الرصاص عبثاً ، وكان لجنود يهتفون :

ريد الشريعة . نريد الشريعة .

انتهت هذه الحادثة بوصول جيش الحركة الذى وجهه الاتحاديون من مدينة سلانيك - مركز قوتهم - بقيادة " محمود شوكت باشا " لقمع العصيان وإعادة سلطة

(١) وهى التكنة العسكرية .

الاتحاديين ، فسيطر على الوضع ، وعزل السلطان عبد الحميد بعد أيام (٢٧ إبريل ١٩٠٩ م) كما أعلنت الأحكام العرفية ، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة ، وكان سعيد النورسي من بين الذين قدموا إلى أعواد المشائق رغم أن دوره كان تهدئة ثورة الجنود الثائرين ، ودار بينه وبين الحاكم العسكري " خورشيد باشا " حوار مثير سيرد في حينه إن شاء الله تعالى .^(١)

لقد كان من وراء أعضاء هذه الجمعية القوى الأجنبية التي احتضنتهم وأمدتهم بما احتاجوا إليه حتى وصلوا إلى هذا الحد من الخطورة .

يتحدث السلطان عبد الحميد عن تبني هذه القوى للمحافل الماسونية فيقول : " وكما استغل الإنجليز غفلة أعضاء تركيا الفتاة " الاتحاد والترقي " عن طريق المحافل الماسونية ، بدأ الألمان يفتنون هذا مع الفريق الآخر منهم وعن طريق المحافل الماسونية أيضاً . وبهذا الشكل سيطر الألمان على تشكيل تركيا الفتاة في سالونيك ، وسيطر الإنجليز على تشكيل تركيا الفتاة في " مناستر " .^(٢)

ويقول : " كان الإنجليز يثيرون على اتحاديي مناستر ، ويثير الألمان على اتحاديي سالونيك . كانوا يعملون على قيام انقلاب للاستيلاء على الدولة من الداخل " .^(٣)

وعن عمالة جمعية الاتحاد والترقي " تركيا الفتاة " : يقول :

" لا بد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سماوا أنفسهم (الأتراك الشبان) أو (تركيا الفتاة) وعن ماسونيتهم . استطعت أن أعرف من

(١) بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره لإحسان قاسم الصالي ص ٣٢-٣٤ . دار الوفاء بالمنصورة الثالثة ١٩٨٨ م ، وانظر تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد ص ٤١٠-٤١١ ، الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان سعيد النورسي ص ٢١ ، المكتوبات بهامشه لسعيد النورسي ص ٥٣٧-٥٣٨ . دار سوزلر للنشر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٢ هـ-

(٢) المذكرات ص ٦٩ .

(٣) المذكرات ص ٦٩ .

تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من الماسون وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي ، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل ، ولا بد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات ، وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية . (١)

وقد أفصح التاريخ عما قاله السلطان عبد الحميد فكانوا جميعاً من الماسون وكانوا صنيعة القوى الأجنبية لتحقيق مآربها في الداخل ، كما أفصح بأن المعونات التي تلقوها كانت معونات سياسية في لحمتها وسداها.

وكان اليهود بما وصلوا إليه في الدولة على رأس الذين سعوا للتخلص من السلطان عبد الحميد لأنه كان سداً منيعاً بينهم وبين ما أرادوا من تحقيق أحلامهم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين . ومن الأسماء اليهودية التي كانت لها الكلمة المسموعة في الجمعية طلعت باشا الذي كان يهودياً ثم ادعى الإسلام وكان وزير الداخلية " وعما نوثيل قره صو " ، وفكتور جاكويش اليهودي الروسي الذي كان رئيس الوكالة الصهيونية في استنبول ، وديفيد بن جوريون ، وابن زيفي (٢) وجاويد الذي كان من طائفة الدونمة ، ونسيم روسو ونسيم مازلياح . (٣)

وكان الانقلاب الذي أحدثوه ممهداً لخلع السلطان عبد الحميد ، وبالفعل بعد ثلاثة أيام من عودتهم للحكم قاموا بخلعه رغم الجهود الكبيرة التي قام بها على المستويين . الداخلي والخارجي (٤) للنهوض بالدولة وتقويت الفرصة على المتربصين بها لكن دون جدوى ، فقد اتسع الخرق على الراقع وقد لعبت الطريقة البكتاشية دوراً هاماً في مساعدة الاتحاديين ضد السلطان العثماني ، لأن بعض زعماء تركيا الفتاة كانوا من المنتمين إلى هذه الطريقة . (٥)

(١) نفسه ص ٤٩ .

(٢) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها د/ عبد العزيز الشناوي ١٢٧/٢ الأنجلو المصرية

١٩٨٤م ، أسرار الماسونية . جواد رفعت ألتخان ص ٦٠-٦١ المختار الإسلامي .

(٣) انظر الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص ٧٠ .

(٤) راجع الدولة العثمانية والدعوة الإسلامية للمؤلف ص ١٦٨-١٩٢ الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م . ليالك

سنتر بالمنصورة .

(٥) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص ٧٠ - ٧١ .

وبعد أن أزيح السلطان عن سدة الخلافة أرسل في اليوم التالي لخلعه إلى سلانيك مع أولاده ونسائه وبعض الخدم تحت حراسة الاتحاد والترقي^(١) .

وكان اختيار سلانيك بالذات لأنه المركز اليهودى الماسونى الدولى . وما إن زال السلطان عبد الحميد عن الحكم حتى بدأ اليهود يقطفون الثمار .. فاشترى معظم الصحف التركية .. وعينوا العديد من شخصياتهم فى حكومة الاتحاديين وخاصة (جاويد بك) الذى عين وزيراً للمالية ، والذى استطاع تأمين بعض القروش المالية مما سهل أمامه مهمة التعاون مع جمعية الاتحاد الإسرائيلية فى نيويورك لشراء الأرض فى فلسطين . واستطاع اليهود كذلك إلغاء معظم القوانين التى وضعت أساساً للحيلولة دون هجرة اليهود إلى فلسطين . وكذلك تم نقل بعض الموظفين العثمانيين المعارضين لاستيطان اليهود فى فلسطين فى القدس الأمر الذى يوضح أن تاريخ إنشاء الكيان اليهودى فى فلسطين لم يكن عام (١٩٤٨) ، بل كان عام ١٩٠٩م عندما أسقط السلطان عبد الحميد الثانى عن عرشه .^(٢)

وتم يوم (٢٧ إبريل سنة ١٩٠٩م) تتويج السلطان محمد رشاد باسم السلطان محمد الخامس^(٣) ليكون الخليفة من بعده ، وكانت ولايته على البلاد اسمية فقط ، وكان الحاكم الفعلى للدولة هم رجال الاتحاد والترقى ، فقد تسلموا إدارة الحكومة^(٤) وظهروا على حقيقتهم على المسرح السياسى فى تركيا ، وبطشوا بمن عارضهم فى كل مكان .

وشهدت البلاد تقلص بعض الولايات ، وحدثت الحرب الإيطالية فى طرابلس سنة (١٣٣٠هـ-١٩١١م) وحرب البلقان سنة (١٣٣١هـ-١٩١٢م) .

(١) انظر أسرار الانقلاب العثمانى مصطفى طوران ص ١٠٠-١٠١ ترجمة كمال خوجه . الرابعة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٢) الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا ص ٧٢ .

(٣) تاريخ الدولة العلية ص ٤١١-٤١٣ .

كان الأستاذ محمد فريد ممن انبهروا أول الأمر شأنه شأن بعض الشعراء والكتاب الكبار بشعارات رجال الاتحاد والترقى فرمى السلطان عبد الحميد ببعض ما رموه به والرجل من هذا - والله أعلم - برىء .

(٤) انظر تاريخ الدولة العلية ص ٤١٤

ولما وقعت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م) زجوا بتركيا في أتونها إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) ، في حين تمكن الإنجليز (بمراسلات الحسين مكماهون) من جر العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) ، فسادت فكرة القومية العربية ، ووقع الصدام بين العرب والترك . وسقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب ، واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها ، ووقعت الأستانة تحت سيطرة الإنجليز ، وأصبح الخليفة كالأسير فيها .

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل يمكن تلخيصها فيما يلي :

١- اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية بين الحلفاء ، تجلى ذلك في معاهدة (سايكس بيكو) سنة (١٣٣٤هـ-١٩١٦م) لسرية ، في الوقت الذي وعدوا فيه العرب بالاستقلال . وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة :

(أ) أن يكون جنوب العراق لبريطانيا ، وأشير لها على الخريطة باللون الأحمر وساحل سوريا الشمالي (لبنان والساحل الشمالي من سوريا) لفرنسا وأشير لها على الخريطة باللون الأزرق .

(ب) تتكون دولتان عربيتان شمال العراق وأواسط بلاد الشام وجنوبها ، يكون النفوذ في الأولى التي تشمل شمال العراق وشرق الأردن لبريطانيا والنفوذ في الثانية التي تشمل أواسط سوريا والجزيرة الفراتية لفرنسا .

(ج) تكون فلسطين دولية ، ولا يتقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا وشريف مكة .

(د) تكون الأستانة والمضائق (البوسفور والدردينيل) لروسيا .

(هـ) تكون الأماكن المقدسة (الحجاز) والجزيرة العربية ضمن حكومة إسلامية مستقلة .

٢- إصدار بريطانيا وعد بلفور للصهيونية في (١٩١٧/١١/٢) (محرم ١٣٣٦هـ) بأن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٣- تسليم تركيا لأبشع حركة تخريب وتدمير للقيم الإسلامية ، وبنقلها من دولة ذات طابع إسلامي ، إلى دولة غربية الطابع .. وعلى هذا يمكن القول بأن الفترة التي بدأت فيها تركيا بخلع السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيها إرادة الحاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية ، وإبراز طابع الجامعة الطوارنية ، وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة، مما مهد إلى زوال الدولة والتهام الغرب للأجزاء العربية فضلاً عن منح اليهود وعد بلفور ، الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة في فلسطين .

فقد قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية ، ولما احتل الإنجليز استنبول (الأستانة) وأصبح الخليفة شبه أسير في أيديهم ، وأصبح المندوب السامي البريطاني والجنرال (هارنجتون) القائد العام لقوات الحلفاء في استنبول هما أصحاب السيادة الفعلية ، ظهر مصطفى كمال بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا أزمير بتمكين من بريطانيا سنة (١٣٣٨ هـ) وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول ، وكان الحلفاء قد عقدوا معاهدة سيفر عام (١٩٢٠ م) ، جردت المعاهدة الدولة العثمانية من ممتلكاتها في أوروبا سوى العاصمة وقطعة أرض صغيرة . ووضعت الممرات تحت إشراف دولي .

كما فقدت الدولة كل ممتلكاتها العربية كما تقدم ، فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ووضعت العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي ، وأعطيت أزمير وضواحيها لليونان ، وتقرر تأسيس دولة أرمنية في الأناضول الشرقي .

فقام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ورفع القرآن ، ورد اليونانيين على أعقابهم ، في موقعة " سقاريا " عام (١٩٢١ م) ، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته ، وأخلت أمامه المواقع ، ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال ، وجعلها تطفو على السطح تدريجياً ، فقد ابتهج العالم الإسلامي ، وأطلق عليه لقب الغازي الذي كان ينفرد به سلاطين آل عثمان الأول ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء .

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر ، باستسلام الخليفة القابع في الآستانة ، مستكينا لما يجرى عليه من ذل كبير في نظرهم الأول ، بمقدار ما يهون الثاني ، وزاد من سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهداره دم مصطفى كمال واعتباره عاصياً متمرداً . ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم بطلاً مكافحاً يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة ، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة . ولكنه لم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته ، صنيعه لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة إنجلترا ، التي رأت أن إلغاء الخلافة ليس بالأمر الهين وأن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل ، وإعطائه صورة عظيمة ، وإظهار هالة حوله ، وتصويره وكأن المعجزات تجري على يديه ، وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه ، بلا ألم عميق ، إذ الشعور قد تخدر من نشوة الانتصارات الزائفة . فالحلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل وطلبوا من السلطان إخمادها ، واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ليصبح محط آمال الناس ، وموضع تقدير ضباط الجيش ، فتنصاعد مكانته وهيبته وتتدهور سمعة الخليفة وينحط مركز الخلافة في أعين الناس الألاعيب الإنجليزية لا تدرك بسهولة^(١) إلى غير ذلك من الأحداث التي لبس بها أتاتورك على الناس بمعاونة القوى الأجنبية على الجماهير .

إلغاء الخلافة :

انتقل مصطفى كمال إلى أنقرة واتخذها مقراً له يحيك فيها المؤامرات هو ورفاقه . وقد دعا الجمعية الوطنية إلى اجتماع طارئ ، وطالبها بفصل السلطنة عن الخلافة ، على أن يكون الخليفة مجرد رمز ديني للمسلمين ، وقد لجأ مصطفى كمال إلى هذه الخطوة كمرحلة تسبق المرحلة النهائية ، وهو يعلم تمام العلم تبعات مثل هذا التصرف .

(١) حاضر العالم الإسلامي . د/ جميل المصري ص ١٢٣-١٢٦ .

ولقد تار النواب جميعا على هذا القرار ولم يؤيده سوى ثمانون شخصاً من أنصاره ، أيده ومسدساتهم أمامهم .. وهنا سعد مصطفى كمال المنصة وقال : "إن هذا أمر مفروغ منه ، وسينفذ شئتم أم أبيتم .. ولكن حذار ، فإذا ما تماديتم فى معارضتكم فإن رعوكم ستسقط " .

وفى السابع من شهر نوفمبر عام (١٩٢٢م) وصلت سيارة إسعاف بريطانية إلى قصر " يلدز " فخرج وحيد الدين من الباب الخلفى للقصر ، وغادر تركيا إلى الأبد .

وفى اليوم نفسه زف (تشارلز هارنجتون) إلى مصطفى كمال البشرى التالية :

" أحيط سعادتكم علما بأن وحيد الدين قد غادر استنبول نهائيا . " ويرحيل وحيد الدين عن أرض أجداده استسلمت البلاد والعباد إلى حكم مصطفى كمال ورفاقه . وقد تميزت هذه المرحلة بالإجراءات السريعة التالية: أولاً : عُين فى (١٨/١١/١٩٢٢م) عبد المجيد خليفة مكان وحيد الدين ، وكان صورة لا قيمة لها ولا شأن .

ثانياً : عقد مع الحلفاء فى (٢٤/٧/١٩٢٣) معاهدة لوزان واعتبرها نصراً عظيماً ، والواقع أنها كانت هزيمة حقيقية وقع فيها نظام مصطفى كمال على وثيقة تنازل تركيا عن لغتها وتاريخها ودينها وكرامتها وشرقيتها .^(١) فقد وضع " كرزون " رئيس الوفد الإنجليزى أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهى :

- ١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .
- ٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً .
- ٣- إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ، ومصادرة أموال الخليفة ، والتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

(١) الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا ص ٩٧-٩٨ .

٤- اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم (١).

ولهذا أعلن مصطفى كمال فجأة وبلا مقدمات فى الجمعية الوطنية النظام الجمهورى فى البلاد... وأدرك النواب الذين تجمد الدم فى عروقهم - أنه يريد من وراء ذلك إلغاء الخلافة .

ثالثاً: أصبح مصطفى كمال بموجب الإعلان السابق رئيساً للجمهورية ورئيساً للجمعية الوطنية ، وقائداً أعلى للجيش ، وزعيماً لحزب الشعب الذى شكله وجعله الحزب الوحيد المرخص فى البلاد ، بالإضافة إلى ممارسته الفعلية لرئاسة مجلس الوزراء ، ولم يبق أمامه إلا الإقدام الفعلى على إلغاء الخلافة . وبالفعل استصدر يوم (١٩٢٤/٣/٣ م) قراراً من الجمعية الوطنية بإلغاء الخلافة ، بعد تمثيلية قام بها " الأغاخان " بإيعاز من الإنجليز وإطلاع مصطفى كمال عليها.

وفى منتصف الليل جاءت سيارة إلى قصر " يلدز " بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش فحملت " عبد المجيد " فى ثياب نومه ومعه جميع أفراد آل عثمان ، وأخرجوهم خارج الحدود .. (٢) وأسدل الستار على تاريخ أسرة عظيمة خدمت الإسلام ورفعت رايته فى كثير من البلدان (٣).

وبدأ عهد النموذج الأول - الرجل والتجربة - الذى أقامه الغرب مثلاً تحتذيه دول الشرق الإسلامى .

والحق أن هذا الصنيع أثار موجة عارمة من السخط فى العالم الإسلامى وخاصة مصر (٤) ، فالدولة العثمانية على عيوبها كانت تمثل الرمز للخلافة الإسلامية التى استظل الجميع بظلها ، وكانت درعاً حصينة للمسلمين فى كل مكان أحسوا معها بالعزة والكرامة ، وصاروا بدونها أيتاماً على موائد اللئام .

(١) حاضر العالم الإسلامى وقضاياه المعاصرة د/جميل عبد الله محمد المصرى ص ١٢٧-١٢٨ .
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . الثانية . ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٢) لنظر الحركة الإسلامية فى تركيا ص ٩٦-٩٨ .

(٣) راجع فصل خدمات الدولة للإسلام والعروبة فى كتاب الدولة العثمانية والدعوة الإسلامية للمؤلف ص ٥٩ - ١١٣ ، حاضر العالم الإسلامى وقضاياه المعاصرة د/جميل المصرى ص ١١٤ - ١١٥ .

(٤) راجع فصل الخلافة الإسلامية فى كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد حسين ٥٥-٩٢ . مؤسسة الرسالة . بيروت . الثامنة . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

عاصر سعيد النورسي - رحمه الله - كل هذه الأحداث المؤلمة عن كثب لأنه كان جزءاً منها - كما سيأتي - وكان لها وقعها الكبير على نفسه وتأثيرها الفاعل على دعوته كما سيتضح إن شاء الله .

المرحلة الثانية : الجمهورية التركية العلمانية :

عرفنا مما سبق أن الاتحاديين بدأ تسلطهم الفعلي على إدارة الدولة منذ سقوط السلطان عبد الحميد الثاني وتولية أخيه السلطان محمد رشاد الخامس وأن إلغاء السلطنة عام ١٩٢٣م كان إيذاناً بإعلان الجمهورية التركية ، وأعقب ذلك إلغاء الخلافة وطرد السلطان العثماني نهائياً خارج تركيا عام ١٩٢٤م وصار مصطفى كمال من يومئذ رئيساً للجمهورية .

ومن هذا التاريخ شرع في اتخاذ عدة إجراءات لتغيير عقلية الشعب التركي وتحويله من شعب شرقي مؤمن بالإسلام إلى شعب غربي يؤمن بالعلمانية ويقدم أتاتورك .

١- فألغى وزارة المحاكم الشرعية ، ووزارة الأوقاف عام (١٣٤٣هـ /

١٩٢٤م) وعهد بشؤونها إلى وزارة المعارف .

٢- وفي عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م أغلقت المساجد وقضت الحكومة في

قسوة بالغة على كل تيار ، وواجهت كل نقد ديني لتدابيرها بالعنف كما

حدث مع حركة الشيخ " سعيد بيران " الذي ألب الأكراد في الولايات

الشرقية ضد قرار الإلغاء وطالبهم بإعادة الخلافة عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م

) فنقمت للسلطة عليه ، وحكم عليه مع كثير من أتباعه بالإعدام شنقاً ، وذلك

حتى لا تقوم لعلماء الدين في أعقاب ذلك قائمة .

وقامت الحكومة برصد حركات الدعاة والوعاظ والأئمة والخطباء وتتبع

ما يقولون أو يعملون في جو من الإرهاب الفكري الصارم والتهديد بالسجن

والتعذيب والإعدام ، وأصبحت رئاسة الشؤون الدينية في تلك الفترة الآلة الطيعة في

قبضة السلطة ، تقوم بتزويدها بأخبار من ترى أنه يخرج على سياسة الدولة .

- ووصل الأمر بالدولة حد مراقبة من يتحدث عن الخلافة حتى فى خارج البلاد وبعيداً عن سلطة الحكومة التركية وأراضيها .
- ومن ذلك أن الحكومة التركية قد أفلتها جداً قيام المسلمين بمكة والقدس بالتشاور فى أمر الخلافة الإسلامية عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، فقامت بإبلاغ الإنجليز والدول المجاورة وأفغانستان وألبانيا ومصر ، أنها لن تسمح بأى وسيلة بإقامة خلافة إسلامية ، حتى ولو كانت خارج الحدود التركية.(١)
- ٣- وفى عام (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م) حددت الحكومة عدد المساجد ، ولم تسمح بغير مسجد واحد فى كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها (٥٠٠) متراً ، وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم .
- ٤- وتمادى مصطفى كمال فى تهجمه على المساجد ، فخفض عدد الوعاظ الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى (٣٠٠) واعظاً ، وأمرهم أن يفسحوا فى خطبة الجمعة مجالاً واسعاً للتحديث عن الشؤون الزراعية ، والصناعية ، وسياسة الدولة ، وكيل المديح له . وأغلق أشهر جامعين فى استنبول ، وحول أولهما وهو مسجد " أيا صوفيا " إلى متحف ، وحول ثانيهما وهو مسجد " الفاتح " إلى مستودع .(٢)
- كما صدر قرار بفرش المساجد بالكراسى واستخدام (الأورج) فيها حيث تتم تلاوة القرآن بمصاحبة الموسيقى ، تشبهاً بفعل النصارى فى كنائسهم .(٣)
- ٥- أما الشريعة فقد استبدلت ، وحل محلها قانون مدنى أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسرى عام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) .. وغيرت التقويم الهجرى واستخدمت التقويم (الغريغورى) الغربى ، فأصبح عام (١٣٤٢هـ) ملغياً فى كل أنحاء تركيا ، وحل محله عام (١٩٢٦م) .
- ٦- وفى دستور عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) أغفل النص على أن تركيا دولة إسلامية.

(١) الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى د- سهيل صابان ص ٢٦٦ رسالة دكتوراه مقدمة لسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

(٢) حاضر العالم وقضاياها المعاصرة ص ١٢٨ .

(٣) الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى ص ٢٦٨

٧- وغير نص القسم الذى يقسمه رجال الدولة عند توليتهم لمناصبهم ، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب ، بدلاً من أن يحلفوا بالله كما كان عليه الأمر من قبل .

٨- وفى عام (١٩٣٥ م) غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم تعد يوم الجمعة ، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد ، وحرّم الاحتفال بعيد الفطر والأضحى ، وطبعت طوابع بريد تمثل صورة الذئب الأغبر إله الأتراك القدماء

٩- وأهملت الحكومة التعليم الدينى كلية فى المدارس الخاصة ، ثم ألغى ، وبدأ يتقلص عدد طلاب كلية الشريعة إلى أن أغلقت عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣ م) .

١٠- وأمعت حكومة مصطفى كمال فى حركة التغريب ، فأصدرت قراراً بإلغاء لبس الطربوش ، وأمرت بلبس القبعة ، تشبهاً بالدولة الأوروبية .

١١- ومنذ عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩ م) بدأت تفرض إجبارياً استخدام الأحرف اللاتينية فى كتابة اللغة التركية بدلاً من الأحرف العربية .

وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف اللاتينية ، وبدأ مصطفى كمال بنفسه هو ورجال الجمعية الوطنية يعلمون طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية .

وحذف من الكليات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية ، وحرّم استعمال الحرف العربى لطبع المؤلفات التركية ، وأما الكتب التى سبق لمطابع استتبول أن طبعتها فى العهود السالفة ، فقد صدرت إلى مصر ، وفارس والهند وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامى من ناحية ، وما بينها وبين المسلمين فى سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى فكان هذا القرار من أخطر القرارات ، لأنه أدى إلى تجهيل الأمة بفصل الجيل الجديد عن منهجه ، وثقافته وتراثه .

١٢- وتشبهاً بالغرب أصدرت حكومة مصطفى كمال قانوناً عام

(١٣٥٣هـ/١٩٣٤ م) يقضى بأن يحمل كل فرد أسم أسرته ، وألا يتعامل رسمياً إلا بذلك الاسم مما لم يكن معروفاً قبل ذلك فى تركيا . وبعد أن صدقت الجمعية الوطنية على القانون الخاص بألقاب الأسر خلعت على مصطفى كمال لقب (أتاتورك) ومعناه أبو الأتراك ، وأخذ أتاتورك ينفخ فى الشعب التركى روحاً جديدة للاعتزاز بقوميتهم بصفتهم أسلاف الأتراك الأولين ، واستغل ما

نادى به بعض المؤرخين من أن لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال : " بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم " ، ليعوضهم عما أفقدهم إياهم من قيم ، بعد أن حارب كل نشاط إسلامي . وأطلق الحرية لنقد الدين والتعامل عليه وانتقاصه بمختلف الوسائل والأساليب .

١٣- وعملت حكومته على الاهتمام بكل ما هو أوروبي ، فازدهرت الفنون وأقيمت التماثيل لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى كلها ، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ، ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا والنمسا .

١٤- وعملت حكومته على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور ، وألغى قوامه الرجل على المرأة ، وأطلق لها العنان باسم الحرية والمساواة ، وشجع الحفلات الراقصة والمسارح المختلطة والرقص . وتزوج من (لطيفة هانم) ابنة أحد أغنياء (أزمير) الذين كانوا على صلة كبيرة باليهود من سكان أزمير ، وجرت مراسم الزواج على الطريقة الغربية كي يشجع على نبذ العادات الإسلامية ، واصطحبها وطاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال ، وترتدى أحدث الأزياء العصرية .

١٥- وأمر أخيرا بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، ففقد كل معانيه ومدلولاته . (١)

وكان قيام فرد أو جماعة بأى ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم بما يخالف مرامى السلطة ، يعرض القائمين بذلك - بموجب القانون (٦١٨٧) للسجن ، لأنه يستهدف بهذا العمل - من وجهة نظر السلطة - مخالفة وانتقاد نظام الحكم وهو ما لا يمكن السماح به في حال من الأحوال .

ويظهر بوضوح نوايا الحكومة القائمة على أنقاض الدولة العثمانية تجاه الدين وأتباعه في العمل على منع تعلم القرآن بأى شكل أو صورة . ومن ذلك ما بادرت إليه السلطات من وضع أفراد من الجيش والشرطة عند المساجد

(١) حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ومنازل العطاء حتى يحولوا دون القرآن الكريم من أى راغب بذلك ولم يقتصر ذلك على تكبار فحسب بل شمل منع الصغار أيضاً من تعلم قصار السور .

وكان إذا ضبط أحد متنبساً بتعليم القرآن أو تعلمه ، حوّل إلى المحاكم بالجرم المشهود وهو معارضة قانون الحروف (اللاتينية) . وكان يساق هؤلاء المخالفون من محكمة إلى أخرى ومن سجن إلى آخر ، وتمضى القضية أياماً وشهوراً فى إجراءات التحقيق ونحوه قبل إصدار الحكم عليهم . وكانت إجراءات المنع تشمل فى الدرجة الأولى - حفاظ القرآن ، لأن الأصل ألا يسمع أحد القرآن كبيراً أو صغيراً^(١) ، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية .. ومنع الحج إلى بيت الله الحرام .

لقد تجلت سياسة أتاتورك فى برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهورى) لعام (١٣٤٩هـ) مرة ، وعام (١٣٥٥هـ) مرة ثانية والتي نص عليها الدستور التركى وهى المبادئ الستة التى رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهى :

(القومية ، الجمهورية ، الشعبية ، العلمانية ، الثورة ، سلطة الدولة) .

فتم تغيير المناهج الدراسية ، وأعيد كتابة التاريخ من أجل إبراز الماضى التركى القومى ، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية ، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حيثية قديمة . وجرى التخلّى عن أهداف الجامعة الإسلامية والجامعة الطورانية ، والعثمانية ، فى السياسة الدولية وأعلن أنه اتجه إلى أوروبا وانفصل عن العالم الإسلامى ، والعرب ، وآسيا ، وأمعنت حكومته فى استئبار الإسلام ، حتى حاربت بقسوة أى محاولة ترمى إلى إحياء المبادئ الإسلامية فى جميع الميادين .

(١) الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى ص ٢٦٩ - ٢٧٠

يقول : الأستاذ أبو الحسن الندوي :

” وهكذا كانت تركيا - مع الأسف - طليعة حركة التجديد ، وبعبارة أصح التجدد وطلاعة التغريب ، وقدوة الزعماء التقدميين في الدول والحكومات والأقطار الإسلامية ، وكان كمال أتاتورك رمز التقدم والثورة في كل بلد ناهض ، وفي كل مجتمع متحرر في للعالم الإسلامي ، والمثال الأعلى للقادة والسياسيين والمفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ، ولا نعرف زعيما على فقره في النبوغ العقلي والتعمق من زعماء البلاد الإسلامية أثر في العقول والنفوس ، وأثار الإعجاب بشخصيته وأعماله ، وأثار الرغبة في تقليده . والاحتذاء به مثل ما فعل كمال أتاتورك في الزمن الأخير .“^(١)

وكان لمصر من هذه التبعية دور ملحوظ منذ الوهلة الأولى من إجراءاته التغريبية ، فنشطت الحركة التغريبية^(٢) فيها نشاطاً ملحوظاً في ميادين شتى . وفي المقابل أحزنت هذه الإجراءات أنصار التوجه الإسلامي من العلماء والمفكرين والشعراء وخاصة في مصر ، وكان في طليعتهم أحمد شوقي وأحمد محرم ومحمد عبد المطلب الذين نظموا القصائد في رثاء الخلافة ، ودم مصطفى كمال ورفاقه ، والشيخ محمد حسنين ، ومحمد البتانوني ، وأمين الراجعي ، والشيخ محمد شاکر^(٣) الذين كتبوا المقالات في كشف الانحراف والخطر الذي انطوى على عمل مصطفى كمال في العالم الإسلامي عامة وفي تركيا خاصة .

ومن أحسن ما كتب في تصوير هذا الخطر وذلك الانحراف مقال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - " تاريخ يتكلم " وقد ذهب الراجعي في هذا المقال مذهب الرمز ، فزعم أنه رأى فيما يرى النائم أنه صاحب حاكما مجنوناً اسمه "الحاكم بأمر الله" وهو يرمز بهذا الحاكم لمصطفى كمال نفسه ، فدون تاريخه في عشرة أسفار ، أخذ يلخصها في هذا المقال .

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٦٣٠ . دار القلم بالكويت ودار الأنصار بمصر .
ثالثة سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

(٢) نظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٤١/٢٠ - ٤٤ .

يقول في المجلد الأول : " ابتلى هذا الطاغية بنقيصتين : إحداهما من نفسه ، والأخرى من غيره ، فأما التي من نفسه فإبى أراه قد خلق وفي مخه لفاقة عصبية من يهودية^(١)جده... هذه اللفاقة اليهودية في مخ هذا الطاغية ستحقق به قول الله تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود)^(٢) ، فهو لن يكون العدو للإسلام دون أن يكون الأشد في هذه العداوة ، ولن يكون فيها الأشد حتى يفعل بها الأفاعيل المنكرة .

وما أرى هذه المآذن القائمة في الجو إلا تحرق بمنظرها عينيه من بغضه للإسلام وانطوائه على عداوته ، فويل لها منه !.

وأما النقيصة الثانية : فقد ابتلى بقوم فتوه بأرائهم ومذهبهم وقد لفقوا للدنيا مذهبا هو صورة عقولهم الطائشة ، لا يجيء إلا للهدم ، ثم لا يضع أول معاولة إلا في قبة السماء ليهدمها ... ! ولو أنا جمعت هذا المذهب في كلمة واحدة لقلت : هو حماقة حمقاء تريد إخراج الله من الوجود لإدخال الله في بعض الطغاة !.

يتلقبون في مذهبهم بهذه الألقاب : العقل ، الإرادة ، الإمام ، قائم الزمان ، علة العلل ... ! " (٣)

ويقول في المجلد الثاني : " إن هذا الطاغية ملك حاكم ، يستطيع أن يجعل حماقته شيئا واقعا ، فيقتل علماء الدين بإهلاكهم ، ويقتل مدارس الدين بإخرابها ولو شاء لاستطاع أن يشنق من المسلمين كل ذى عمامة في عمامته . ويبلغ من كفره أن يتبجح ويرى هذا قوة ، ولا يعلم أنه لهوانه على الله قد جعله الله كالذبابه التي تصيب الناس بالمرض ، والبعضة التي تقتل بالحمى ، والقملة التي تضرب بالطاعون ، فلو فخرت ذبابه أو تبجحت قملة ، أو استطالت بعضة لجاز له أن يطن طنينه في العالم . وهذا فعل أكثر مما تفعل ؟ .

(١) يشير إلى أن مصطفى هو الآخر سليل يهود الدونمة .

(٢) سورة المائدة : (٨٢) .

(٣) وحى القلم ٢١٢/٢-٢١٣ دار الكتاب العربي . بيروت . بدون .

لقد أودى بأناس يقوم إيمانهم على أن الموت فى سبيل الحق هو الذى يخلدهم فى الحق ، وأن انتزاعهم بالسيف من الحياة هو الذى يصنعهم فى حقيقتها ، وأن هذه الأرواح الإسلامية لا يطمسها الطغيان إلا ليجلوها .

إنه والله ما قتل ولا شفق ولا عذب ، ولكن الإسلام احتاج فى عصره هذا إلى قوم يموتون فى سبيله ، وأعوزه ذلك النوع السامى من الموت الأول الذى كان حياة الفكر ومادة التاريخ ، فجاءت القملة تحمل طاعونها !... .

لقد أحياهم فى التاريخ ، أما هم فقتلوه فى التاريخ ، وجاءهم بالرحمة من جميع المسلمين ، أما هم فجاءوه باللعنة من المسلمين جميعا . " (١)

ويقول فى المجلد الثالث : " يرى هذا الطاغية أن الدين الإسلامى خرافة وشعوذة عن النفس ، وأن محو الأخلاق الإسلامية العظيمة هو نفسه إيجاد أخلاق ، وأن الإسلام كان جريئاً حين جاء فاحتل هذه الدنيا ، فلا يطرده من الدنيا إلا جراءة شيطان كانذى توقع على الله حين قال : (فبعزتك لأغوينهم أجمعين..) ولهذا أمر الناس بسب الصحابة ، وأن يكتب ذلك على حيطان المساجد والمقابر والشوارع . أخذ الله ، أهى رواية تمثيلية يلصق الإعلان عنها فى كل مكان ؟ لو سمع لسمع المساجد والمقابر والشوارع تقول : أخزاه الله " (٢)

وقد أهلكه الله فى عام (١٣٥٦هـ - ١٠ أكتوبر ١٩٣٨م) بعد صراع مرير مع المرض ، ودفن بعد أيام على الطريقة النصرانية . (٣)

وخلفه من بعده " عصمت إيتونو " الذى فاز برئاسة الجمهورية وتبعه على سياسته .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية التزمت تركيا الحياد ، لكنها دخلتها فى تهايتها إلى جانب الحلفاء حين ظهر انهزام المحور .

وبعد الحرب اقترح الروس عليها التخلي عن أراضي شرق آسيا الصغرى وضم مساحة كبيرة من شمالي شرق الأناضول إلى " جورجيا " السوفيتية

١ . وحى القلم ٢ / ٢١٤ .

٢ (١) المصدر السابق ٢ / ٢١٤ .

٣ (١) راجع بالتفصيل المرض والوفاة والفن فى الرجل الصنم ، ضابط تركى ص ٥٣٨-٥٤٤ ترجمة عبد الله عبد الرحمن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

فتفتت تركيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فأقامت على أرضها القواعد العسكرية الأمريكية ، وجرى تقوية الجيش ، وارتفعت نسبة الإنفاق العسكرى ، وظهرت الأزمات الاقتصادية العنيفة التي تزايد خطرهما يوماً بعد يوم ، وازداد التضخم المالى ، واعترفت بالكيان اليهودى فى فلسطين عام (١٩٤٨ م) .

وفى الوقت نفسه تظاهر " اينونو " ببعض الاستجابة لمشاعر الناس الذين يحرصون على شعائر الإسلام ، فأعاد تعليم الدين فى المدارس فى غير ساعات الدراسة . وسمحت الدولة بتشكيل أحزاب علمانية جديدة . فنشأ الحزب الديمقراطى عام (١٣٦٦ هـ) من انشقاق داخل حزب الشعب الجمهورى نفسه .

وفاز فى الانتخابات لأنه أدرج فى برنامجه الانتخابى أنه إذا تولى الحكم فسيعيد الأذان باللغة العربية ، وسيرفع الحظر عن الراغبين فى الحج ، كما أنه سيعيد التعليم الدينى إلى سيرته الأولى . هذا فضلاً عن المحافظة على عربية القرآن . فكانت هذه أسباب نجاحه ، مما يدل على تأصل الإسلام فى نفوس الشعب التركى رغم ما صنعه أتاتورك ورفاقه .

وفى الوقت نفسه تبنى الحزب السياسة الأمريكية وأصبح رئيسه " جلال بايار " رئيساً للجمهورية عام (١٣٧٤ هـ) ، كما أصبح " عدنان مندريس " رئيساً للوزراء ، وأصبح منصب رئيس الوزراء يفوق فى الأهمية منصب رئيس الجمهورية . فأقام مندريس مدارس الأئمة والخطباء ، وتألفت من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، واهتمت بالدراسات الإسلامية ، وتعليم اللغة العربية أساساً ، وأقيمت معاهد إسلامية عالية فأخذت الماسونية واليهودية فى العمل ، وبثت الدعاية ضد مندريس ، وتزعّم " أحمد أمين بالمان " الحملة وهو يهودى الأصل فى جريدته (ملية وطن) وساعده أقطاب يهود الدونمة .

وبقيت الأزمات والكوارث الاقتصادية فى ترد مستمر ، وتوجهت الانتقادات للحزب الحاكم ، فحل " الحزب القومى " الذى ظهر عام (١٣٦٨ هـ) بحجة معارضته المبادئ الكمالية ، ولكنه تشكل باسم آخر هو " الحزب القومى الجمهورى " وفرضت غرامات فادحة على الصحفيين الذين يحطون من قدر الحكومة ، وضيق على أساتذة الجامعات والقضاة والموظفين المدنيين بصورة عامة ، وفرضت قيود على الاجتماعات عام (١٣٧٦ هـ) .

وقد حصل رغم ذلك التراجع عن بعض العداء للإسلام بفعل الضغط الشعبي الإسلامي ، تمثل ذلك في :

إعادة الأذان باللغة العربية ، وسمح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعة ، وامتد للتدريس الديني إلى المدارس ، وسمح بافتتاح المدارس الشرعية ، وافتتحت كلية الدين الإسلامي في أنقرة ، وجرى بعض التراجع عن المبادئ العلمانية ، ولكنهم رغم ذلك أظهروا بوضوح عدم رغبتهم في إشراك الدين بالسياسة ، وبينوا أن تركيا جزء من أوروبا .

ولما خشى بعض الحاقدين على الإسلام من رفاق أتاتورك الكماليين العودة إلى الإسلام ، افتعلوا الاضطرابات ، وتدخل الجيش فقلب نظام الحكم سلمياً عام (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) في السنة التي توفي فيها بديع الزمان سعيد النورسي - بقيادة " جمال جورسيل " قائد القوات البرية ، وأجريت التصفيات بتهمة خرق الدستور تكمالي ، ثم أصبح جمال جورسيل رئيساً للجمهورية ، وأعدم عدنان مندريس لأنه في نظرهم تجاوز حدوده بما قدمه للإسلام والمسلمين في تركيا .^(١)

وظهر في خضم الاضطرابات عام (١٣٨١هـ) حزب العمال التركي وسيطر عليه الماركسيون .. وأصبحت المصادمات هي الصورة المألوفة يومياً للحياة التركية العادية .^(٢)

شاهد سعيد النورسي رحمه الله - هذه الأحداث التي تعرض لها الشعب المسلم في تركيا ، وعانى من وطأتها على يد مصطفى كمال وخلفائه الذين تبعوا سياسته فأحدثت في نفسه جروحاً غائرة ، غير أنه لم يقف مكتوف اليدين ، فقد كانت له مواقف الإسلامية المشهودة في مواجهة هذا التيار العلماني الإلحادي الكاسح .

(١) حاصر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص١٣٣-١٣٥ ، وأنظر الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص١٧-٣٧ ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص٤٧ . : وزيادة في التكميل بمندريس حتى بعد موته ، دفنوه في مكان مجهول بإحدى جزر بحر " مرمرة " . ولما تولى الرئيس " تورات أوزال " السلطة رد إليه اعتباره ، ونقل رفاته إلى استنبول . وكان من وصيته : أن يعف بجوار مندريس . وتم له ذلك حين مات عام ١٩٩٣م .
(من مقال : " زواج القرن في تركيا " للأستاذ فهمي هويدى . الأهرام . ٢٤ سبتمبر عام ١٩٩٦م)

(٢) حاصر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٣٧

وبسبب ذلك تعرض لمحن متتابعة لاحقته إلى أن لقي ربه كما سيأتي إن شاء الله تعالى . يقول عن الضربات الداخلية والخارجية التي وجهها الأعداء للعالم الإسلامي : " لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى أعماق قلبي " .^(١)

هذا كان عن الأحوال السياسية في عصر سعيد النورسي .
فماذا عن الأحوال الاجتماعية والفكرية ؟ .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره . قاسم الصالحى ص ٤٩ .

الأحوال الخلقية والاجتماعية

إذا كان للأحوال السياسية تأثيرها على حياة الناس - كما سبق - فإن لأحوال الخلقية والاجتماعية من باب أولى تأثيرها الواضح على حياة الدعاة والمفكرين سلبيًا أو إيجابياً .

ولهذا فسنحاول بإذن الله تعالى إلقاء الضوء سريعاً في هذا الفصل على الأحوال الخلقية والاجتماعية في عصر الأستاذ سعيد النورسي في المرحلتين : العثمانية والكمالية معاً ، لنرى كيف كان لهذا أثره الكبير في نهوض النورسي وسط المجتمع التركي بدعوته الإصلاحية التجديدية .

كان للنظريات والأفكار الغربية الوافدة على الدولة العثمانية في أخريات أيامها آثارها السيئة على حياة المجتمع التركي الذي ظل متمسكاً طوال قرون ممتدة في التاريخ بقيمه الحضارية الإسلامية ، رغم الصلة الوثيقة بالغربيين وأمثالهم من الأقليات النصرانية واليهودية الموجودة في الدولة العثمانية ، فقد كان التأثير بهؤلاء قليلاً ، وعلى نطاق ضيق ، وفي مجالات محدودة ، لالتزام الناس بالدين ورفضهم لما هو غريب عن المجتمع .

ولم يكن انتشار العادات الغربية في الدولة وظهورها دفعة واحدة ، بل كان ذلك على مراحل ... بدأت المرحلة الأولى منها بتغيير الأفكار والآراء عن الغربيين وتمط حياتهم مما يخالف عادات المجتمع التركي ومآلوفاته ... وكانت المرحلة الثانية الدعوة إلى اقتباس ما عند الغربيين من مظاهر وأوضاع اجتماعية بحجة أنه نافع ومفيد .

ثم كانت المرحلة الثالثة حين أعلنت المشروطة الثانية عام (١٢٧٠هـ / ١٩٠٨م) فنشط من المنقذين من دعا إلى إتباع النظريات الحديثة للمفكرين الغربيين في النفس والمجتمع ، أمثال " فرويد " و " دوركايم " وغيرهما . وقامت حكومة الاتحاد والترقي بالاستجابة لهذه الدعوات ، وأقامت الدولة العثمانية عقب الغاء الخلافة في جميع المجالات على النمط الغربي الحديث ، وسعت بكل مكاناتها على

سلخ المجتمع من دينه وهويته الإسلامية ، وتم لها ما أرادت فعدت الأخلاق والعدادات فى تركيا فى مختلف النواحي الاجتماعية أمراً مألوفاً لدى الناس ، يسارعون إليه ويعتبرونه من مقتضيات التحضر ، ومن ورائهم الحكومة تحمى وتؤيد وتسند القوانين ، وتقضى على كل من يعترض أو يخالف .

مظاهر التغريب الخلقية الاجتماعية على عهد الكماليين :

وإليك - أختى القارئ - أهم المظاهر الخلقية الاجتماعية التى تفشت فى المجتمع التركى عقب إلغاء الخلافة الإسلامية والتى عاصرها بديع الزمان سعيد النورسى فأحترق لها فؤاده .

١- صدور القوانين المؤيدة للأفكار والنظريات الهدامة :

فقد وافق البرلمان التركى فى (٢٨ ربيع الأول عام ١٣٤٥ هـ / أكتوبر عام ١٩٢٦ م) على :

- (أ) تحريم تعدد الزوجات .
 - (ب) إلغاء المهر وعدم فرضه على الزوج .
 - (ج) منع حق الزوج فى الطلاق .
 - (د) حرية زواج المرأة المسلمة التركية من نصرانى أو يهودى ، دون التقيد بشرط الإسلام .
 - (هـ) التغيير فى أحكام الميراث الشرعى والتسوية بين الذكر والأنثى .
 - (و) إلغاء نظام الإرث بالتعصيب والإرث بالقرابة البعيدة .
 - (ز) وضع حد لسن الزواج .
 - (ح) إلغاء نظام فصل النساء عن أماكن الرجال فى حافلات النقل العام والقطارات وكذا السفن والمراكب ، ودور السينما وغيرها ..^(١)
- واتخذت الحكومة الإجراءات العملية لتطبيق ذلك فى حياة المجتمع التركى ، وسنت القوانين العقابية لمن يخالف ذلك .

(١) اللبس والحكومة منذ التنظيمات إلى اليوم . جهان أقطاش ص ١٧٨ . تركيا . ١٩٨٩

ومما فرضته الدولة على الناس في هذا الصدد لبس القبعة - كما سبق - بدعوى أن ذلك يجعل تركيا في مصاف الدول المتقدمة ، حيث قال أتاتورك في دعوته الشعب التركي لللبس القبعة ، بعد أن أفاض في ذكر مزاياها الصحية والاقتصادية والجمالية : " سوف يكون فكرنا وطريقة تفكيرنا من رؤوسنا إلى أصابع أقدامنا متحضراً . وباختيار تركيا لبس القبعة فقد أصبحت من الدول التي اختارت لبساً حضارياً . "

وقامت الحكومة بضرب المعارضين بيد من حديد ، وأخذت جميع الحركات المناوئة لها .

وقد علق الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله على هذا السخف فقال ساخراً من هذا الصنيع ومنبهاً المنبهين بهذا التقليد الغربي الأعمى : " وحدثني صاحب سر (م) باشا ، قال : نجمت في مصر حركة يعقب أيام البدعة التركية ، ولم تبق لشيء هناك قاعدة إلا القاعدة الواحدة التي تقررها المشائق ، فمن أبي أن يخلع العمامة عن رأسه خلعوا رأسه ، ومن قال (لا) انقلبت (لا) هذه مشنقة فعلق فيها . وكانت فكرة اتخاذ القبعة في تركيا غطاء للرأس ، قد جاءت بعد نزعات من مثلها كما يجيء الحذاء في آخر ما يلبس اللابس ، فلم يشك أحد أنها ليست قبعة على الرأس أكثر مما هي طريقة لتربية الرأس المسلم تربية جديدة ، ليس فيها ركعة ولا سجدة ، وإلا فنحن نرى هذه القبعة على رأس الزنجي ، والهمجي ، وعلى رأس الأبله والمجنون ، فما رأيناها جعلت الأسود أبيض ، ولا عرفناها نقلت همجياً عن طبعه ، ولا زعم أحد أنها أكملت العقل الناقص ، ولا ردت العقل الذاهب ، ولا تعقبت آلة لحل مشكلات الرأس البليد ، أو غصبت الطبيعة شيئاً وقالت : هذا لحاملني دون حامل الطربوش والعمامة .

وقد احتجوا يومئذ لصاحب تلك البدعة أنه لا يرى الوجهة إلا المدنية ، ولا يعرف المدنية إلا مدنية أوربا ، فهو يمثلها كما هي في حسناتها وسيناتها وما يحل وما يحرم ، وما يكون في حاجة إليه ، وما يكون في غنى عنه حتى لو أن الأوربيين كانوا عوراً بالطبيعة ، لجعل هو قومهم عوراً بالصناعة ليشبهوا الأوربيين ... " (١) .

(١) وحى القلم ٢/٣٠٠ .

٢- الترويج لانتشار الفسق والفجور على نطاق واسع :

كان لصدور القرارات الخاصة بالمرأة والأسرة آثارها السيئة على أخلاق المجتمع التركي . وكان للصحف دورها الخطير في هذا الانتشار وقام عدد من المؤسسات بنشر ما يطلق عليه الأدب المكشوف تصويراً للعلاقات الجنسية الخالية من أي حشمة أو حياء ، وشاركت في ذلك الدوريات المتخصصة في الثقافة والفكر والآداب حتى غدا العري والمجون أمراً مألوفاً لدى الخاصة والعامة .

كما قامت الدولة بإرسال الفتيات إلى الدول الغربية دون أن يكون معهن محارم بحجة التعليم والدراسة ، فعدن بعد سنوات وقد تشبعن حتى العظم بالمظاهر الخارجية البراقة ، دون أن يستفدن من العلم شيئاً ، غير أنهن تشرن ما حملن من سموم فكرية وخلقية في الأوساط الشعبية ، وفي مدارس الطالبات . كما جمعت حكومة الجمهورية الكمالية البنات اللاتي لم يزلن أبكاراً ، وفتتهن إلى خارج الحدود التركية رغم أنف آبائهن الذين فجعوا بذلك . وترويجاً للفاحشة شاركت الدولة ابتداء من عام (١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢ م) في مسابقة جمال العالم ، وكانت أولى البنات المشاركات في هذه المسابقة والتي فازت بالدرجة الأولى حفيدة آخر شيخ إسلام في الدولة العثمانية . لقد كان من نتيجة ذلك أن الفتاة التركية المتقفة لم تجد حرجاً في أن تكون صورة للمرأة الغربية في التكشف والعري وارتداء الملابس الفاضحة باسم (الموضة) والإقبال على الأغاني الغربية الرانجة ، مما أدى إلى إثارة الغرائز وانتشار الزنا على نطاق واسع ، وباتت الشوارع والممتنزهات والحدائق العامة أماكن للفسق والفجور ، خاصة بين الطلاب والطالبات ، وانتشرت من جراء ذلك الأمراض المختلفة .

٣- انتشار العادات الغربية بين الناس :

كان للسياسة التي اتبعتها الحكومة الكمالية تأثيرها الكبير في حياة المجتمع التركي ، فقد أقبل الناس مع مرور الأيام على العادات الغربية لتكون بديلاً عن المظاهر الإسلامية النابعة من عقيدتهم ، من ذلك :

(أ) اعتبار رأس السنة الميلادية أهم من العيدين : والاستعداد للاحتفال بذلك على النمط الغربي ، واعتبار هذا اليوم عيداً رسمياً ، تبذل لمظاهر الاحتفال به على الصعيد الرسمي والشعبي الأموال انطائلة ، ويسهر الناس في ليلته في النوادي والفنادق والبيوت والساحات العامة وهم يعاقرون الخمر ويرقصون ، ويمارسون ضرباً من الرذائل والمنكرات ، بل إن الطبقة " الراقية " كانت تتبادل في تلك الليلة مفاتيح البيوت ليكون كل واحد منهم حراً فيما يفعل من موبقات .

(ب) دخول المظاهر الغربية في المجتمع في مناسبات الفرح والعزاء ، بحيث توضع أكائيل الزهور على القبر ، وتعزف الموسيقى الخاصة بالعزاء أثناء الدفن . أما في الأفراح فتعقد حفلات الرقص ، وتقام حفلات الغناء ، وتقدم الخمور ، ويظل الناس في هرج ومرج حتى تشرق الشمس .

(ج) تنظيم العلاقات الاجتماعية حسب العادات والتقاليد الغربية . مما أدى إلى وجود هوة شديدة بين أفراد المجتمع ، وحدث الفصل الواضح بين طبقة الأغنياء والفقراء في نمط العيش وطريقة التفكير مما ولد الحقد والضغائن بين طبقات المجتمع التركي .

(د) التفكك الأسري واعتبار الأولاد مسئولين عن أنفسهم بعد سن معينة ، على نحو ما هو شائع في الغرب . وقد جرى في كابل ذلك طرد الأب أو الأم المسنين ، وعدم الاكتراث برعايتهما ، أو العمل على إيوائهما في مأوى العجزة أو بيوت المسنين ... وسنت الدولة قانوناً يجعل كل من بلغ سن الرشد حراً في اختيار أي دين شاء .

(هـ) انتشار أماكن بيع الخمور وحانات شربها انتشاراً واسعاً ، والدعاية لها بشتى وسائل الإعلان ، وإنشاء المصانع الخاصة بها من قبل الدولة ، والترخيص للمؤسسات الاقتصادية والأفراد بذلك .

(و) انتشار أندية القمار التابعة للأندية العالمية المتخصصة في ذلك بترويج من الدولة فضلاً عن النوادي التركية الخاصة التي انتشرت بين كافة الطبقات وفضلاً عن الرواج الواسع لأوراق اليانصيب ، مما كان لهذا كله أثره البالغ في تفكك الأسر وانتشار الجرائم والرذائل الخفية .

(ز) انتشار البنوك الربوية بشكل عجيب فى المدن والقرى التركية ذات الكثرة السكانية ، والتشجيع على أن تكون جميع المعاملات عن طريقها ، الأمر الذى أدى إلى تضخم ثروات الأغنياء ، وزيادة عناء الطبقات المتوسطة والفقيرة .

(ح) انتشار النعرة القومية انتشاراً مذهباً بين طبقات المجتمع وكان لجمعية " تدقيق التاريخ التركى " التى أنشئت عام (١٣٤٩هـ / ١٩٣١م) دور كبير فى ذلك وقد ركزت على :

" أن الشعب التركى أقدم الشعوب ، وأن الأتراك هم منشؤوا أقدم حضارة عالمية . وأن الأتراك قد أكدوا للعالم مرة أخرى المعجزة التركية الخالدة ، وذلك حين أنشئوا دولتهم الجديدة التى تكالبت عليها الدول أثناء حرب الاستقلال . وانتشرت على الألسنة وفى كل مكان العبارات الدالة على التفاخر بالقومية التركية ، مثل : " طوبى لمن يقول أنا تركى " و " تركى واحد يساوى عالماً " .

وكان من مظاهر التعصب للقومية التركية (تترك الأذان والقرآن الكريم وإحياء الأسماء التركية القديمة بدلاً من الأسماء الإسلامية رجوعاً إلى الشامانية القديمة مثل : " جنكيز " و " آتلا " و " تۆمان " وغيرها .

وكان لهذا أثره فى غربة الإسلام فى تركيا ، وفصل الشعب التركى المسلم عن الشعوب الإسلامية ، وضياح هيبتهم الناشئة عن الوحدة الإسلامية .

(ط) قصر الوظائف الحكومية على المعادين للدين ، فوزارة الخارجية مثلاً كانت بيد غير المسلمين والمعادين للإسلام منذ عهد التنظيمات .

ونصت المادة المعدلة عام (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) عن المادة الصادرة " عام (١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م) على الآتى :

" من يقوم بمحاولة تبديل أنظمة الدولة الاجتماعية والسياسية والتشريعية معارضاً للعثمانية حسب الأصول والمبادئ الدينية ، ولو فى فروع جانبية ويؤسس لذلك جمعية أو ينظمها أو يديرها ، فإنه يعاقب بالحبس سنتين . "

وقد قصد بهذا الكلام من يقوم بأى نشاط إسلامى ، أما الأنشطة الأخرى على اختلاف أنواعها ومراميها كنشاط الإرساليات التصيرية والمنظمات اليهودية

فقد سمح لها بمزاولة نشاطها دون أن يتعرض لها أحد .^(١)

لقد نجح مصطفى كمال ورفاقه كما يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي " في تغيير عقلية الشعب بكاملها ، وتصوراته القديمة وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ، ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي وبالبيئة الشرقية لقد كان ذلك أصعب بكثير من تكوين الجهاز السياسي من جديد . وكان يشعر بصعوبة هذه العملية ، فقد قال مرة : "انتصرت على العدو وفتحت البلاد ، هل أستطيع أن أنتصر على الشعب . "

إنه انتصر على الشعب حقاً، فقد جعل الدولة علمانية وليس الإسلام دينها الرسمي ، أحدث الفصل بين الدين والسياسة ، وقرر أن الدين قضية شخصية لكل فرد أن يختار له ديناً ويدين به ، من غير أن يكون له دخل في السياسة والإدارة ، وألغى المحاكم الشرعية ، وقانون الشريعة الإسلامية وقرر العمل بالقانون المدني السوري ، والقانون الجنائي الإيطالي والقانون التجاري الألماني وأدخل الأحوال الشخصية في القانون المدني الأوربي ، ومنع التعليم الديني وعطل مراكزه ، ومنع الحجاب ، وقرر السفور والتعليم المختلط ، وألغى الحروف العربية وأبدلها بالحروف اللاتينية ، ومنع الأذان بالعربية وجعله بالتركية ، وغير اللباس وألزم لبس القبعة . وبعبارة موجزة : قد حطم الأساس الديني ، وغير وجهة نظر الشعب التركي والحكومة التركية .^(٢)

كل هذه الأوضاع المحزنة في تركيا عاصرها بديع الزمان سعيد النورسي ، فاعتصر لها قلبه ألماً وحرزاً ، وكانت محركاً قويا له في دعوته .

هذا عن الأحوال الخلقية والاجتماعية في عصر النورسي ، فماذا عن الأحوال الفكرية ؟ .

(١) راجع الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري ص ٣٠٠-٣١٥ .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٥٩ - ٦٠ .

الأحوال الفكرية

بدأت حركة التغريب بشكل ظاهر في الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات عام (١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م) ، وأخذت في النمو شيئاً فشيئاً حتى كانت أحد أسباب سقوطها ، ثم وصلت إلى مداها في عهد الجمهورية الكمالية . ولم تدخل الحركة التغريبية الحديثة الدولة العثمانية من فراغ ، ولكن وجدت عوامل كثيرة ساعدت على دخولها وانتشارها في الدولة ، منها :

١- المبتعثون إلى أوروبا :

فقد اضطرت الدولة العثمانية إلى إرسال بعض طلبتها إلى أوروبا لنقل ما لدى الغرب من تنيات حديثة للاستفادة بالمعطيات العلمية الجديدة ، غير أن الشباب المبتعثين لم يكونوا على إمام كاف بالإسلام ، وكانوا يعانون من فراغ فكري ، مما هياهم للوقوع في أسر الأفكار الغربية ، فعادوا متشبعين بها ودعاة إليها ، وبدعوا يطرحون حلول المشاكل في المجتمع من واقع ما وجدوه في أوروبا دون مراعاة للتشريعة .

٢- المؤسسة العلمية لوضع الخطط والمناهج (أنجمنى دانش) :

فقد أنشئت هذه المؤسسة عام (١٨٥١ م) بغرض إعداد الخطط والمناهج للمقررات الدراسية في دار الفنون (جامعة استنبول) رغبة الإسهام في تزويد الشعب بالعلوم والمعارف ، وإزالة الجهل المتفشى في المجتمع ، غير أنها ابتعدت عن هذه المهمة ، ووجهت عنايتها إلى توثيق النصلة الفكرية بين الدولة العثمانية والدول الغربية.. وقد ساهمت هذه المؤسسة في جلب الأفكار الغربية المشتملة على كثير من المساوئ والانحرافات لتحل محل الأفكار الصحيحة المنبثقة من العقيدة الإسلامية .

٣- إنشاء كتب الترجمة :

فقد أنشئ هذا المكتب فى الدولة العثمانية عام (١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م) بهدف تخريج أجيال تستطيع الدولة الاعتماد عليهم فى القيام بمهمة ترجمة ما فى اللغات الأجنبية من ثقافات وتنظيمات تتعلق بالمباحثات الرسمية ، وعلاقات الدولة بغيرها من الدول ، وكانت الترجمة قبل ذلك مقتصرة على الأقليات غير المسلمة فى أجهزة الدولة .

وبعد فترة وجيزة من إنشائه أى عام (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م) تحول إلى مدرسة فكرية ، صارت ترمى إلى تنشئة الجيل على أساس فكرى غربى إلى جانب تعليم اللغات الأجنبية .

وكان مما ترجم فى هذه الفترة إلى اللغة العثمانية ، الكتب التى تروج لمبادئ الثورة الفرنسية ، لبث روح التغيير فى نفوس الشباب مثل كتاب " روح القوانين لمونتسكيو " ، وكتب " جان جاك روسو " وفولتير " وغيرهم . وكان لها تأثيرها مع الأيام على الجيل الجديد الذى شب فى عهد الجمهورية .

٤- الغربيون المتقدمون للعمل فى المدارس والكلية العسكرية :

فقد استقدمت الدولة العثمانية أعداداً من الأساتذة الأوربيين للتدريس فى المدارس والكلية العسكرية وكان لهم - فرنسيين ثم ألمان - تأثير كبير على الطلاب ، إذ قاموا بنشر الأفكار (الأيديولوجيات) الغربية فى تلك المؤسسات التى كانت تضم الصفوة المختارة من المتقنين العثمانيين . وكان من مقرراتها تدريس كافة كتب الفلاسفة الماديين الذين أعدوا للثورة الفرنسية .^(١)

٥- موظفوا السفارات العثمانية المبتعثون إلى أوروبا :

فقد أرسل منذ عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٧-١٢٢٢هـ / ١٧٩٢-١٨٠٧ م) عدد من موظفى الدولة للعمل فى سفاراتها فى الدول الغربية ، وقد

(١) الأوضاع الثقافية فى تركيا فى القرن الرابع عشر الهجرى ص ١٠١-١٠٦ باختصار .

احتكوا بالغربيين مباشرة ، واطلعوا عن قرب على المنجزات الصناعية ، ولذا نادوا بعد عودتهم إلى الاقتباس من الغرب ، وكان ذلك على نطاق ضيق فى بداية الأمر ، ثم بدأ يتسع مع مرور الأيام ، حتى وصل إلى مداه فى عهد الجمهورية الكمالية .

٦- الجمعيات الفرنسية فى كل من فرنسا واستنبول :

فقد تشكلت فى فرنسا جمعية " أصدقاء الشرق " وكانت تضم فى عضويتها رجال المال والأدباء والدبلوماسيين . وكانت الأم الروحانية لتركيا الفتاة باعتراف أحد أعضائها. وقد أسهم الفرنسيون المقيمون فى استنبول بنشر الأفكار الغربية والترويج لها ، من خلال تشكيلهم للنوادي والجمعيات التى أنشئوها داخل استنبول.

وأهم هذه الجمعيات " الجمعية الجمهورية لأصدقاء الحرية والمساواة " ثم " الجمعية الشعبية الجمهورية " . ويرجع تأثير الثقافة الفرنسية على المتقنين العثمانيين الجدد إلى تلك الجمعيات ، وإلى البعثات العلمية إلى فرنسا بشكل خاص .

٧- المؤسسات التعليمية الأجنبية فى استنبول :

فقد قامت هذه المؤسسة بتخريج (كوادر) إدارية ودبلوماسية واقتصادية ، تتخذ من (الأيديولوجيات) الغربية مصدراً لها فيما تتبناه من أفكار ، وما تتخذه من مناهج وأساليب فى كل ما يتصل بالأمور السياسية والأنظمة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية .

واستطاع هؤلاء الذين تخرجوا من تلك المؤسسات الإطلاع باستمرار على

التطورات الحديثة فى العالم ، بسبب معرفتهم لغة أجنبية أو أكثر^(١) ومحاولة ربط الدولة من واقع وظائفهم بهذه التطورات ، اتفقت مع الإسلام أم تصادمت معه وقد زاد نفوذ هؤلاء فى نهاية الدولة العثمانية ، ثم صاروا أصحاب الكلمة المسموعة فى عهد الجمهورية الكمالية .

تلك كانت أبرز العوامل التى فتحت الباب واسعاً أمام الأفكار فى الدولة العثمانية ، والتى مهدت الطريق لضعفها ثم لزوالها فى النهاية . غير أنه من الإنصاف الاعتراف بأن هذه الفترة (أخريات الدولة) شهدت صراعاً مريراً بين أصحاب الاتجاه التغريبي وكانوا كثرة وأصحاب الاتجاه الإسلامى الأصيل ، أمثال جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عاكف ، وسعيد حليم باشا ، وخريوطى زاده ، ومصطفى أفندى ، وأحمد حمدى آقسكى ، وإسماعيل أرطغرل ، وأحمد حلمى وغيرهم .^(٢)

لكن كانت الغلبة فى النهاية لممثلة الاتجاه التغريبي الذى مكن له عسكرياً وإدارياً وثقافياً ، وأعلن بدون موارد عداه للإسلام ودعاته خاصة بعد إلغاء الخلافة وقيام الجمهورية . وقاد مصطفى كمال نفسه الحملة على الإسلام ودعاته ، وكان مما قاله : " إنه ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين وإن ذكر الدين الإسلامى فى الدستور التركى عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) إثر إلغاء الخلافة ، لم يكن إلا مجازاة للأفكار القديمة البالية ، ولكن ذلك مقضى عليه بالزوال"^(٣).

وكانت عداوته للدين شغله الشاغل طوال فترة حكمه التى استمرت ما يقرب من أربعة عشر عاماً . يقول الكاتب التركى " عرفان أوركا " فى كتابه " أتاتورك " :

" قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين ، فإنه منافسه الأكبر وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله ، إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة ، وكان

(١) انظر المرجع السابق ص ١٨-٢٦ باختصار .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى المصدر السابق ص ٢١٩-٢٤٢ .

(٣) مجلة الفتح من مقال لمحب الدين الخطيب بعنوان أنقره والدين الإسلامى (٢٨٠-٢٨٣) العدد ٦٨

(٢ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ) .

لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملاً هداماً في الماضي ، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة ، وقد تناسى أن الإسلام وحده هو الذى أسس الإمبراطورية العثمانية الواسعة ، وكان يرى أن الناس قد أصبحوا قريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام .

وكان يبغض الرجل الذى يخضع للقضاء والقدر ويقول : " هكذا أراد الله " وهذا الذى قُدِّر لى " . وكان يعتقد أنه لا وجود للإله ، والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول فى أكثر الأحيان : إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على " قسوة " الآله ، ولكن يقول المتدينون : " الله يمهل ولا يهمل " .. كان يقول ألم يطلع هؤلاء المتدينون على الطاقة الكهربائية التى تستغل بسرعة ؟ " ، وكان مصمماً على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ، ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة وإلى الخدعة والتضليل .^(١)

ويصف المؤرخ الإنجليزي " أرنولد توينبى " شناعته الكفرية فى حق العلم والدين فى تركيا من جراء استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية وتفوقه على معاصريه من الطغاة فيقول :

" وقد قام هتلر فى عصرنا بكل وسيلة بإتلاف الذخائر العلمية التى تعارض فكرته ، وبإبادتها ، وقد جعل حدوث المطابع نجاح هذه العملية شبه المستحيل . وقد كان مصطفى كمال معاصر هتلر أكثر توفيقاً ونكاه فى إثارة الطريقة التى تضمن نجاحه ، وكان دكتاتور تركيا يريد أن يحرر مواطنيه وعقليتهم من أجواء المدنية الإيرانية التى ورثوها ودرجوا عليها ، ويصوغهم بقوة فى صياغة الحضارة الغربية ، وقد اقتصر على تحويل حروف الهجاء مكان إحراق الكتب ، وقد استغنى بذلك عن تقليد إمبراطور الصين ، وقد أصبحت الذخائر الكلاسيكية للكتب الفارسية والعربية والتركية لا تتناولها أيديهم ، وأصبحت أجنبية لا تبلغها مداركهم ، وأصبح إحراق الكتب عملاً لا لزوم له ، لأن حروف الهجاء قد أُلغيت ، وقد كانت مفتاح هذا النتاج العلمى والإفادته منه ، وبذلك ستظل هذه الذخائر مقلدة فى اندراب ينسج عليها معتبوت ، ولا يطمع فى قراءتها إلا بعض الشيوخ المسنين من العلماء .^(٢)

(١) تصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية - الندوى ص ٤٥

- نظر الأوضاع الثقافية فى تركيا ص ١٢٧ - ١٢٨

وترك العنان لاتباعه يعبثون بعقيدة الأمة وفكرها على كل المستويات . حتى قال أحدهم وهو " أحمد رفيق " : " نزلنا الإله - تعالى الله عما يقول علواً كبيراً - مع السلطان عن الكرسي ، لأن المصانع هي معابدنا . "

وجاهر " توفيق فكرت " بكفره حين أعلن عدم اعتقاده بالجن والشياطين والغيبيات ، وأعلن إيمانه بالإنسان وقيمة العلم فقط .

ونظّم عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م) على غرار أشعاره الإلحادية بعض المقطوعات الشعرية ، وطلب من الدولة أن تتخذها شعاراً لها ، منها : أومن بمصطفى كمال مثال الشجاعة ، الذى أوجد مستقبل الوطن من العدم ، وبجيّشه الباسل ، وقوانينه العالية ، وأمّهات المجاهدين ، كما أومن بعدم وجود يوم الآخرة لتركيا .

وأعلن " شكرى قايا " - وزير الداخلية - عام (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) موقف الدولة تجاه الدين بقوله : " إن الأديان مؤسسات أنهت أعمالها ، وانتهت وظائفها ولا تلقى العضوية والحيوية من جديد " .

وكان يقصد بذلك الإسلام لأن غير المسلمين فى الدولة كانوا تحت ضمان الدول الغربية بموجب معاهدة لوزان ، وقد سمحوا للمسلم أن يعتنق ما شاء من دين .

مظاهر التخريب الفكرية على عهد الكماليين :

لقد برز الاتجاه الغربى إبان عصر سعيد النورسى فى المجال الفكرى على عهد الجمهورية الكمالية معلناً عداؤه السافر للإسلام وما انبثق منه من تصورات وقد تمثل ذلك فى مظاهر عدة ، منها :

١- الطعن فى الإسلام ونبيه : فقد أطلق هؤلاء لأنفسهم العنان بالتقول على الإسلام واتهامه بالرجعية وعدم ملاءمته للعصر ، ووصفوه بأنه قانون الصحراء ،

وأنه سبب تأخر المسلمين وخاصة الأتراك ، لأنه مانع من التقدم والارتقاء ، وأنه دين السيف وقد انتشر به فى البلاد ، وأنه مزيج من التعاليم اليهودية والنصرانية ، وأنه خاص بالعرب وحدهم ، وأنه عدو للأتراك .

كما تناولوا النبى ^{صلى الله عليه وسلم} فى كتاباتهم بالإساءة والافتراء مما كان له الأثر السيئ على الجيل الجديد . وتفسيره من الإسلام ونبيه إلا من عصم الله .
- النيل من علماء الدين نيلاً من الدين نفسه : فقد تمتع العلماء فى الدولة العثمانية بمكانة مرموقة ، سواء عند السلاطين أم عند الشعب ، وكانت العلاقة بينهم وبين هؤلاء قوية وممتينة ، غير أن النظام الجمهورى فى أعقاب الانقلاب أخذ على عاتقه الحط من مكانة العلماء ، والتهوين من شأنهم لدى الناس ، فأقالتهم من وظائفهم ، وألغت مخصصاتهم التى كانت لهم أيام الدولة العثمانية ، وضيقت عليهم فى القيام بواجبهم فى الأمة ، ومنعت حلقات علوم الشريعة فى المدارس ، كما أغلقت مدارس المتخصصين فى علوم الشريعة أما كلية الإلهيات التى أنشئت مع بداية عهد الجمهورية ، فلم تستطع القيام بتثيئة علماء فى التخصصات الإسلامية بل أسهمت فى تثيئة متخصصين فى علوم اللاهوت وعلم الأديان ، فهم أقرب إلى انفلاسة منهم إلى علماء الدين المتخصصين فى العلم الشرعى ، لخلو الساحة من الأساتذة المتخصصين ، فقد فصل (٩٢) أستاذاً جامعياً من جامعة " استنبول " .

ولهذا استقدمت عدداً من أساتذة علوم الدين من يوغوسلافيا - حين كانت تسمى بذلك - والهند .

كما شنت الدولة عليهم من خلال أجهزتها المختلفة ووسائل إعلامها ومفكرها حملة مسعورة متهمه إياهم بالأتانية والجرى وراء المصالح والمنافع ووصفتهم بالجمود والتعصب والرجعية والجهل وضعف القدرات العقلية ، وأنهم أصحاب أرواح شريرة ، إلى غير ذلك من الأوصاف المشينة والعبارات اللاذعة النبذينة .

٣- الدعوة إلى تغريب ما بقى من العبادات والأوامر الإلهية : فقد حاول الجمهوريون الكماليون نقل التجربة الغربية كاملة دون تمييز لما فى هذه التجربة

من عيوب ومساوي ، وما بنيت عليه من أسس ، ورسم لها من أهداف . والذي قادهم إلى ذلك عداؤهم للدين ، وتقليدهم الأعمى للغرب لتحويل الشعب التركي المسلم إلى صورة ممسوخة للغربيين في كل شيء حتى في أمور العبادات .

فمن الأمثلة على ذلك : أن هيئة مكونة من أساتذة كلية الإلهيات بجامعة (استنبول) قامت عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م) بتقديم ما أطلق عليه لائحة الإصلاحات الجديدة إلى الدولة .. فكان مما تضمنته هذه اللائحة أنه ينبغي أن تكون معابدنا نظيفة ، ومنظمة ، وملئمة لزيارتها والجلوس فيها ، مثل أن توضع فيها الكراسي وما يتبعها من منصات وسواها ، وكل ما يحتاج إليه الزائرون . وينبغي أن تؤدي العبادة باللغة التركية ، بحيث تتلى الفاتحة وسور القرآن والخطب والأدعية بهذه اللغة وحدها .. أما صيغة العبادة ، فينبغي أن يتوافر لها الجو الروحاني الملائم ، وذلك يقتضى إعداد الأئمة والمؤذنين من ذوى الأصوات الحسنة وممن لديهم استعداد للتغنى ، وأن يتم ذلك بمصاحبة الآلات الموسيقية ، لأن هنالك حاجة ماسة إلى الموسيقى العصرية لتلحين ما فى الصلوات من قراءة ودعاء .

أما خطب الجمعة والعيدى فينبغى أن تكون مكتوبة من إدارة الشؤون الدينية وحتى يتيسر القيام بذلك ينبغى أن يراعى الخطيب فى إعداد خطبته ما يتعلق بأمر العبادة والأخلاق ونحو ذلك من القيم الدينية والفضائل ، وعليه أن يتجنب بشكل قاطع ما يتصل بالأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ونحوها ...

وإذعت فئة من هؤلاء الجامعيين أن النبى ﷺ لم يلبس شيئاً على رأسه ، وأنه لم يطلق لحيته ، زاعمين أنهم لم يجدوا لذلك دليلاً من القرآن والسنة .

أما حجاب المرأة فإن السبب فى ورود الأمر به هو الفصل بين النساء الحرائر والجوارى ، ولأن الجارية - وهى أمة - تعتبر من المتاع وإذا انتقى السبب وهو الحاجة إلى الفصل ، فإن الحجاب لا يكون واجباً حينئذ ، وإن كان ورود هذا الأمر لإخفاتهم عن أنظار الرجال ، فكان يجب نزول أمر آخر ، يأمر النساء صراحة بتغطية وجوههن بخمار . ولذلك فإن الحكومة إذا أمرت بأن تكون

المرأة التركية عصرية في لباسها فليس ثمة مانع شرعي من ذلك ، وشأن المرأة في هذا شأن الرجل ، فهل ثمة مانع أن تأمر الحكومة الرجال بأن يكونوا عصريين ؟ ! . إلى غير ذلك من أمور العبادات ومسائل الحلال والحرام التي حاولوا بها مسايرة النمط الكنسي الغربي خاصة .

٤- تطويع الأدب لنشر الأفكار الغربية الإلحادية : حيث انضوى حملة الأفكار الغربية تحت جناح السلطة التي شجعتهم لبلوغ ما يريدون ، مستعملين وسيلة قوية المفعول في الأوساط المتقفة ، هي الأدب الذي كان ممتزجاً بالأدب العربي والفارسي ، لينفذوا من خلاله إلى عقول النشء الجديد في الدولة . وقد حولوه إلى أدب غربي من خلال انفتاحهم على الأدب الغربي بعامه والفرنسي منه بصفة خاصة ، لأن عدداً كبيراً منهم كان يتقن الفرنسية ، فكان هؤلاء ناطقين رسميين لأفكار الغربيين ودعاة لمبادئهم وأنظمتهم من غير حذف أو إضافة أو حتى مجرد النقد لما عندهم ، مما ساعد على ظهور الأفكار الإلحادية وانتشارها في المجتمع التركي .

وكان لترجمة كتب المستشرقين بما حوت من هجوم سافر على الإسلام وشريعته وقرآنه ونبيه إلى اللغة التركية ، وترويجها والانتباس منها ، أثر كبير في انتشار الشبهات والأباطيل خاصة بين الطبقة المتقفة .

وقد أغلق الباب في وجه كل من أراد تصحيح الأخطاء ، وتنقية الأفكار الإلحادية في الدولة . فعلى سبيل المثال هدد مدير المطبوعات بـ " أنقرة " (عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م) الأستاذ أشرف أديب بعنف بسبب كتابه : " حياة للنبي ﷺ " ردأ على ما روجه هؤلاء من افتراءات استشراقية حول النبي ﷺ ورسالته .

وأصدر في عام (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) تعميماً إلى جميع الجرائد والمجلات كله تهديد ، ذاكراً فيه أن بعض الجرائد والمجلات توميء من طرف خفي إلى اللذين وقال : " فليعلم الجميع أن ذلك يعتبر خروجاً على للقوانين " (١) .

(١) راجع الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٢٧٥-٢٨٥ باختصار

٥- تغريب التعليم : فقد بدل الجمهوريون الكماليون المناهج التعليمية التي كانت سائدة في الدولة العثمانية والتي سارت وفق الشريعة الإسلامية تبديلاً كاملاً وقرروها في مراحل التعليم المختلفة رغماً عن الشعب ، ودون مراعاة لدين أو خلق ، وأقاموا مدرسين مؤهلين لذلك بدلاً من المدرسين الملتزمين الغيورين على دينهم وأخلاقهم .

وكان أول ما شرعت الحكومة الكمالية به التضييق على التعليم الديني ثم قررت إلغائه نهائياً عام (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) ، وأسست جامعة جديدة على النمط التعليمي الغربي ، وفصلت معهد الدراسات الإسلامية عن الجامعة بحجة أن التخصص في العلوم الدينية لا يطابق الوضع المعاصر المتجه إلى اقتباس علوم الغرب الوضعية التي كانت سبب ما بلغه الغرب من التقدم ، ولهذا يجب أن تكون أساس التعليم في تركيا . واعتبر واضعوا المناهج التعليمية رأى " دوركاييم " في الدين هو : الأساس في سياستهم التعليمية ، حيث " يعتبر نشأة الأديان السماوية نتيجة لاكتمال المجتمعات البشرية ، وأن الغائب عن الحس والإدراك غير موجود بل هو تصور نتج عن العقد الاجتماعي " .

وانطلاقاً من هذا شرعوا في تلقين الطلاب في كافة المراحل الدراسية المبادئ الإلحادية المناهضة للدين ، وفي ذلك يقول أتاتورك : " نحن نأخذ قوتنا من العلم وفنون الحضارة ، ونسير حسب ذلك ، ولا نعرف شيئاً غيره " . وتم نقل المصطلحات المادية الغربية المنكرة للخالق جل وعلا أو صياغتها لما يلائم الوضع الجديد مثل مصطلح " الطبيعة " و" التطور " و" الوطنية " و" القومية " و" الصدفة " .. وجاء في المقررات الدراسية أن : " الحياة تكونت من نفسها ، حيث وجدت الأسباب لتكونها " دون أي تدخل خارجي ، وأن : " أصل الإنسان قرد " بناء على ما ذكره اليهودي " دارون " وأن " الدين ما هو إلا مظهر من مظاهر المجتمعات البدائية . " ولهذا اعتبروه من العلوم " الميتافيزيقية " التي تطرح جانباً ، وأن الاهتمام ينبغي أن يتوفر للرياضات والعلوم البحتة الأخرى . وتبع ذلك تشويه مادة التاريخ الإسلامي المقررة على الطلاب ، فقد جاء فيها أن النبي (ﷺ) كان يتصرف في الأمور حسب هواه ، وأن من

الأسباب التى تقف وراء إسلام أهل (المدينة المنورة) العداوة بينهم وبين أهل (مكة المكرمة) ، وأن قصة محمد (ﷺ) قد اختلطت بالخرافات " ، وأن : " الفقه الإسلامى وأحكام الدين المقررة منذ أربعة عشر قرناً ، لا تلائم العصر الحاضر " وأن : " الإسلام لم يصل إلى مستوى الأديان العالمية إلا بعد دخول الأتراك فيه " ، وأن : " العرب قد تحكّموا فى الشعوب التى سيطروا عليها ، واستخدموا الإسلام نفوذاً سياسياً " .

كما صوّر العثمانيون بصورة أقرب إلى الخيال ، ونسجت حولهم قصص عن حياة مليئة بالمجون . وكتب عنهم ما يناهى الأخلاق والتربية . وأصبحت كلمة (عثمانى) مرادفة لكل أنواع السيئات . واقتربت أسماء السلاطين بضروب من الخيانة والجري وراء الملذات .

وفى المقابل جلّوا رجال الغرب ومجدوهم ، وذكروا حياتهم بكل تفصيل ، وفى بعض الأحيان يكلف الطلاب بحفظها . وقد لعبت الكتب المترجمة دوراً كبيراً فى هذا التشويه ، يقول مدير المدرسة الثانوية الألمانية فى (استنبول) وهو الدكتور " ريتشارد برويزر " : " إن كتب القراءة مترجمة من الكتب الأوربية ولا شك أن الطلاب فى هذه الحالة سوف يكونون غرباء عن بلدهم وتاريخه وجغرافيته ، وفى الوقت نفسه فهم يحصلون على معلومات عن البلد الذى تتبعه هذه المدرسة " . (١)

وحتى يتم قطع صلة الطالب بدينه وتاريخه ، صدر قرار بمنع استخدام الحروف العربية ، واستبدال الحروف اللاتينية بها ، وشن عدد من الباحثين حملة على لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، زعموا فيها أنها منافية لشهامة الترك ونجابة الروح التركية الأصيلة ، وأنها غير قادرة على الخطابة المؤثرة فى السامعين ، وأنها صعبة للغاية ، ومانعة من التقدم والارتقاء ، أما الأبجدية الجديدة فسوف تسهل التعليم على النشء ، وتلحقنا بركب الأمم المتحضرة المستخدمة للحروف اللاتينية ، إلى غير ذلك من الدعاوى المغرضة الخبيثة .

(١) مدارس الجولسيس . نجدت سونج ص ٧٤-٧٥ .

وإضافة إلى ذلك خلطوا بين الطلاب والطالبات في قاعات التدريس بالمدارس والكلليات ، تقليداً لما هو سائد عند الغرب ، مما كان له أثره السئ على أخلاق الطلاب وسلوكهم وتحصيلهم العلمى فى هذه المرحلة الخطيرة من حياتهم .^(١)

وكانت نتيجة هذا الاتجاه التغريبي فى التعليم أن تخرج جيل مشوه علمياً لا هو حافظ على أصالته التى تمتع بها قروناً ولا هو انتفع بما لدى الغرب من تقنيات علمية حديثة ، فظلت تركيا باقية على تبعيتها العلمية للدول الغربية وتأخرها عنها بمراحل كثيرة ، يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى :

" إن دور الشعب التركى فى اقتباس الحضارة الغربية كان دوراً تقليدياً يخلو من كل " أصالة" ومن كل ابتكار ومن كل عمامية . ومن كل إنتاج ، فلم تعمل شيئاً جدياً للسيطرة على هذه الحضارة التى انطلقت من الغرب المادى ولم تعمل شيئاً لامتلاك ناصيتها والتغلب على قيادتها ، إنما كان دورها دور الاستيراد ودور الاستعارة ، ودور التطبيق ، لا أقل ولا أكثر ، ولم ينبغ فيهما فى هذه الفترة نابغة فى العلوم التطبيقية ولا عملاق فى العلوم والآداب ، ولا مؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر والفلسفة ، ولا من يمد هذه الحضارة بشيء أصيل له قيمته العلمية ولذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على هامش الشعوب الأوروبية ، ولم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية والحماسة الدينية ، والدوافع الخلقية ، والزعامة فى العالم الإسلامى."^(٢)

٦- زيادة نشاط الإستشراق ، والإرساليات التبشيرية ، والمنظمات اليهودية فى جميع أنحاء تركيا بصورة ملحوظة .^(٣)

٧- كما علت أصوات النعرة القومية التطورانية التى صارت بديلاً عن الدين بفعل كتابات المفكرين وتوجهات الدولة .^(٤)

(١) الأوضاع الثقافية فى تركيا ص ٢٨٧-٢٩٨ باختصار .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٤٧ .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى الأوضاع الثقافية فى تركيا ص ١٣٨-١٧١ .

(٤) راجع حاضر العالم الإسلامى لشكيب أرسلان (١٥٧/١-١٦٠) ، الأوضاع الثقافية فى تركيا ص

كانت هذه هي الأحوال الفكرية في عهد الجمهورية التركية على عهد سعيد النورسى التي كانت حرباً على الإسلام ودعاته ، وما آل إليه الأمر بعد تمكنهم من العبادة والبلاد ، ولم يكن النورسى بمنأى عنها ، إنما كان في الميدان مع أقرانه يدير رحا معركة الصراع الفكرى ضد أصحاب الاتجاه الغربى الكاره للإسلام ، وكانت له صولاته وجولاته ، وكان له منهجه المتميز في مواجهة هؤلاء كما سنعرف إن شاء الله تعالى ، وبسبب ذلك ابتلى بألوان شتى من الابتلاءات ، لكنه وقف كالجبل الأشم أمام أعاصير التيارات المعادية ، ولم يمت حتى رأى بعض ثمار جهوده وجهود معاصريه من الدعاة المسلمين . لكن من يدع الزمان سعيد النورسى ؟ وما حياته ؟

ذلك ما سنعرفه في الباب التالى بمشيئة الله .

الباب الثاني
حياة النورسي
(الدعوة الميدانية)

- 📖 الفصل الأول : سعيد القديم " المرحلة الأولى "
- 📖 الفصل الثاني : سعيد الجديد " المرحلة الثانية "
- 📖 الفصل الثالث : سعيد الثالث " المرحلة الثالثة "

مربك فى الباب السابق ما وصل إليه المجتمع التركى من انحطاط سياسى واجتماعى وخلقى وفكرى ، وابتعاد عن شرع الله تعالى بما أحدثته يد التخريب فى الدولة بقيادة أتاتورك ورفاقه الأمر الذى أوجب على دعاة العصر المجددين بذل كل ما فى وسعهم للعودة بالأمة مرة أخرى إلى هويتها الإسلامية التى أفقدها إياها هؤلاء الملحدون ، والوقوف فى وجه تيارهم الإلحادى الشامل . ومن فضل الله أن سعيد النورسى كان فى مقدمة الدعاة المصلحين الذى كانت حياته حافلة بالأحداث العظيمة دفاعاً عن الإسلام وتثبيتاً له فى القلوب ، ووقفاً فى وجه طغاة القرن العشرين ، فهز بذلك تركيا من أقصاها إلى أقصاها وقذف - بتأييد الله له - الرعب فى قلوب الأعداء ، كما سيتبين لنا فى الصفحات القادمة من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

وقد مرت حياته بثلاث مراحل - كما ذكر هو - لكل مرحلة ظروفها وتقديم العلاج المناسب لها .

ولهذا فإن الحديث عن حياة الأستاذ النورسى سيكون بمشيئة الله تعالى من خلال الفصول التالية :

- الفصل الأول : سعيد القديم " المرحلة الأولى " .
- الفصل الثانى : سعيد الجديد " المرحلة الثانية " .
- الفصل الثالث : سعيد الثالث " المرحلة الثالثة " .

سعيد القديم

" المرحلة الأولى "

أطلق الأستاذ النورسي - رحمه الله - على نفسه " سعيد القديم " في المرحلة الأولى من حياته والتي ابتدأت من مولده وانتهت بإقامته في مدينة " بارلا " عام (١٩٢٦ م) . وكانت فترة التكوين والإعداد والمواجهات وإليك الحديث عنها بشيء من التفصيل :

مولده

بين الجبال الشم الرواسي الضاربة بقممها المكسوة بالثلوج في السماء ، تنقية الصافية ، ومع نداء الفجر ولد سعيد النورسي في قرية " نورس " وهي إحدى قرى قضاء " خيزان " التابع لولاية (بيليس) شرق الأناضول سنة (١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م) .

كان والده " ميرزا " رجلاً ورعاً يضرب به المثل في ذلك ، لم يذق حراماً ، ولم يطعم أولاده من غير الحلال ، حتى أنه إذا عاد بمواشيه من المرعى ، شد حراها لئلا تأكل من مزارع الآخرين . وتقول أمه " نورية " : إنها ما أرضعت طفلياً إلا وهي على طهر ووضوء . (١)

نشأته العلمية :

ظهرت مخايل النبوغ والذكاء على سعيد النورسي منذ طفولته ، حيث كان يحسن السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه ، فكان يحضر مجالس الكبار

جميع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وأثاره إحصان قاسم الصالحى ص ٩١. دار الوفاء للصورة . الثالثة . ١٩٨٨م . ، بديع الزمان سعيد النورسي . مصطفى زكى العاشور ص ١٨ . دار احرف للطباعة والنشر . ألمانيا الغربية . بدون ، الفكر الأدبي والدينى عند الداعية بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ٥٠ . سمر رجب ص ٣١ ، مجلة الأمة . ص ١٦ من مقال للدكتور عماد الدين خليل بعنوان - التحول عدد ذو القعدة ١٤٠٥هـ .

ويصغى إني ما يدور بينهم من مناقشات في مسائل شتى ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منزل والده ليالي الشتاء الطويلة .

كان أنوفاً عزيز الجانب ، لا يقبل الضيم ، وينفر من الظلم منذ صغره وقد تأصلت وقويت هذه الأخلاق عنده ، عندما بلغ مبلغ الرجال ، وانعكست على كل تصرفاته مع من قابلهم من مسئولين وحكام .

تلقى علومه الأولى في كتاب قرية " طاغ " على يد " محمد أفندي " سنة (١٨٨٢م) ، وكان يتلقى على أخيه الكبير " الملا عبد الله " دروساً في عطلات الأسبوع .. إلا أنه لم يلبث في هذه القرية طويلاً ، فاستمر على دراسته في قرية " بيرمس " .

كان نظام المدارس " الكتاب " في شرق الأناضول آنذاك قائماً على إعطاء حق فتح المدارس العلمية الدينية لكل عالم مجاز ، وتكون مصاريف الطلاب على عاتق منشي المدرسة إن كان قادراً على ذلك ، وإلا فإن هذه المصاريف تعطى من زكاة الناس ومن تبرعاتهم ، لذا كان طلاب المدارس الدينية ينتشرون في القرى لجمع الزكاة لتأمين مصاريفهم ، ولكن " سعيداً الصغير " لم يكن يرضى لنفسه أن يأخذ زكاة أو صدقة ، لذلك فإن أصدقائه عندما توزعوا في القرى لجمع الزكاة والصدقات لم يذهب معهم ، مما أثار تقدير وإعجاب القرويين الذين جمعوا له فيما بينهم مساعدة مالية وقدموها له ، إلا أنه رفض أن يأخذها ، فاضطروا إلى إعطائها لأخيه " الملا عبد الله " . وفي سنة (١٨٨٨م) ذهب إلى " بتليس " والتحق بمدرسة الشيخ " أمين أفندي " ولم يلبث فيها طويلاً كذلك ، لأن الشيخ هذا رفض تدريسه لصغر سنه وأوكله إلى شخص آخر مما حز هذا في نفسه ، لذلك فقد قصد إلى مدرسة " مير حسن ولى " في " مَكْس " ثم إلى مدرسة في واسطان " كواش " وبعد شهر واحد فقط ذهب مع صديق اسمه " ملا محمد " إلى مدرسة في قضاء " بايزيد " التابعة لولاية " أخرى " ، وهنا بدأت الدراسة الدينية الأساسية في حياة سعيد ، إذ أنه لم يكن قد قرأ حتى الآن سوى النحو والصرف .

في هذه المدرسة وتحت رعاية الشيخ " محمد جلالى " قضى سعيد ثلاثة أشهر في دراسة جادة ومكثفة ، حيث قرأ فيها جميع الكتب التي كانت تدرس عادة في مثل هذه المدارس الدينية . كان في هذه الأثناء منقطعاً عن العالم يقضى معظم

لوقته - وخاصة في الليالي - بجانب ضريح الشاعر " أحمد خاني " حيث كان يستمر في القراءة على ضوء الشموع ، وبعد انتهاء الأشهر الثلاثة أخذ إجازته لعلمية من الشيخ " محمد جلالى " .

وفي سنة (١٨٨٩م) ذهب إلى " بتليس " وحضر بعض دروس الشيخ " محمد أمين " ومن هناك إلى مدينة " شيروان " حيث كان فيها أخوه الكبير " الملا عبد الله " ومنها إلى " سبورد " حيث ذهب إلى مدرسة العالم المعروف " فتح الله نخدى " الذى أعجب بذكائه الخارق وحافظته المتفردة التى أنهلته حتى قال له : " إن لاجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً . "

ولم يلبث أن انتشرت شهرة هذا الشاب الخارق ، فأقبل عليه علماء المدينة يجالونه ويحاولون إجرأجه بأستلثهم ، وقد أفحمهم جميعاً مما جعلهم يطلقون عليه : " سعيدى مشهور " أى سعيد المشهور .

ثم ذهب إلى " بتليس " ومنها إلى مدينة " تلو " حيث اعتكف مدة فى إحدى أماكن العبادة ، وحفظ هناك من " القاموس المحيط " للفيروز آبادى حتى باب السين .

وفي سنة (١٨٩٢م) ذهب إلى " ماردين " حيث بدأ يلقى دروسه فى جامع المدينة ، ويحجى عن أسئلة قاصديه . وقد أحس والى المدينة " نادر بك " لوشاية لبعض بأن هذا الشخص خطر ، وأنه يحدث بلبلة فى المدينة لذلك قرر نفيه منها ، فسيق بصحبة الجندرمة (الشرطة) ويدها مغلولتان إلى مدينة " بتليس " ، غير أن والياً " عمر باشا " عرف فضيلة سعيد ومنزلته فأحبه ، وأصر عليه أن يقيم معه فى منزله ، فاستمع فى أول الأمر ولكنه قبل تحت الإلحاح الكثير ، وخصص له لوالى غرفة فى بيته فوجدها سعيد فرصة لمطالعة كثير من الكتب العلمية ، مثل كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية التى حفظ بعضها وفى هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم القاضى الشيخ " محمد الكفروى " .

وفي سنة (١٨٩٤م) ذهب إلى " وان " بدعوة من واليها (حسن باشا) حيث بقى عنده ، ثم فى منزل (طاهر باشا) وهياً الله له ظروف الالتقاء ببعض أساتذة العلوم الحديثة من جغرافية وتاريخ وكيمياء وفيزياء وحيولوجيا وفلسفة

وغيرها ، وحينما دخل معهم فى نقاش شعر بقصوره فى هذه العلوم ، مما جعله يقبل على تعلمها بشغف عظيم حتى أتقنها وأصبح متمكناً منها لدرجة أنه كان قادراً على التأليف ومناقشة المختصين فيها .
ولتعدد قابلياته ولذكائه الخارق ، قد ذاعت شهرته وأطلق عليه لقب " بديع الزمان" (١)

ورغم هذه الشهرة والانتكباب على العلم لم ينس حق البدن ، وإعداده إعداداً يصلح به لقيادة الجيوش فى سبيل الله تعالى ، فتعلم الرماية والمصارعة وركوب الخيل ، وأخذ نفسه بأسباب القوة ، فكان ذا روح عسكرية عالية : شجاعاً مقداماً لا يخاف ولا يتردد . (٢)

محاولته إنشاء جامعة إسلامية :

عنى بديع الزمان بالإطلاع على الصحف اليومية والمطبوعات أثناء إقامته فى " وان " وبخاصة ما ينشر بها عن العالم الإسلامى ، وذات يوم قرأ خبراً هز كيانه هزاً عنيفاً ، فقد نشرت الصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطانى (غلادستون) فى مجلس العموم البريطانى وهو يخاطب النواب ويديه نسخة من القرآن الكريم: ما دام هذا القرآن بيد المسلمين قلن نستطيع أن نحكمهم ، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به ... زلزل هذا الخبر كيانه زلزالاً شديداً وصمم بينه وبين نفسه على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن وربط المسلمين بكتاب الله حيث قال : " لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها . "

(١) قطر بديع الزمان سعيد النورسى نظرة عامة عن حياته وآثاره الصالحى ص ١٩-٢٤ ، والفكر الأنبى والدينى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى د. سمير رجب ص ٣٢-٣٩ .
(٢) الحركة الإسلامىة الحديثة فى تركيا . مصطفى محمد ص ١٢٤ ، وأنظر بديع الزمان سعيد النورسى فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى ص ٢٠١ كلمة د. عماد الدين خليل " الرحيل إلى استنبول " ، دار سوزلر للنشر بالقاهرة ١٩٩٢م ، النورسى متكلم العصر . د. محسن عبد الحميد ص ١٠-١١ . دار سوزلر للنشر بالقاهرة .

لذلك فقد قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم " مدرسة الزهراء " لخدمة القرآن ، على غرار جامعة الأزهر ، يدرس فيها العلوم القرآنية والعلوم الحديثة لتتسنة شباب متقف يجمع بين ثقافة الماضي ، والحاضر ، وتكون له القدرة على نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان . ولتحقيق فكرته هذه سافر إلى استنبول ، وبقي هناك في بيت أحد أصدقائه سنة ونصف سنة في محاولة مستمرة لإقناع المسؤولين بفكرته ، والظاهر أنه لم يوفق في مسعاه ... فرجع إلى (وان) .

ثم رجع إلى استنبول مرة أخرى سنة (١٩٠٧م) ، حيث سكن في (خان شكرجي) بمنطقة (الفاتح) حيث كان مقراً لكثير من المفكرين والأدباء أمثال الشاعر المشهور محمد عاكف (١٨٧٣م-١٩٣٦م) وآخرين ، فعرض عليهم فكرته واستحسنوها ، وجرت بينه وبينهم مناقشات علمية أثبتت فيها نبوغه حتى أن (حسن فتني) وهو من علماء عصره قال عنه : " إنه من نوادر الخلق ولم أر مثله قط " .

وفي أثناء إقامته في استنبول علق لوحة على باب غرفته كتب عليها :

ها يجاب عن كل سؤال ، وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحداً من الناس . (١)

ورد السيد (حسن فهمي باش أوغلو) ذكرياته حول هذا الموضوع فيقول : " عندما جاء شاب يدعى بديع الزمان " إلى استنبول كنت أدرس في مدرسة (الفاتح) ، وسمعت أنه علق لوحة على باب غرفته قال فيها ما معناه : " هنا يحل كل أمر معقد ، ويجاب عن كل سؤال " ، ولكنه لا يسأل أحداً ، وقد تبادل في معنى أن صاحب مثل هذا الادعاء لابد أن يكون مجنوناً ، ولكن توالى التناء على " بديع الزمان " من جميع من الطلاب والعلماء الذين قاموا بزيارته أثار في نفسي الرغبة في زيارته . وقد قررت أن أحضر أحد الأسئلة وأدقها لأسأله ، وكنت آنذاك أعتبر من المتقدمين المتفوقين في المدرسة .. وأخيراً وفي إحدى الأمسيات ، اخترت من الكتب التي تبحث في " الإلبيات " بعض الموضوعات المعقدة التي لا يمكن الإجابة عنها إلا بمجلدات من الكتب . وفي اليوم التالي ذهبت لزيارته ، ووجهت إليه الأسئلة ، وقد كانت حيرة عجيبة وخارقة ومدهشة ، إذ أجابني وكأنه معي بالأمر ينظر إلي تلك الكتب ، فأصبحت موقناً حتماً بأن علمه ليس كسبياً - كعلمنا - بل هو علم لدني . (بديع الزمان سعيد النورسي الصالحي ص ٢٣-٢٤) .

كان هذا إعلاناً غريباً وادعاءً مثيراً ، مما زاد على شهرته - التي سبقته إلى استنبول - من رغبة الكثيرين في رؤيته .^(١)

أول معاكمة له :

انتهز سعيد النورسي فرصة وجوده في استنبول ، فقدم عريضة إلى السلطان " عبد الحميد " يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء ... الخ ، بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول ، حيث يخيم الجهل والفقير على سكانه .

وقابل السلطان نفسه ، وأثناء المقابلة انتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات لقصر " يلدز " الذي كان يسكنه السلطان ويدير منه شؤون الدولة ، رغم أنه كان يطلق على السلطان عبد الحميد " السلطان المظلوم " ويصفه بأنه ولي من أولياء الله ، وخليفة المسلمين .

أثار هذا الانتقاد نغمة حاشية للسلطان التي لا تمثل فكرة السلطان ، فأحالوه إلى محكمة عسكرية .

وفي هذه المحكمة تكلم بجرأة كبيرة ، مما حدا برئيس المحكمة إلى إحالته إلى الأطباء لفحص قواه العقلية ، وقد أصدرت لجنة الأطباء التي كانت مؤلفة من : طبيب تركي ، وطبيب أرمني ، وطبيب رومي ، وطبیبین يهوديين ، قراراً بوضعه في مستشفى " طوب طاش " للمجانين .

وعندما حضر إليه (في المستشفى) أحد الأطباء لفحص قواه العقلية ، بإدره للنورسي ، وحدثه حديثاً أخذ بمجامع قلبه ، مما اضطره إلى كتابة التقرير التالي :

" لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان ، فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد . "

(١) بديع الزمان سعيد النورسي - الصالحى ص ٤٠-٤٢ ، بديع الزمان سعيد النورسي - رائد الحركة الإسلامية في تركيا . أحمد بهجت ص ٤-٥ من إصدار دار سوزار باستنبول .

وعلى إثره أرسل بنديع للزمان إلى وزارة الداخلية ، حيث قابله الوزير ،
وجرت بينهما المحاوراة الآتية :

الوزير : إن السلطان يخصك بالسلم مع مرتب بمبلغ ألف قرش ، وعندما
تعود إلى بلدك سيجعل مرتبك ثلاثين ليرة ، كما أرسل لك ثمانين ليرة هدية
سلطانية لك .

بنديع الزمان : لم أكن أبداً متسول مرتب ، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة ، لأننى لم
أت لفرض شخصى ، وإنما لمصلحة البلد ، فما تعرضون على ليس سوى
رشوة السكوت .

الوزير : إنك بهذا ترد الإرادة السلطانية ، والإرادة لا ترد .

بنديع الزمان : إننى أرد ، لكى يستاء السلطان ويستدعيني . عند ذلك أستطيع أن
أقول له قولة الحق .

وزير : إن العاقبة ستكون غير سارة .

بنديع الزمان : تعددت الأسباب والموت واحد ، فلئن أعدم فسوف أرقد فى قلب
الامة ، علماً بأننى عندما جئت إلى استبول كنت واضعاً روحى على
كفى .. اعملوا ما شئتم ، فإنى أعنى ما أقول .. إننى أريد أن أوقف أبناء
الامة ، ولا أقوم بهذا العمل إلا لأننى فرد من هذا البلد ، لا لأقتطف من
ورائه مرتباً ، لأن خدمة رجل مثلى للدولة لا تكون إلا بإسداء النصح ،
وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها ، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية ،
فإننى معذور إذن عندما أرفض المرتب .

وزير : إن ما ترمى إليه من نشر المعارف فى بلدك هو موضع دراسة فى
مجلس الوزراء حالياً .

بنديع الزمان : إذن فلم يتأخر فى نشر المعارف ، ويستعجل فى أمر المرتب ؟ .
ما تؤثر منفعتى الشخصية على المنفعة العامة للامة ؟ .

ثم ذهب إلى " سلانيك " وتعرف هناك على كبار شخصيات الاتحاد والترقى
، ولكونه شخصاً يدعو إلى الحرية وإلى مبدأ الشورى الإسلامى ، فقد لقى
ترحيباً من قبل قادة الاتحاد والترقى ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يجعلوه

تابعاً لهم ، إذ بقي مستقل الفكر والشخصية ، وعندما شعر من بعضهم بعدم الاستقامة والعداء للدين قال لهم : " لقد اعتديتم على الدين ، وأدرتم ظهوركم للشريعة " .

وقد أثارت هذه الأقوال فى سلانيك مخاوف الماسونيين الذين كانوا من وراء الحركة الاتحادية فأرسلوا اليهودى المشهور " عمانوئيل قره صو " رئيس المحفل الماسونى ، وعضو مجلس للمبعوثان (النواب) العثمانى ، الذى طلب مقابلته طمعاً فى التأثير عليه وجره إلى صفه ... وتمت المقابلة ولكن ما لبث أن خرج اليهودى من عنده وهو يقول :

" لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجنى بحديثه فى الإسلام " .. و " قره صو " هذا هو أول صهيونى ماسونى عمل على قلب الخلافة ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وعندما أعلنت المشروطية الثانية فى الدولة العثمانية سنة (١٩٠٨ م) والتي قضت بإعلان الدستور ، وانتخاب مجلس نواب تكون الوزارة مسئولة أمامه ، صرف النورسى جل همه إلى إلقاء الخطب ، وكتابة المقالات مبيناً فيها مفهوم الحرية فى الإسلام ، وتأثير الإسلام فى الحياة السياسية ، ومطالباً بتحكيم الشريعة الغراء ، ومحذراً من التفسير الخاطئ للحرية ، حيث شعر بأن هناك محاولات خبيثة وأيد خفية تحاول أن تستفيد من هذه (المشروطية) لخدمة أغراض مناهضة للإسلام ، فكان يقول : " بنى وطنى لا تسيئوا تفسير الحرية كى لا تذهب من أيديكم . لا تصبوا للعبودية العفنة فى قوالب براقه وتسقونا من علقمها ، إن الحرية لا تتحقق ولا تموا إلا بتطبيق أحكام الشريعة ومراعاة آدابها . " (١)

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى ص ٢٨-٣٠ ، الفكر الألبى والدينى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى ص ٤٣-٤٤ ، الحركة الإسلامىة الحديثة فى تركيا . ص ١٢٦ ، رائد الحركة الإسلامىة فى تركيا المجاهد المجتهد الشيخ سعيد النورسى . أحمد بهجت ص ٣-١٠ المختار الإسلامى بالقاهرة ، النورسى متكلم العصر . د/ محسن عبد الحميد ص ١٤-١٧ .

لقاء مع مفتي الديار المصرية :

حضر إلى استنبول في هذه الأثناء مفتي الديار المصرية ، وهو الشيخ " بخيت المطيعي " وأراد علماء استنبول - الذين عجزوا عن إلزام سعيد النورسي بما أرادوا - أن يقوم بمناظرة ، وقد قبل الشيخ بخيت ذلك وانتهاز فرصة وجوده في مقهى قرب جامع " أيا صوفيا " بعد انتهاء الصلاة ليبدأ الحديث معه أمام جمع من العلماء ، ويوجه إليه السؤال الآتي :

• ما رأيك في الحرية الموجودة الآن في الدولة العثمانية ؟ وماذا تقول في مدنية أوروبا ؟.

فأجاب سعيد النورسي :

إن الدولة العثمانية حبلها جاليا بجنين أوروبا ، وستلد يوما ما ، أما أوروبا فهي أيضاً حبلها بجنين الإسلام ، وستلد يوما ما ... وأمام هذا الجواب الموجز العميق لم يتمالك الشيخ "بخيت" نفسه من القول :

تبي أوافق على كلامه ، وإبنى أحمل هذا الرأي نفسه ولا يمكن المناظرة والمناقشة مع مثل هذا الشاب . (١)

وهذا الكلام من الشيخ " بخيت " يرينا كيف أن العلماء العاملين ، وفي قناعاتهم مفتي الديار المصرية كانوا على تمام واسع بالواقع المعاصر محلياً وعالمياً . كما كانوا مشغولين بقضايا الأمة : رعاة ورعية ، ولم تكن هناك مناطق - في كلام محرمة - يجب الوقوف عندها وعدم الكلام ، ولم يعرفوا الفصل بين ما يسي دين وسياسة كما سيتبين إن شاء الله .

تأسيس جمعية الاتحاد المحمدي :

وفي (٥ أبريل ١٩٠٩م) تشكلت جمعية "الاتحاد المحمدي" في استنبول وعلم عن تشكيلها بعد اجتماع ديني حاشد في جامع " أيا صوفيا " حيث ألقى فيه " بديع الزمان " خطبة رائعة . ولم يكن من مؤسسي الجمعية وإنما كان

جمع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ٣١-٣٢ ، الفكر الأنبيى والدينى عند الداعية الإسلامى
عن الزمان سعيد النورسي . د. سمير رجب ص ٤٦-٤٧

من الداعين إليها والمناصرين لها .

قال - رحمه الله - : " ولقد دعوت ظاهراً إلى هذا الاتحاد المحمدي من أجل مقصدين : المقصد الأول - إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص ، ولأعلن شموله المؤمنين عامة كي لا يقع الخلاف والفرقة ، ولا ترد الشبهات والأوهام .
المقصد الثاني - ليكون سداً أمام افتراق الفرق والأحزاب الذي كان سبباً في هذه المصيبة الفاتنة^(١) العظيمة بمحاولة التوحيد بينها ... فيا أسفى لم يسعفنا الزمن ، فجاء السيل فأوقعنى أيضاً " .^(٢)

محاكمة :

وفي أعقاب حادثة (١٣ إبريل ١٩٠٩) التي قام بها جنود الطابور العسكرى فى " طاش قشله " احتجاجاً على تصرفات رجال " جمعية الاتحاد والترقى " المناهضة للإسلام ، فكانوا يهتفون : نريد الشريعة . نريد الشريعة .
غير أنها أخدمت - كما سبق - وعزل السلطان عبد الحميد الثانى بعدها بأيام ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة .. وكان سعيد النورسى من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق رغم دوره التهدينى للعصيان ، وقد أشار هو إلى ذلك^(٣)
، لكنه كان يكتب مقالات عنيفة ضد الاتحاد و الترقى فى جريدة " وولقان " أو البركان .

وفى المحكمة - ومنظر خمسة عشر من المشنوقين شاهد عبر النافذة - بدأ الحاكم العسكرى " خورشيد باشا " بمحاكمة بديع الزمان قائلاً له :

(١) يقصد حادثة (١٣ إبريل ١٩٠٩) .

(٢) صيقل الإسلام ص ٤٤٧ . سوزلر للنشر بالقاهرة . الثانية ١٩٩٥ م . ترجمة إحسان قاسم الصالحى

(٣) انظر صيقل الإسلام ص ٤٤٨-٤٤٩ ، ص ٥٣٩-٥٤٢ .

• وأنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة ؟ إن من يطالب بها يشنق هكذا (مشيراً
عنه إلى المشنوقين) . فقام النورسي وألقى على سمع المحكمة كلاماً رائعاً نقتطف
عنه ما يأتي :

" لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداءً لحقيقة واحدة من حقائق
الإسلام ... فقد قلت إنني طالب علم ، لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة إنني لا
اعترف إلا بملة الإسلام التي أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه
(السجن) في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة ، لا لتسمعوا أنتم وحدكم ،
بل ليتناقله العالم كله ... ألا لقد حان للسرائر أن تتكشف وتبدو من أعماق القلب ،
فمن كان غير محرم فلا ينظر إليه :

إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة ... وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين
عقوا في المشانق ... تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استنبول
وحاسنها ، فاشتاق إليها . إنني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها . إن
حكم إياي إلى هناك لا يعتبر عقوبة ... إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة
الرجائية . لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد ، والآن فإنها
تعدي الحياة ، وإذا كانت هذه الحكومة هكذا ، فليعش الجنون .. وليعش الموت ..
وتظلمين فلتعش جهنم .. " .

وفي جلسة واحدة فقط يصدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من
المحكمة الرهيبة التي شنت العشرات .

بعد براءة بديع الزمان من المحكمة العرفية ، غادر مدينة استنبول متوجهاً
إلى وان " سنة (١٩١٠م) عن طريق ساحل البحر الأسود .. حيث بدأ يلقي دروسه
وحضراته متجولاً بين القبائل والعشائر يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق .
وهناك ألف كتابه " المناظرات " الذي طبع في استنبول سنة
(١٩١٠م) . (١)

لترجييع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ٣٢-٣٥ ، الفكر الأدبي والديني عند الداعية
العلمي جيع الزمان سعيد النورسي ص ٤٤-٤٦ ، رائد الحركة الإسلامية في تركيا . أحمد بهجت
ص ١٠٠-١٠١ ، النورسي متكلم العصر د. محسن عبد الحميد ص ١٧-٢٠ .

إلى الشام :

وفي شتاء (١٣٢٧هـ/١٩١١م) زار النورسي ديار الشام ، حيث كانت أخته تعيش هناك ، وألقى خطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق ، مخاطباً العلماء وجمعاً غفيراً من المصلين ، وقد طبعت خطبته هذه تحت عنوان : " الخطبة الشامية " . (١)

تجديد السعي لإنشاء " جامعة الزهراء " :

غادر النورسي دمشق متجهاً إلى بيروت ، ومنها سافر إلى استنبول عن طريق البحر للسعي مرة أخرى في إنشاء " جامعة الزهراء " ، فقابل السلطان محمد رشاد " وصاحبه في جولته التي قام بها إلى " روملي " ، ووافق السلطان على إنشاء الجامعة ، ومنح (١٩,٠٠٠) ليرة ذهبية - كما ذكر النورسي نفسه - لتأسيسها ، وأرسيت قواعدها فعلاً ، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون إكمال المشروع (٢) .

وكان قد تجول بين القرويين الأكراد في شرق الأناضول ، فحدثهم في أمور الإسلام المختلفة ، ودارت بينهم وبينه محاورات طيبة فيها ، بما في ذلك " جامعة الزهراء " التي حضهم على المساهمة في إنشائها (٣) وسيرد بعض ما قاله في ذلك في حينه إن شاء الله .

النورسي قائداً ومفتياً :

وفي سنة (١٩١٢م) وقبيل نشوب " حرب البلقان " عين النورسي قائداً للقوات أقدانية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين لتقادمين من شرق الأناضول

(١) راجعها في صيقل الإسلام ص ٤٩٢-٥١٥ .

(٢) انظر صيقل الإسلام ص ٣٨٢-٣٨٣ ، بديع الزمان سعيد النورسي . التصالحي ص ٣٦-٧ .

والنورسي متكلم العصر الحديث د. محسن عبد الحميد ص ٢٠-٣١ .

(٣) انظر صيقل الإسلام ٤٢٧/٨ وما بعدها .

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ، أصبح عضواً فى " تشكيلات خاصة " وهى مؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية سرية ، شكلت بأمر من السلطان ، ووظيفتها المحافظة على وحدة أراضي الدولة ومحاربة أعدائها ... وكان من بين أعضائها كبار الكتاب ورجال الفكر ، وكان بديع الزمان من أنشطهم فى هذه المؤسسة التى أصدرت فتوى " الجهاد " ضد الأعداء مع بداية الحرب العالمية الأولى .

وتم نشرها فى جميع أنحاء الدولة بلغات مختلفة وفى جميع الأماكن التى كانت مستعمرة بيد الأجانب . ورجع النورسى إلى مدينة " وان " فشكل من طلابه ومن المتطوعين المدنيين فرقا للجهاد - رغم أنه كان معارضا لدخول الحرب - ويدعوا فى التدريب على القتال ، وقد خاطب طلابه قائلاً لهم : " تهيئوا واستعدوا ... إن زلزالاً شديداً أوشك على الأبواب " .

واشتهر طلابه بدقة التصويب والجرأة الكبيرة ، حتى إن عصابات الأرمن المتعاونة مع القوات الروسية كانت تتهيب لقاءهم ، رغم ضراوة المعارك التى جرت فى جبهة " القفقاس " حيث حاولت روسيا الاندفاع نحو الأناضول ... وفى (١٦ مارس ١٩١٦ م) استطاعت الجيوش الروسية - التى كانت ثلاثة أضعاف جيش العثماني-الدخول إلى مدينة " أرضروم " .

وأثناء هذه المعارك كان " سعيد النورسى " يقاثل هو وطلابه الجيش الروسى بكل ما أوتوا من جهد ... وفى هذه المعارك وفى خنادق القتال ، ألف نورسى " إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " باللغة العربية ، فكان يملئ وتلميذه " ملاحيب " يكتب .

وعندما دخل الجيش الروسى إلى مدينة " بتليس " كان النورسى وطلابه يفتنون عن المدينة ببسالة نادرة ، حيث جرى قتال شديد فى شوارع المدينة وأزقتها - إلا أن القوة الروسية كانت متفوقة إلى درجة كبيرة على القوة الصغيرة المدافعة عن قلعة .

وخلال المعركة جرح سعيد النورسى جرحاً بليغاً ، وسقط فى بركة ماء تحت أحد الجسور مع أحد طلابه . وبقي فى تلك الحالة ثلاثين ساعة مغشىاً عليه حتى ستمرار النذف . وعندما رأى تلميذه الذى كان بجواره أن النذف المستمر

والبرد الشديد سيقضيان على أستاذه ، ذهب وأخبر الجنود الروس بالأمر ، فأخذوه وأسرّوه ، وأرسلوه إلى أحد معسكرات الأسرى في " قوصترما " في شرق روسيا .
وأثناء الأسر حدثت واقعة دلت على قوة إيمانه واعتزازه بدينه رغم قيد الأسر .

فقد جاء ذات يوم خال القيصر الروسي ، وهو القائد العام للجبهة الروسية *
نيقولا نيقولايفيچ " لزيارة معسكر الأسرى ، فقام جميع الأسرى لأداء التحية ماعدا *
سعيد النورسي .

لاحظ القائد العام ذلك ، فرجع ومر ثانية أمامه .. فلم يقم له كذلك ، وفي المرة الثالثة وقف أمامه ، وجرت المحاورّة الطريفة الآتية بينهما بواسطة مترجم للقائد :

- الظاهر أنك لم تعرفني ؟
- بلى .. لقد عرفتك . إنك نيقولا نيقولايفيچ - خال القيصر ، والقائد العام في جبهة القفقاس .
- إذن فلم تستهين بي ؟ .
- كلا ، إنني لم أستهين بأحد ، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي .
- وماذا تأمرك عقيدتك ؟ .
- إنني عالم مسلم ، أحمل في قلبي إيمانا ، فالذي يحمل في قلبه إيمانا هو أفضل من الذي لا إيمان له . ولو أنني قمت لك لكنك إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي ، لذلك فإنني لم أقم لك .
- إذن فإنك بإطلاقك على صفة : عدم الإيمان ، تكون قد أهنتني ، وأهنت جيشي وأمتي والقيصر كذلك ، فيجب تشكيل محكمة عسكرية للنظر في هذا الأمر .
- تشكلت المحكمة العسكرية ، وقدم إليها سعيد النورسي بتهمة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي .

وساد حزن في معسكر الأسرى ، والتف حوله الضباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين ، ملحين عليه القيام بالاعتذار للقائد الروسي وطلب العفو منه ، إلا أنه رفض ذلك بإصرار قائلاً لهم : " إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة . لذلك

فبني بحاجة فقط إلى جواز سفر للأخرة ، وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف
يعلمني " .

وأصدرت المحكمة قرارها بالإعدام ، وفي يوم التنفيذ حضرت ثلثة من
لجنود على رأسها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام ، فقام النورسي من مكانه
بالتحياج قائلاً للضابط الروسي :
أرجو أن تسمح لي قليلاً لأؤدي واجبي الأخير " فيقوم ويتوضأ ويصلي
ركعتين .

وهنا يأتي القائد العام ليقول له بعد فراغه من الصلاة : .

• أرجو منك المعذرة ، كنت أظنك قد قمت بعملك قاصداً إهانتني ، ولكنني وثق
الآن أنك كنت تنفذ ما تأمرك به عقيدتك وایمانك ، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة ،
وقتي أهنتك على صلابتك في عقيدتك ، وأرجو المعذرة منك مرة أخرى .
وبعد أن مكث سعيد النورسي في الأسر مدة سنتين وأربعة أشهر وأربعة
يتم ، استطاع الهرب منه إثر حدوث الثورة البلشفية وما تبعها من اضطراب
وفوضى ، فوصل إلى ألمانيا حيث استقبل هناك استقبالاً كبيراً ومنها توجه إلى
استنبول وسجل سعيد النورسي تكريته عن أيام أسره . (١)

تعيينه في دار الحكمة الإسلامية :

وفي استنبول عين عضواً في " دار الحكمة الإسلامية " وهي هيئة علمية
تتبعه للمشيخة الإسلامية للدولة العثمانية ، في (أغسطس عام ١٩١٨م) تقديراً له ،
حين علمه حيث كانت عضوية الدار لا توجه إلا للأشخاص والعلماء البارزين ، إذ
كان من أعضائها : الشاعر المعروف " محمد عاكف " والعالم " إسماعيل حقي " و
المفسر المعروف " حمدي ألماللي " وشيخ الإسلام " مصطفى صيرى " و " سعد
الحق بلنغا " وغيرهم .

نظر بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ٣٧-٤٤ . لساعات ص ٥٧١-٥٧٢ ، للفكر
التي والذين عند الداعية بديع الزمان سعيد النورسي . د. سمير رجب ص ٤٩-٥٦ ، النورسي متكلم
لنصر الحديث . د. محسن عبد الحميد ص ٢١-٢٢ .

ولم يشارك النورسى فى اجتماعات " دار الحكمة " لما كان يحس به من حاجة ماسة إلى الراحة ، لما عاناه من عناء أيام الأسر .. وعندما تكرر غيابه ، أرسل طلباً يرجو إعفاه من هذه العضوية ، وفى هذه الفترة كانت الحكومة قد خصصت له مرتباً ، ولم يأخذ من هذا المرتب سوى ما يقيم به أوده ، والباقي طبع به بعض الرسائل ، وأمر بتوزيعها مجاناً على المسلمين . (١)

تحديه للإنجليز ومؤامراتهم ضد الإسلام :

فى عام (١٩٢٠م) احتلت القوات الإنجليزية استنبول ، وعقدت مع رجال الاتحاد والترقى - كما سبق - معاهدة " سيفر " المشنومة ، فأحس النورسى بهذه الطعنات الموجهة إلى الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية ، وكأنها توجه إلى قلبه هو ، وقد قال : " لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التى وجهت إلى العالم الإسلامى كأنها وجهت إلى أعماق قلبى " .

فأخذ فى مهاجمة الإنجليز بلهجة قوية رادعة من خلال كتاب " الخطوات الست " (٢) ، رد فيه على دسائسهم وفضح أطماعهم التوسعية الاستعمارية مفنداً حججهم وشبهاتهم التى أثرت آنذاك ببراهين قاطعة ، وملتفتاً أنظار المسلمين إلى أطماعهم ، ومحارباً اليأس الذى تسلط على كثير من النفوس ، فشد من عزائمها . وقد نشر ووزع سراً فى جميع أرجاء استنبول ، ولما وقعت نسخة من هذا الكتاب فى يد قائد قوات الاحتلال غضب ، وقرر غيابياً إعدام بديع الزمان بأى شكل من الأشكال ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يلحقوا به أى أذى خوفاً من ثورة عشائر الأناضول عليهم .

ومن مواقف بديع الزمان الجريئة أنه تصدى فكرياً لإحدى المؤامرات على الإسلام والتى نظمها الإنجليز . فقد وجه الإنجليز عن طريق كنيسة (انجيلكان) ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية للرد عليها فى ستمائة كلمة . فوجهتها المشيخة إلى بديع الزمان . وكان جوابه أن هذه الأسئلة لا يجاب عنها بستمائة كلمة ، ولا

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . للصالحى ص ٤٥ ، للفكر الأبنى والدينى عند الداعية بديع الزمان . د

سمير رجب ص ٥٦-٥٧ ، النورسى متكلم العصر الحديث ص ٢٣ .

(٢) راجعه فى صيقل الإسلام لسعيد النورسى - ص ٥٥١-٥٥٦ .

ت كلمات ، ولا بكلمة واحدة ، بل ببصقة واحدة على الوجه الإنجليزي اللعين .
ولما اشتدت حركة المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي أصدر شيخ الإسلام في
الوقت " عبد الله أفندي " تحت ضغط المحتلين الإنجليزي فتوى ضد هذه الحركة
وتقاتمين بها وهي قتال الإنجليز ، ولكن سرعان ما قام ستة وسبعون مفتياً ، وستة
وثلاثون عالماً ، وأحد عشر نائباً بإصدار فتاوى مضادة حيث أيدوا تلك الحركة ،
وتجسوا على قتال المحتلين . وكان بديع الزمان أحد هؤلاء العلماء حيث قال :
" إن فتوى عن مشيخة وإدارة هي تحت ضغط الإنجليز ، لا بد أن تكون غير سليمة
ولا يجوز الانصياع لها . ولذا يجب سحب هذه الفتوى " (١) .

عضويته في جمعية الهلال الأخضر :

كان لبديع الزمان نشاط اجتماعي إلى جانب نشاطه العلمي ، فقد انضم
جمعية الهلال الأخضر مستغلاً بذلك كل وسيلة متاحة للدعوة إلى الله كما سنعرف ،
وكانت هذه الجمعية بهدف محاربة شرب الخمر ومحاولة منعها نهائياً ، وكان
بديع يقول لهم : " لا بد أن نستفيد من المناقشات والحوار الذي يجري على
صفحات الصحف والمجلات وفي المحاضرات " (٢) .

موقفه من مصطفى كمال والبرلمان :

دعا مصطفى كمال الأستاذ سعيد النورسي للانضمام إليهم ، والحضور إلى
أنقرة التي كانت تمثل في هذه الفترة مركز حركة المقاومة ضد المحتلين إلا
أنه رفض الدعوة قائلاً : " إنني أريد أن أجاهد في أخطر الأماكن ، وليس
في وراء الخنادق ، وأنا أرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول " . ولكن الدعوة
عززت ، فأرسل إلى أنقرة بعض طلابه ، ثم ذهب هو إليها سنة (١٩٢٢م) ، حيث
سكن في المحطة استقبلاً حافلاً ، إلا أنه لم يسعد في أنقرة كثيراً ، إذ لاحظ

١- فكر الأبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان . سمير رجب ص ٥٨-٥٩ ، وانظر
٢- فرمان . لصالح . ص ٤٩-٥٢ ، النورسي متكلم العصر الحديث ص ٢٣ .
٣- فكر الأبي والديني عند الداعية بديع الزمان . ص ٥٧ .

بأسف بالغ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة ، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادى للإسلام أحرزته كثيراً ، لذلك فقد قرر أن يطبع بياناً في (١٩/١/١٩٢٣ م) يتضمن عشر مواد موجهاً إلى النواب يعظهم ويذكرهم بالإسلام مستهلاً بـ : " يا أيها المبعوثون .. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم " (١) .

وكانت مواد البيان كما يلي :

- ١-الامتثال لما أمر به القرآن كالصلاة وسائر الفرائض .
- ٢-الالتزام بشعائر الإسلام لينالوا محبة المسلمين لهم .
- ٣-الالتزام بالأوامر القرآنية القاطعة ، وهذا من شأن أصحاب الهمم العالية
- ٤-أن يكونوا قدوة لبقية أفراد الشعب .
- ٥-ضرورة إعطاء أهل الشرق ما يوافق فطرتهم وهو الدين لا الفلسفة ؟
- ٦-عدم التهاون في أمور الدين .
- ٧-بيان أن الإسلام لا يؤمن بالأعمال التخريبية .
- ٨-ضرورة الاستناد إلى جمهور الفقهاء المتقين . (٢)

وكان من نتيجة هذا البيان الذي وزع بين النواب ، وتولى إلقاءه الجنرال ' كازم قره بكر " القائد الأول لحركة الاستقلال ، أن ما يقارب ستين نائباً من النواب قد استقاموا على التدين وأقاموا الصلاة ، حتى أن مسجد " بناية المجلس " لم يعد كافياً للمصلين ، فانتقلوا إلى غرفة أكبر منه .

لم يرض مصطفى كمال عن هذا البيان ، فاستدعى بديع الزمان وحدثت بينهما مشادة عنيفة ، وكان مما قاله مصطفى كمال : " لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك ، لقد دعوتك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة ، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة ، لقد كان أول جهودكم هنا هو بث التفرقة بين أهل هذا المجلس " .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي - الصالحى ص٥٢.

(٢) انظر الفكر الأنبي والدينى عند الداعية بديع الزمان ص٥٩-٦٠ .

فأجابه بديع الزمان مشيراً إليه بإصبعه فى حدة : " باشا .. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هى الصلاة وأن الذى لا يصلّى خائن وحكم الخائن مردود . "

لذلك قرر مصطفى كمال إبعاده عن أنقرة بحجة تعيينه واعظاً عاماً للولايات الشرقية وبمرتب مغرٍ ، ولكن النورسى رفض هذا الطلب .

وقد أُلّف فى الفترة التى مكثها فى استنبول وفى أنقرة عدة رسائل بالتركية وبالعربية ، أورد فيها دلائل قاطعة على وجود الله ووحدانيته محاولاً بذلك التصدي بوجهة الشك والإلحاد والبعد عن الدين التى ظهرت بين أوساط المفتونين بالغرب^(١) .

عجابه إلى " وان " :

غادر النورسى أنقرة عام ١٩٢٣م ، بعد أن لمس عن كثب الحالة المزرية لحلس المبعوثان (النواب) ، وشعر بالنوايا الخفية السيئة التى كان يكنها للإسلام كثير من أعضائه ، أصابه حزن عميق جعله يكثر من التهجذ والعبادة والشكوى إلى الله مما آلت إليه حالة المسلمين ، ففضى الكثير من أوقاته فى هذه الفترة فى " قرب إحدى الخرائب القديمة المهجورة على جبل " أرك " (٢) .

نشبت ثورة فى الأقاليم الشرقية فى تركيا بقيادة الشيخ " سعيد بيران " الذى رعىما بارزاً بين العشائر الكردية ، وكانت هذه الثورة موجهة ضد سياسة مصطفى كمال الذى أثار نقمة الشعب باتجاهه المعادى للإسلام .

١- بديع الزمان سعيدى النورسى . الصالحى ص٥٢-٥٤ ، الشعاعات ص٤٨٧ .

٢- نورسى متكلم العصر الحديث د. محسن عبد الحميد ص٢٥-٢٧ .

موقفه من ثورة الشيخ سعيد بيران :

وقبيل اندلاع الثورة أرسل الشيخ " سعيد بيران " رسائل إلى الأستاذ سعيد النورسي يطلب منه الاشتراك معه في الثورة ضد حكومة أنقرة ، فرفض لعدم رغبته في إهراق دم المسلمين الأبرياء - الذين يجعلهم أتاتورك وقود المعركة - في حركة لا أمل فيها . خاصة وأنهم لم تكن لديهم بعد الإمكانيات التي يواجهون بها قوة مدججة بالسلاح والجنود المدربين تدريباً حديثاً ، فضلاً عن أن العناصر التي كانت حوله بحاجة إلى إعداد مادي ومعنوي معاً . وقد اتضح هذا من الحوار الذي دار بينه وبين " حسين باشا " رئيس إحدى العشائر الكردية :

حسين باشا : أريد أن أستشيرك في أمر ، إن جنودي حاضرون ، والخيول موجودة ، وكذلك الأسلحة والذخائر ، وأنا أنتظر أمراً منكم .

سعيد النورسي : ماذا تقول ؟ ما الذي تنوي فعله ؟ ومن ستحارب ؟

حسين باشا : سنحارب مصطفى كمال .

سعيد النورسي : ومن هم جنود مصطفى كمال ؟ .

حسين باشا : ماذا أقول ... إنهم جنود !! .

سعيد النورسي : إن جنوده هم أبناء هذا الوطن ، هم أقربائك وأقربائى ، فمن تقتل ؟ ومن سيقتلون ؟ فكر .. وافهم ! ... إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه...

حسين باشا : إن الموت لأفضل من مثل هذه الحياة .

سعيد النورسي : وما ذنب الحياة ؟ إذا كنت قد مللت حياتك ، فما ذنب المسلمين المساكين ؟ .

حسين باشا : (متحيراً) لقد أفسدت على عزيمةى ورغبتى ، ولا أدري كيف سأقابل عشيرتى التي هي بانتظار عودتى ، وسيظنون أنني جيتت . لقد أضعت قيمتى بين العشيرة .

سعيد النورسي : وماذا لو كانت قيمتك صفراً بين الناس ، وكنت مقبولاً عند الله تعالى ؟ .

وعندما قال له " حسين باشا " بأنه يريد من ثورته تطبيق الشريعة الإسلامية ... قال له النورسي : أتريد تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ .. إن تطبيق الشريعة

الإسلامية لا يكون بهذه الطريقة ... فلو قلت لك : " يا حسين باشا تعال مع جنودك ثلاثمائة لتطبيق الشريعة ، فإن جنودك - وهم في طريقهم إلى هنا سيقومون بنهب وسلب وقتل كل من يمرّون عليهم في الطريق ... وهذا مخالف للشريعة " .

وهذا يدل على أن الأستاذ سعيد النورسي - مع عدم رغبته في إهراق دماء المسلمين - لم يكن من ناحية يثق في هؤلاء الأشخاص ومدى وعيهم الإسلامي ، ومدى قدرتهم على تمثيل الإسلام^(١) .. ومن ناحية ثانية يدل على أنه كان ينتهج أسلوب التربية وتكوين الجنود الحاملين لهذا الدين المطالبين به تكويناً يجعلهم أهلاً لحمل رسالة عظيمة ينتسبون هم إليها - كما سيأتي - ولأجل هذا أيضاً رفض قبل تلك الاشتراك في ثورة قامت على الأغراض العرقية لا الإسلامية ، حينما ظهرت رغبة عند بعض المتقنين الأكراد في إنشاء دولة كردية في الولايات الشرقية من تركيا ولكون سعيد النورسي كردي الأصل وذا منزلة كبيرة في نفوس أهالي الولايات الشرقية ، أرسل إليه أحد الصحفيين رسالة يطلب فيها الانضمام إلى قاعين لتكوين هذه الدولة ، وقد أجابه النورسي برسالة مطولة قال فيها :

" يا رفعت بك ، سأكون معك إن حاولت إحياء الدولة العثمانية ، وأنا مستعد لتضحية بنفسى في هذا السبيل .. أما تكوين دولة كردية ... فلا ! "

وكذلك تسلّم الاقتراح نفسه والطلب من السيد عبد القادر رئيس جمعية " تعلى الأكراد " فكان جوابه الرفض أيضاً .^(٢)

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورسي الصالحى . ص ٥٦-٥٨ ، الفكر الأدبى والدينى عنه للداعية بديع

الزمان ص ٦١ ، النورسى متكلم العصر الحديث ص ٢٨-٢٩ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ٥١ .

وهذا يظهر لنا مدى ما تمتع به من فهم واع ، وما كان يكنه للدولة العثمانية
رمز الخلافة الإسلامية - رغم خلافه في بعض الأمور مع سلاطينها - من تقدير
واحترام لأنها كانت الحارسة لمقدسات المسلمين وحرماتهم وبلادهم ووحدتهم ، وقد
عاصر وشاهد بنفسه الآثار السيئة لإسقاطها .
وسيتبين في فصل الأهداف إن شاء الله أن العمل على عودة الخلافة تحت
إمرة آل عثمان كان أحد أهدافه .

تتحييد الجديد

" المرحلة الثانية "

تبدأ مرحلة هذا الفصل من إقامة الأستاذ النورسي في منفاه بمدينة بارالا (سنة ١٩٢٦م ، وتستمر حتى خروجه من سجن " أفيون " سنة ١٩٤٩م . وكان شعار الأستاذ المعلن في هذه المرحلة - لتقويت الفرصة على الكماليين - ما رده مراراً بقوله " أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة " . وليس معنى هذا أنه تخلى بالفعل عن السياسة ، فالواقع - كما سيأتي - في هذا الفصل وفي فصل المناهج في الباب القادم أن السياسة التي عاها وتركها بالفعل هي السياسة الميكيفيلية القائمة على التزلف والنفاق والمصالح الذاتية ، السياسة التي تحت الدين جانباً وولى أصحابها وجوههم نحو الغرب والسير في ركابه . ولهذا رأيناه في هذه المرحلة بالذات يقف بكل قوة في وجه التيارات الإلحادية الشاملة رغم ضراوة الهجمة وشراستها ورغم ما تعرض له من نفي وسجن واعتقال .. وإليك البيان .

إلى " بارالا " :

بالرغم من رفض اشتراك بديع الزمان في حركة الشيخ " سعيد بيران " لأسباب التي تقدمت في الفصل الماضي ، إلا أن الحكومة أرسلت إليه قوة فاعتقلته من فوق الجبل الذي كان يتعبد عليه .. وأرسل إلى " استنبول " فظل بها عشرين يوماً تحت الحراسة ، ثم نقل إلى مدينة " بوردور " وظل منفياً بها لمدة سبعة شهور . فكانت فرصة أخرى للتفرغ للعبادة ..

وألف في هذه الفترة رسالة " المدخل إلى النور " وهي عبارة عن دروس من قرآن ، خطها بيده ، وتناولها طلابه ومحبهه .. ثم نقل بعد ذلك إلى " أسبارطه " حيث مكث بها عدة أشهر .. ومن أسبارطه نفى إلى " بارالا " في شتاء

(١٩٢٦م) ، وهناك تعرف على بعض أهلها ، وألف عدة رسائل تحت عنوان " سوزلر " ومعناها: مقولات . واستحسن تسميتها باسم " رسائل النور " .. فبدأ يكتب مؤلفاته تحت هذا العنوان .

وأقام في بارلا ثمانى سنوات ، ألف فيها القسم الأكبر من رسائله ... وكان طلابه يقومون بمدارستها فيما بينهم ونسخها وإرسالها سرّاً إلى الأماكن القريبة والنائية من " بارلا " (١) .

إلى " أسكى شهر " :

وفى صباح أحد أيام الصيف هاجمت قوة من الجنود بيت سعيد النورسى واعتقلوه بعد تفتيش دقيق لأرجاء بيته . كما داهمت الشرطة منازل مائة وعشرين من طلبة النور فى مختلف المناطق ، حيث وضعت القيود فى أيديهم وفى يد أستاذهم ومرشدهم سعيد النورسى ، وساقوهم جميعاً إلى سجن مدينة " أسكى شهر " ، ووجهت إليهم التهم التالية :

١- تأليف جمعية سرية .

٢- العمل على هدم الثورة الكمالية

٣- تشكيل طريقة صوفية .

٤- إثارة روح التدين فى الناس .

ووضع النورسى فى سجن انفرادى ، واستعملت معه وسائل مختلفة لمضايقته بغرض التأثير على معنوياته ، لكنه صبر ، ولم يعبأ بمضايقاتهم وألف عدداً من الرسائل ، كما مارس الدعوة مع المسجونين ، فتاب على يديه كثير من مجرمى السجن ، واتبعوا الطريق المستقيم ... ولم يسفر التحقيق عن إدانته هو وطلابه بشيء ، إلا أن المحكمة حكمت عليه بالسجن أحد عشر شهراً بسبب رسالة " حجاب المرأة " وهى اللمعة الرابعة والعشرون .

(١) راجع بديع الزمان سعيد النورسى - الصالحى - ص ٥٩-٧٧، الفكر الدينى والأبى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى ص ٦١-٦٢ ، النورسى متكلم العصر . د. محسن عبد الحميد ص ٢٩-٣٠ .

وقد ترفع الأستاذ أمام المحكمة ، وألقى دفاعاً مشهوراً نقتطف منه ما يأتي :
يا حضرات الحكام :

لقد جرى بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي أتخذ الدين سبيلاً إلى
الإخلال بالأمن العام . وإنني أقول لكم :

إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاقبة عليه ، فعود الكبريت
يمكنه إحراق بيت ، ولكن هذا الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة .

إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلا رضى الله تعالى ، وحاشا أن يخدم أى
غرض كان غير ذلك .

لقد سألتكم : هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية ؟ وإنني أقول لكم : إن عصرنا
هذا هو عصر حفظ القرآن لا حفظ الطريقة . إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء
إلى طريقه صوفية ، ولكن أحداً لا يدخل الجنة ، بغير إيمان .

وتقولون : من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك فى جمعية ، وإننى أسأل
هؤلاء ومن أين لهم الوثائق التى أثبتوا بها أننى اشتغلت بجمعية أو قمت بأى نشاط
يحتاج إلى المال ؟ .

وتعترضون قائلين : إننى لست موظفاً فى ما أعمل فيه . وللتدريس مديرية خاصة
يعنى أن أتلقى الإذن منها أولاً ، ولكن أقول لكم :

لو أن أبواب القبور كلها أغلقت ، وأعدم الموت من الوجود ، لجاز أن ينحصر
الأذان فى دائرتكم . أما وإن ثلاثين ألف جنازة تنادى كل يوم نداء الموت وتوقع
على حكمه ، فإن هذا يعنى أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيراً مما انحصر
على دائرتكم وأحكامكم (١) .

ولم يثن الحكم بديع الزمان عن القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى بكل ما
قدر عليه ، ولم يرهب الطلاب ما حدث ويحدث بصفة متكررة لأستاذهم .

نظر بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ٧٨-٨١ ، الفكر الدينى والأبى عند الداعية بديع
- من ص ٦٢-٦٣ ، النورسى متكلم العصر د . محسن عبد الحميد ص ٣٠-٣٣ .

النفي إلى قسطنطيني :

بعد أن قضى بديع الزمان أحد عشر شهراً سجيناً في "اسكى شهر" نفي إلى مدينة "قسطنطيني" سنة ١٩٣٦م ، وبقي فيها سبع سنوات استمر خلالها في كتابة رسائل النور .. وتداولت رسائله بين أيدي الناس ، وانتشرت من قرية إلى قرية ، ومن مدينة لأخرى ، وأخذ بعض الطلبة ينسخون هذه الرسائل باليد ، إلى أن وصل عدد النسخ إلى ستمائة ألف نسخة ، وانتشرت في جميع أرجاء تركيا .

وفى "قسطنطيني" حدث موقف دل على اعتزازه بإيمانه وتعاليه على كل الاستفزات التي استعملها معه والى المدينة "مدحت آتى أوق" ... فقد احتفظ بديع الزمان بملابسه وعمامته خلافاً لقانون الأزياء الصادر فى (١٩٢٥م) .. واستدعاه الوالى لهذا السبب ولغيره إلى مقره الرسمى ، فجاء بديع الزمان إلى مقر الوالى يحيط به رجال الشرطة ، وكان ثائراً فالظاهر أن أحدهم حاول نزع عمامته فى الطريق . دخل إلى غرفة الوالى قائلاً له بحدة :

" اسمع يا مدحت ، ليس هناك سوى حاجز رقيق بيننا وبين الموت الذى تخشونه فإذا اقتحمنا هذا الحاجز لم يبق هناك شيء يمكن الخشية منه لذلك فاتخذ ما تحب من إجراءاتك القانونية .. " اصفر وجه الوالى ، وارتبك ولم يجد جواباً وبصعوبة بالغة وصلت أصابعه إلى الجرس الموضوع على مكتبه ، ليضغط عليه مستدعياً رجاله ليأخذوا بديع الزمان إلى بيته ، دون أن يجسر - وهو الوالى المشهور بفظاظته وقسوته - بمطالبة الأستاذ بتبديل ملابسه.

فى تلك السنوات الحالكة حذفت دروس الدين من المدارس ، وعملت الحكومة على نشر موجة الشك والإلحاد وهدم معانى الإيمان فى نفوس الجيل الجديد .. فكتب النورسى فى هذا الموضوع لإنقاذ هذا الجيل الحائر وجاءه من الطلاب فى قسطنطيني من استطاع التسلل إليه خفية باحثاً لنفسه ولأقرانه عن نور لقلبه وهداية لروحه ، فأزاح عن قلوبهم وعقولهم غبار الشك الذى أثاره الملحدون فى المناهج الدراسية حول أصول العقيدة وسوف يأتى ما قاله لهم ، فى فصل الأساليب من الباب القادم إن شاء الله تعالى .

كانت الحركة النورية فى توسع دائم وفى نشاط مستمر ، ذخرها الشوق والإيمان المتوهج فى القلوب ، ولم تنفع كل التدابير الحكومية فى بناء سد أمام

هذه الحركة أو إيقاف تقدمها وتوسعها ، إلا أنها أمام هذا الأمر توسلت مرة أخرى بأسلوب المحاكمة والسجن .

ففى (٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ م) - بينما الأستاذ بديع الزمان مصاب بحمى شديدة نتيجة دس السم له بتدبير من البوليس السرى على الأغب - داهمت الشرطة منزله وقلبت البيت رأساً على عقب ولكنها لم تعثر إلا على بعض الرسائل التى تبحث مسائل الإيمان والآخرة والأخلاق .. (١) إلخ .

إلى أنقرة :

وفى (١٨ سبتمبر) من السنة نفسها قامت الشرطة بمداهمة المنزل مرة أخرى على أمل العثور على أى دليل للاتهام ، يسوغ لها سوق بديع الزمان إلى محاكمة ، ومع أنها لم تعثر إلا على كتب ورسائل من النوع السابق إلا أنها قامت بتوقيف الأستاذ النورسى فى (٢٠ سبتمبر) حيث سيق برفقة الشرطة إلى " أنقرة " مع سائة وستة وعشرين من طلاب النور ، جمعوا من مختلف المدن .

أما التهمة الموجهة إلى بديع الزمان وإلى طلابه ، فهى كسابقتها :

تأنيف جمعية سرية ، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية ومحاولة قلب نظام تحكم ، ثم تسمية مصطفى كمال بـ : " الدجال " و " هادم الدين " .

وفى الطريق إلى أنقرة ، لم ينس القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى لركاب سيارة النقل العمومية التى كانت تنقلهم ، منتهزا فرصة الصيام والعشر الأواخر من رمضان ، فحضرهم على الطاعات وتلاوة القرآن ورغبتهم فى ثواب الله تعالى ، كل تلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأقبل الناس إليه يستمعون بلهفة وشغف ، وأفطر معهم ، وصلى بهم الصلوات فى الطريق (١) .

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورسى ص ٨١ - ٨٦ ، انظر الدينى الأدبى عند الداعية بديع الزمان ص

٦٣ - ٦٤ ، النورسى متكلم العصر ص ٣٣ - ٣٧ .

(٢) انظر بديع الزمان - الصالحى - ص ٨٧ - ٨٨ .

سجن دنيزلي " المدرسة اليوسفية الثانية " :

ومن أنقرة أرسل الأستاذ إلى " أسبارطة " ومنها إلى مدينة " دنيزلي " المدرسة اليوسفية الثانية " - حيث أودع في سجنها تمهيداً لمحاكمته - وتألفت لجنة التهم المنسوبة إليه لتدقيق جميع رسائل النور وكانت النتيجة أنهم لم يعثروا فيه على أي شيء يكون موجباً للتهمة وجاء في قرارهم :

" ليس لبديع الزمان فعالية سياسية ، كما لا يوجد أي دليل كان على أنه يؤسس طريقة صوفية ، أو قائم بإنشاء أية جمعية ، وأن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية ، والإيمانية ، وهي تفسير للقرآن الكريم " .

قضى بديع الزمان مدة تسعة أشهر موقوفاً في سجن " دنيزلي " في زنازين فردية . وكان طلابه أيضاً مسجونين في نفس السجن ، وقد توفي منهم اثنان أثناء السجن كانا من أقرب التلاميذ إلى قلبه . وألف أثناء مكوثه في سجن " دنيزلي " رسالة " الثمرة " كان يكتبها على قصاصات من الورق ، ويضعها في علبة الكبريت ، ويرميها خفية من شباك ردهته إلى طلابه وهم بدورهم يستسخونها . وأثناء مدة التوقيف عقدت محكمة الجزاء الكبرى عدة جلسات للمحاكمة وقد ألقى بديع الزمان دفاعاً رائعاً أمام هذه المحكمة نورد مقتطفات منه ومن غيره في حينه إن شاء الله تعالى .

وبالرغم من صدور قرار المحكمة في ١٥/٦/١٩٤٤ ببراءته من جميع التهم المسندة إليه ، إلا أنه لم يطلق سراحه ... (١)

النفي إلى أميرداغ :

ثم جاءت التعليمات أواخر (أغسطس ١٩٤٤م) بنفيه إلى قضاء " أميرداغ " من أعمال ولاية " أفيون " حيث وضع في إقامة جبرية في أحد البيوت ، ووضع على بابه حارس لا يفارق الباب لمراقبة حركات وسكنات الشيخ .

(١) انظر بديع الزمان . الصالحى . ص ٨٩-٩٤ ، الفكر الدينى والأدبى عند الداعية بديع الزمان ص ٦٤-٦٥

وكان من عادته الخروج في فصل الصيف إلى السهول والبساتين القريبة من "أميرداغ" وكانت الشرطة تتعقبه في نزهته هذه .. وفي إحدى المرات تعرضوا له بالأذى ، إذ نزعوا عمامته من رأسه ، وساقوه إلى مخفر الشرطة بحجة مخالفته لقانون الزي .

وفي هذه البلدة دسوا له السم في طعامه - باعتراف الطبيب الرسمي آنذاك - تكن الله سبحانه نجاه من كيد أعدائه ، ولم يصبه إلا بعض الآلام التي استمرت لسبوعاً دون إسعاف ، ولما ضاق صدره من سوء المعاملة ، كتب إلى رئيس قوى الأمن في الولاية يخبره بذلك ، لكن لا حياة لمن تتادى .

وظل البوليس السرى يترصد حركاته وتكناته هو وطلابه للبحث عن أية حجة أو مسوغ للقبض عليهم . (١)

في محكمة أفيون " المدرسية اليوسفية الثالثة :

وفي يوم من أيام سنة (١٩٤٨ م) داهمت الشرطة منزله ، ومنزل خمسة عشر من طلابه ، وسبقوا جميعاً إلى سجن مدينة (أفيون) ، كما داهمت الشرطة ستارل أربعة وخمسين طالبا من طلاب النور في أسبارطة ودينزلى وأيدن وأفيون ، وتم اعتقالهم لنفس التهم السابقة ، وهذه النعمة تتكرر دائماً في كل زمان ومكان مع إرادة إلى الله تعالى .

واستمرت جلسات المحكمة فترة طويلة .. وأخيراً صدر الحكم بالسجن لمدة عشرين شهراً بديع الزمان ، وبالحكم مدداً مختلفة على عدد من طلابه وتبرئة بعض الآخر .

وقد اعترض بديع الزمان على الحكم في محكمة التمييز التي قررت بطلان الحكم ، استناداً إلى ما أصدرته محكمة " دنيزلى " من براءة في تهم مشابهة .. إلا أن المحكمة تعمدت إطالة إجراءات إطلاق سراح الأستاذ بديع الزمان حتى يقضى في السجن المدة التي سبق أن حكمت بها لئلا يستفيد من قرار التبرئة .

١ - نظر بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى ص ٩٥ - ٩٧ .

وطوال هذه المدة عومل بديع الزمان معاملة قاسية ، وبالرغم من شيخوخة
ومرضه ، وبالرغم من الشتاء القارس ، تركوه وحده في زنزانه كبيرة عارية تسب
ستين شخصاً دون مدفأة ، بينما كان الثلج يتراكم على زجاج نافذته ، ودسوا له السد
في طعامه ، ولكن الله حفظه ، وعندما حاول بعض طلابه إسعافه ومساعدته .
ضربوهم ضرباً مبرحاً وأدميت أرجلهم على " الفلقة " .

وفي هذا السجن أيضاً هدى الله على يديه كثيراً من المجرمين والقتلة ، كما
أنه استمر على التأليف لرسائل النور .

وبعد مرور عشرين شهراً أطلقوا سراحه سنة (١٩٤٩ م) حيث خرج
بصحبه شرطيان وعدد من طلابه إلى بيت قد أعد له (١) .
وانتهت بذلك المرحلة الثانية من حياته ، لتبدأ المرحلة الثالثة .

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ٩٧ - ١٠٠ .

سعيد الثالث

" المرحلة الثالثة "

أطلق الأستاذ سعيد النورسى على نفسه اسم " سعيد الثالث " فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته ، تلك المرحلة التى ابتدأت منذ خروجه من سجن " أفيون " وظلت حتى وفاته سنة (١٩٦٠ م) .

وتميزت الأوضاع فى هذه الفترة فى تركيا بظهور الأحزاب السياسية - كما سبق - وخاصة " الحزب الديمقراطى " الذى فاز فى الانتخابات فوزاً ساحقاً عام (١٩٥٠ م) ، وأقصى من الحكم " حزب الشعب الجمهورى " الأوحده الذى حارب الإسلام مدة ربع قرن . وفى هذه المرحلة أيضاً نرى زيادة نشاط الأستاذ فى القيام بالتدريس الجماعى لرسائل النور ، إضافة إلى قيامه بدعوة السياسيين ورجال الحكم وذلك بنصحهم بإتباع الإسلام والاسترشاد بتعاليمه ، وبيان أن الطريق الصحيح الوحيد هو طريق الإسلام .

هذا فضلاً عن قيامه بحق الدعوة تجاه بقية الناس كما سيأتى فى الباب القادم إن شاء الله .

وإليك نبذة - بعد هذا الإجمال - عن حياته التى هى جزء من دعوته فى هذه المرحلة .

فى كل محطة منحة :

بعد خروج بديع الزمان من سجن " أفيون " بقى فى أحد البيوت بنفس المدينة مدة شهرين حيث كان ينتصب أمام بيته شرطيان يراقبان زواره وطلابه ، أى كان هناك سجن آخر بمظهر آخر .

ولكن نرى بعض التغيير فى حياة بديع الزمان بعد سجن " أفيون " فسابقاً لم يكن يسمح لأحد أن يبيت معه ، أما الآن فلتقدمه فى السن ولحاجته إلى الرعاية ،

فإن بعض طلابه أصبحوا يبيتون في إحدى غرف البيت ولا يدخلون عليه إلا بطلبهم .

في تلك السنة أي (سنة ١٩٤٩ م) راجت رسائل النور رواجاً كبيراً ، سمح لها بعد قرارات البراءة التي أصدرتها مختلف المحاكم بالطبع على " الرونير " فأصبحت آلاف النسخ المطبوعة تنتشر في القرى والنواحي والمدن ، فتكسب آلات الأنصار وتسعل جذوة الإيمان في آلاف القلوب .

وهكذا فرضت حركة النور نفسها على واقع المجتمع التركي ، فلم يعد بوسع أحد أن يتجاهلها ، فهذه المحاكم المتلاحقة للأستاذ بديع الزمان ولطلابها تستطيع أبدأ أن تكون سداً منيعاً أمام هذه الحركة ، بل شاعت حكمة الله أن تكون هذه المحاكم نفسها وسيلة فعالة في نشر رسائل النور ، ذلك لأن المرافعات الرائعة التي كان يلقيها الأستاذ بديع الزمان في المحاكم - وكانت علنية - كانت خير وسيلة لشرح غاية دعوة الأستاذ وفضح مرامي وأهداف الذين يقفون ضده .. وكانت المرافعات تستسخ من قبل طلاب النور بالعربية وتوزع سراً بين الناس .. كما أن المحاكم وما كان يسبقها من توقيف لطلابها ، وما يعقبها من الحبس كانت خير وسيلة للتعارف بين طلاب النور الذين أحضروا من مختلف القرى والنواحي والمدن ، فكانت السجون هي أماكن تعارفهم وتآلفهم وتصادقهم وتعلم الحروف العربية وتجديد العهد بينهم على نذر أنفسهم لخدمة الإسلام .. وحقاً إنها كانت مدرسة يوسفية^(١) .

وصدق ابن عطاء الله السكندري الذي يقول : " ربما كمنت المنن في المحن " .

في ظل الحزب الديمقراطي :

كانت محكمة " آفيون " قد قررت مصادرة رسائل النور ، ولكن محكمة التمييز نقضت هذا القرار استناداً إلى محكمة الجزاء الكبرى في " دنيزلي " .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٠٥ - ١٠٦ ، الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان ص ٦٥ .

التي أصدرت قرارها ببراءة رسائل النور وأجازت تداولها .. وعلى إثر ذلك عقدت المحكمة مرة أخرى لإعادة النظر في هذا الموضوع ، وبينما كانت المحكمة مستمرة في عقد جلساتها تبذلت الحكومة في " أنقرة " - جاء الحزب الديمقراطي إلى الحكم سنة (١٩٥٠) بعد فوزه في أول انتخابات حرة تجرى في تركيا مطيحاً بحزب " الشعب الجمهوري " الذي حكم البلاد مدة ربع قرن من الزمان والذي تميز عهده بالعداء الشديد للإسلام . وعند مجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم أصدر عفواً عاماً في البلاد... وهكذا أغلقت هذه القضية. (١)

واستبشر المسلمون خيراً بمجيء هذا الحزب إلى الحكم ، لا لأنه كان حزباً إسلامياً ، ولكن لأنه :

أولاً : أزاح من الحكم أشرس عدو للإسلام .

ثانياً : أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامي ، وأرجع الأذان الشرعي .

لذلك أرسل الأستاذ بديع الزمان بريقة تهنئة لرئيس الجمهورية الجديد " جلال يار " تمنى فيها أن يوفقه الله لخدمة الإسلام .. وقد رد عليه رئيس الجمهورية بريقة شكر. (٢)

بعد أن قضى الأستاذ مدة شهرين في مدينة أفيون ، توجه مع بعض طلابه إلى " أميرداغ " حيث قضى فيها سنتين ، وبعدها توجه في زيارة إلى مدينة " اسكي شهر " سنة (١٩٥١) فبقى شهراً ونصف شهر ، وكانت هذه أول زيارة حرة يقوم بها ، إذ أنه لم يكن يستطيع ذلك من قبل عام (١٩٥٠ م) وهناك التقى بطلابه القدامى والطلاب الجدد ، كما التقى الأستاذ بجميع أصناف الشعب الذين تقاطروا لزيارته والإفادة من دعوته . (٣)

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٠٦ ، الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان ص ٦٥ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي - الصالحى ص ١١١ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٠٦ - ١٠٧ ، وانظر الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان ص ٦٥ - ٦٦ .

محكمة الجزاء الكبرى فى استنبول :

توجه بديع الزمان إلى مدينة " اسبارطة " فبقى فيها سبعين يوماً بين طلاب ومحبيه .. وفى هذه الأثناء قام بعض طلابه فى استنبول بطبع رسالة " مرثء الشباب " بالحروف الجديدة " اللاتينية " مما تسبب فى إقامة دعوى ضده بحجة مخالفته للمادة (١٦٣) من الدستور التركى وهى المادة التى تحظر أى نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية .

وقد استدعى الأستاذ بديع الزمان إلى استنبول للمثول أمام محكمة الجزاء الكبرى ، وحدد يوم (٢٢ كانون الثانى ١٩٥٢م) للنظر فى هذه الدعوى ، وخلال هذه الفترة كتب بحوث رسالة : (مفتاح إلى عالم النور) .. ثم توجه إلى استنبول بعد غيبة عنها دامت سبعة وعشرين عاماً .

وما إن وصل بديع الزمان إلى المدينة حتى بدأ سيل الأصدقاء القدامى بالوفود عليه .. كما توافد عليه سيل من طلاب النور ومن الشباب الجامعى المؤتمر الذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى رؤية مرشدهم الكبير .. إلى رؤية الشخص الذى قضى عمره كله مجاهداً فى سبيل الله فى أحلك السنوات التى مرت بها تركيا . والذى حمل فى يده سراج الهداية وسط أعنى العواصف دون أن تلين له قناة أو تفتّر له هممة .

وانعقدت المحكمة فى اليوم المحدد لها بعد ما جاء الأستاذ وسط المئات من طلبته .. وجلس فى المكان المخصص للمتهمين .. وبعدما امتلأت قاعة المحكمة بجموع من الشعب ، وكذلك ممرات المحكمة ، وامتد الازدحام إلى الشارع . حضروا لمتابعة القضية ، ولرؤية الشيخ الذى شغل تركيا كل هذه السنين .

وبدأ الادعاء العام بقراءة تقرير الخبراء المكلفين بتدقيق رسالة " مرثء الشباب " ، ومضمونه : " أن المؤلف يحاول فى رسالته هذه نشر الفكرة الدينية . وأنه يحاول رسم طريق معين للشباب بوساطة هذه الأفكار ، وأنه يدعو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسامهن ، لأن ذلك يصادم الفطرة ، ويخالف الإسلام والآداب القرآنية . كما أن المؤلف يدعو إلى تدريس الدين ، وهو بذلك يؤيد إقامة نظام الدولة على أسس دينية ... الخ " .

وبعد الانتهاء من قراءة صيغة الاتهام ، قام بديع الزمان بالرد على ما ورد فيه ، وانتهت الجلسة الأولى .. وتحدد للجلسة الثانية موعد آخر ... وعند الاعتقاد في الموعد المحدد تدافع الناس على القاعة والأماكن المجاورة للمحكمة لدرجة تعذر معها على الشرطة السيطرة على الناس المتدافعين .. كما تعذر على المحكمة السير في إجراءات الحكم .. لذلك توجه رئيس المحكمة إلى الموجودين بالقاعة قائلاً لهم: إذا كنتم تحبون الشيخ ، فافسحوا لنا المجال لكي نستطيع الاستمرار في إجراءات المحاكمة . عند ذلك هدا الناس وتراجعوا .. وبعد أن استمعت المحكمة إلى قُرال من طبع الرسالة والشرطة ، وإلى اعتراض الأستاذ على ما ورد بتقرير لحيراء ، أنهت الجلسة .

وبعد أيام انعقدت الجلسة الثالثة بعد أن اتخذت الحكومة الإجراءات المشددة تحيلولة دون وصول الجمهور وحضورهم الجلسة .. وبعد أن استمعت المحكمة إلى قُرال الطالب الجامعي الذي طبع الرسالة ، وإلى دفاعات محامي الأستاذ كما سمعت إلى كلمة قصيرة من الأستاذ شكر فيها وكلاءه المحامين .. ثم أصدرت حكماً بالبراءة (١).

محكمة عامسون :

اتجه الأستاذ بديع الزمان إلى " أميرداغ " بعد الحكم ببراءته ، ولكنه مع ذلك كان متعباً من الشرطة ، حتى إنه أثناء تجوله في الحقول المجاورة للمدينة اعترضه ستة منهم وأمروه بلبس القبعة ، فرفض فاقترادوه إلى مركز الشرطة ، غير أن الأستاذ احتج على هذه المعاملة وأرسل عريضة إلى وزارة الداخلية في أنقرة ، سحب فيها هذه التصرفات الرعناء ، كما أرسل صورة من العريضة إلى أحد طلابه في أنقرة ليبتبع الموضوع عند المراجع الرسمية .. ومن ناحية أخرى نشر أحد

١- نظر بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١١١-١١٦ ، الفكر الأدبي والدينى عند الداعية
- الزمان . سمير رجب ص ٦٦ . ، النورسى متكلم العصر الحديث . د/محسن عبد الحميد ص ٤٧-٤٨

طلابه العريضة فى جريدة " الجهاد الأكبر " فى مدينة " صامسون " .
فى هذه الأثناء وقعت حادثة الصحفى المعروف - آنذاك - وهو " أحمد أمير
بالممان " ، إذ حاول شاب مسلم اغتياله ، فأطلق عليه عدة رصاصات لم تقتل منه
مقتلاً .. وأحمد أمين هذا من طائفة الدونمة^(١) وسجله حافل بالعمل ضد الإسلام
فمن ذلك أنه طالب بتشكيل دويلة أرمنية فى تركيا ، كما طالب بأن تقدم الولايات
المتحدة باستعمار أراضى تركيا عسكرياً لإدارة شؤونها ، حيث لم تصل تركيا إلى
المستوى الذى تستطيع فيه إدارة نفسها !!

وقد استغلت هذه الحادثة استغلالاً كبيراً كل الجرائد والمجلات المعادية
للإسلام ، وجميع المحافل اليهودية الماسونية التى غاظها جو الحرية النسبى الذى
بدأت تتنفسه الحركات الإسلامية فى تركيا ، فأرادت أن تظهر بأن إعطاء أية حرية
لمثل هذه الحركات ستكون نتيجتها ظهور الرجعية والإرهاب .. الخ .

كما وجدت صحف المعارضة (وهى صحف حزب الشعب) فى هذه الحادثة
فرصة ذهبية لها كى تشفى غيظها من هزيمتها فى الانتخابات ولكى تكيل النهب
للحكومة بأنها قد أرسلت الحبل على الغارب للرجعية وأنها إن لم تتدارك فإن مصير
أسود ينتظر تركيا .

لم يستطع رجال الحزب الديمقراطى أمام هذه الحملة الصحفية الرهيبة أن
يقف أمامها ، هذا فضلاً عن وجود جناح معاد للإسلام داخل الحزب نفسه .
فصدرت الأوامر بغلق جميع الجرائد والمجلات الإسلامية واعتقال جميع الكتاب
والمفكرين المسلمين العاملين فيها .. كل ذلك مقابل قطرات قليلة من دم يهودى عات
ولسنوات عدة فساداً فى تركيا ، وطعن الشعب التركى المسلم فى ظهره فى مواقف
كثيرة .. وألغت محكمة التمييز حكم محكمة مدينة " صامسون " وأصدرت قراره
ببراءة المعتقلين .

ولكن قضية أخرى ثارت ، إذ فتحت دعوى فى مدينة " صامسون " ضد
الأستاذ بديع الزمان بسبب مقالة نشرت فى جريدة " الجهاد الأكبر " تحت عنوان
(أكبر برهان) ، وطلب مثوله أمام محكمة " صامسون " ، وبعد مراجعات

(١) وهى طائفة يهودية تظاهرت بالإسلام ، وبقيت تمارس عقائدها اليهودية سراً ، ولكونها تملك ركائز
اقتصادية وسياسية قوية قامت بدور تخريبى كبير فى تركيا .

بسبب طعن الأستاذ فى السن (٨٠ سنة) وبسبب ظروفه الصحية قامت محكمة استنبول بمحاكمته ثم أصدرت حكمها فى النهاية بالبراءة ، إذ لم تجد فى المقالة ما يؤخذ عليه^(١) .

مع بطيريك الروم

قضى الأستاذ فى استنبول ثلاثة أشهر تقريباً ، أمضى معظمها فى بيت أحد طلابه المقربين .

فى تلك السنة (١٩٥٣م) كانت استنبول تتهباً للاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتحها .

وقد أقيم فعلاً احتفال مهيب دعى إليه الأستاذ بديع الزمان مع المدعوين ترسميين ، وفى هذا الاحتفال التقى ببطيريك الروم " آسنو كراس " . وأثناء اللقاء جرى بينهما حوار حول الإسلام^(٢) ، سيرد فى موضع آخر فى فصل الأهداف من باب القادم إن شاء الله تعالى .

لعودة إلى " بارلا " :

قضى الأستاذ بديع الزمان ما يقارب ثلاثة أشهر فى استنبول ، ثم حن . زيارة المدن التى قضى فيها فترات لا يمكن نسيانها من حياته .. فزار " ميرداغ " ثم توجه إلى " اسكى شهر " ، ومنها إلى " أسبارطة " حيث بقى فيها تسعين يوماً .. ومن " أسبارطة " توجه مع رهط من تلاميذه - بعد عشرين عاماً - فعلاً بالأحداث والمواقف والابتلاءات - إلى مدينة " بارلا " التى نفى إليها أولاً ، تبعدت أول انبثاق لحركة النور ولسائل النور .. وعندما سمع أهل البلدة بقدمه حجوا رجالاً ونساء وأطفالاً لرؤيته والترحيب به ، رغم أن كثيرهم لم يره ولكنه سع عنه .

نظر بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ١١٦-١١٩ ، الفكر الأدبى والدينى عند الداعية - قرمان . ص ٦٦-٦٧ .

نظر بديع الزمان . الصالحى . ص ١٢٠ .

وكان لهذه الزيارة أثر كبير فى نفسه ، إذ ذكرته بمدة استمرت ثمانى سنوات ، كلها ذكر وعبادة لله تعالى وأنس به سبحانه دون سواه من المخلوقات (١) .

تبرئة رسائل النور

كانت محكمة " آفيون " قد شكلت لجنة من الخبراء لتدقيق رسائل النور سنة - (١٩٤٨م) وإبداء الرأى حولها ، ورؤية ما إذا كانت تحوى ما يؤخذ عليه القانون التركى ، وقد استمرت هذه المحكمة طيلة ثمانى سنوات ، وأخيراً أصدرت رأياً بتاريخ (١٩٥٦/٥/٢٥م) استناداً إلى التقرير المقدم من لجنة الخبراء ، بأن هذه الرسائل تخلو من أى عنصر مخالف للقانون .

كان هذا القرار يعنى أن بالإمكان طبع رسائل النور وتوزيعها علناً ، وفعلاً شمر طلاب النور عن سواعدهم ، فبدأت المطابع فى استتبول وفى أنقرة ، وفى " صامسون " وفى " أنطاكيا " بطبع هذه الرسائل . وكانت الملزمات تأتى إلى الأستاذ قبل الطبع فيقوم بتصحيحها .

كان الأستاذ فرحاً بطبع رسائل النور ويقول :

" هذا هو عيد رسائل النور ، كنت أنتظر مثل هذا اليوم ، لقد انتهت مهمتى إذن وسأرحل قريباً " .

وعندما كان يخرج لأمر ما سرعان ما يعود قائلاً لطلابيه : " لا بد أن الملزمات قد جاءت .. لا يجوز لنا أن ندعها تنتظر يجب العودة حالاً" (٢) .

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورس . الصالحى . ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ .

مشاركته في الانتخابات :

في سنة (١٩٥٧م) جرت الانتخابات العامة في تركيا ، وكان هناك حزبان رئيسان يتنافسان على الحكم وهما :
الحزب الديمقراطي الحاكم وحزب الشعب المعارض ، مع أحزاب صغيرة لا تؤثر كثيراً في سير الانتخابات .

وبالرغم من أن الحزب الديمقراطي لم يكن حزباً إسلامياً ، إلا أن جو الحرية الذي ساد تركيا عقب توليه الحكم ، وانحسار موجة العداوة الوحشية للإسلام ، كل ذلك كان يعطى مسوغاً كافياً للحركات الإسلامية في تركيا أن تصوت بجانب الحزب الديمقراطي ، وكان على رأس قادة هذه الحركات الأستاذ النورسي الذي قرر إعطاء صوته له . وفعلاً ذهب إلى صندوق الاقتراع ، وأدلى بصوته لصالح الحزب الديمقراطي .^(١)

أيامه الأخيرة :

قضى الأستاذ بديع الزمان مع طلبته سنواته الأخيرة في مدينة " اسبارطة " ، وكان أحياناً يقوم بزيارة " بارالا " و " أميرداغ " .. ولتقدمه في السن فإنه كان في أكثر الأحيان طريق الفراش .. وكان قليل اللقاء بالناس ، وكان يقول : " إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي . " .

كان طلابه يقدرون ذلك له ، فلا يدخلون عليه إلا إذا طلبهم .. ومع ذلك فإنه لم يكن منقطعاً عن العالم الخارجي كلياً ، إذ كان يتتبع الأخبار ، وقد عين أحد طلبته قراءة أهم ما في الجرائد .

وفي سنة (١٩٥٨م) اعتقل جميع من كان في خدمة الأستاذ من طلاب النور ، والذين يعملون في نشر الرسائل وقد تقدم للدفاع عنهم المحامي " بكربرق " الذي قال للطلاب مسجونين في سجن " أنقرة : " .

(١) نفس المصدر ص ١٢٣-١٢٤ .

" إننى أحب أن آخذ رأيكم فى مسألة تخصصكم ، فهل تحبون أن أسعى لى إطلاق سراحكم من السجن فى أقرب فرصة ، أم ترغبون أن أسعى للدفاع عن دعوتكم وشرحها دون الاهتمام بقضية إطلاق سراحكم " ؟
أجاب الطلاب قائلين :

" نرجو منك أن تحصر جهدك فى بيان وشرح دعوتنا السامية ، فنحن راضون أن نبقى فى السجن سنوات عديدة " .
وقد أدرك هذا المحامى أنه ليس أمام أناس عاديين ، بل هو أمام أناس نذرة أنفسهم لدعوتهم ، لهذا أخذ على نفسه مهمة الدفاع فى جميع المحاكم التى سيق إليها طلاب النور .. وما أكثرها ! ..

وقد شهدت الأيام الأخيرة من حياة الأستاذ بديع الزمان تنقلات سريعة وكثيرة على الرغم من ظروفه الصحية التى كان يمر بها . فى سنة (١٩٥٩م) سافر إلى " أنقرة " ، ومنها إلى " أميرداغ " ومنها إلى " قونيا " ومنها إلى " أنقرة " أيضاً ، ومنها إلى استنبول " فى (١/١/١٩٦٠م) حيث بقى فيها يومين ، ثم رجع إلى " أنقرة " مرة أخرى ، وقد أجرى مندوب مجلة " التايم " معه فيها تحقيقاً صحفياً طويلاً ، ونشر فى (١/٦/١٩٦٠م) . ثم رجع إلى " قونيا " وفى اليوم نفسه توجه إلى " أسبرطة " هذه الزيارات المتلاحقة أثارت رعب وسخط الأوساط المعادية للإسلام فأخذت صحفها تشن حملة عنيفة على الأستاذ وتثير الرأى العام ضده ، مختلقة سلسلة من الأكاذيب والافتراءات ، وكان هناك فتنة دامية ستحل بالبلاد . لذلك فى الأستاذ ما إن رجع إلى أنقرة فى (١/١١/١٩٦٠م) حتى أبلغته الحكومة بأن من الأفضل له أن يقيم فى " أميرداغ " ، وفعلاً رجع الأستاذ إلى " أميرداغ " ولكنه طلب من الحكومة أن تسمح له بالإقامة شهراً فى " أميرداغ " وشهراً فى " أسبرطة " فى (١/٢٠/١٩٦٠م) توجه الأستاذ بديع الزمان من " أميرداغ " إلى أسبرطة " وبعد أن أمضى مدة فيها توجه إلى " أفيون " وبعد أن أمضى فيها يوم واحداً ، قفل راجعاً إلى " أميرداغ " وفيها اشتد عليه المرض وغاب عن الوعى مرات عديدة .. ولما وجد من نفسه بعض التحسن غير ملابسه واستعد للسفر

وودع طلابه وأصدقائه الآخرين قائلاً لهم وعيناه تفيضان بالدمع : " أستودعكم الله .. إني راحل " .

ثم اتجه إلى " أسبارطة " فبقى بها مدة ، ومنها اتجه مع ثلاثة من طلابه إلى " أورفة " ، وقد أخفوا أرقام السيارة التي أقلتهم بالطين حتى لا تعترضهم الشرطة ، غير أن المكلف بمراقبته أبلغ مركز الشرطة بسفره ، فاستدعوا بعض طلابه فأنكروا معرفتهم بوجهة الأستاذ .. فبدأت البرقيات والتليفونات والاتصالات بين مختلف مراكز الأمن في مدن تركيا ، وكان رجلاً خطيراً قد هرب من سجنه ، وأعطيت صاف السيارة ورقمها إلى جميع مراكز الشرطة ونقاط التفتيش .

وما إن وصل الأستاذ إلى المدينة ونزل بفندق " إبيك بالاس " في (٢١ مارس ١٩٦٠م) حتى طوقت الشرطة الفندق ، ودخل أحد المسؤولين على الأستاذ وهو طريح الفراش وطلب مغادرة المدينة فوراً والعودة إلى " أسبارطة " فالأوامر صادرة من وزير الداخلية نفسه .. غير أن الطلاب أصروا على موقف أستاذهم بعدم العودة .

وانتشر خبر نية السلطة في إخراج الأستاذ بديع الزمان من المدينة بين الأهالي فولد هيجاناً عاماً بين أفراد الشعب ، وتجمع عدة آلاف من الأهالي حول تفندق . وترامى الخبر إلى رئيس شعبة الحزب الديمقراطي في " أورفة " فأسترع في مدير الأمن وخاطبه بحدة :

• إذا أخرجتم الأستاذ بديع الزمان من هنا فستجدوني أمامكم .. لن تستطيعوا أن تمسوا شعرة منه ، ولا أن تتقلوه خطوة واحدة .. إنه ضعيفنا .
قال مدير الأمن :

• سيدي ، إن الأوامر صادرة من فوق .. من الوزارة نفسها ، لذا يرجع من حيث أتى .

قال رئيس الشعبة :

• كيف يعود ! ألا ترون أنه في أشد حالات المرض ، ولا يستطيع الحراك ؟ .

إنه أتى إلينا ضعيفاً ولا داعي هناك لكل هذا التشدد .

ولما أصر مدير الأمن على موقفه دخل على بديع الزمان ، وأبلغه بمغادرة المدينة فوراً بناء على أوامر وزير الداخلية .

فقال له بديع الزمان :

• إننى فى الدقائق الأخيرة من عمرى ، لا أستطيع ، وقد أموت هنا . إن وظيفتك الآن هى تهيئة الماء لغسلى بعد الوفاة .

وخرج مدير الأمن وأفراد الشرطة من الغرفة متأثرين ومنكسين رعوسهم .
وقام الأهالى والجمعيات والتنظيمات المختلفة بإمطار " أنقرة " بسيل من البرقيات التى استكرت بشدة هذا الموقف البعيد عن جميع القيم الإنسانية .
وتقاطر الناس عليه أفواجا فى الفندق من أماكن شتى لزيارته ، فقابلهم رغم ظروفه للصحية ودعا لهم .

وفى يوم الأربعاء الموافق (٢٥ من رمضان سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) صعدت روحه إلى بارئها ..

وما إن انتشر الخبر فى " أورفة " والمدن المجاورة حتى توافد على المدينة سيل من الناس ، اشتركوا فى تشييع جنازته إلى مئواها الأخير ، حيث دفن فى مقبرة " أولو جامع " .

وبعد أشهر من وفاته وقع انقلاب عسكري أطاح بالحزب الديمقراطى ، وسبق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التى أطلق عليها اسم " محكمة الدستور " وانتهت هذه المحكمة بتنفيذ حكم الإعدام برئيس الوزراء " عدنان مندريس " وعلى اثنين من وزرائه - كما سبق - وبمدد مختلفة للوزراء والمسئولين السابقين فى حكومة الحزب الديمقراطى .

كما أبدت عداة لجميع التيارات والحركات الإسلامية فى تركيا ومنها حركة " طلاب النور " .

ولم ينته حقد أعداء الإسلام وغيظهم على الأستاذ سعيد النورسى حتى بعد وفاته ، فأرادوا الانتقام منه وهو فى القبر ، فقاموا بنقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة غير معلومة ، بعد أن أعلنوا منع التجول فى المدينة ، وملئوها بالجنود المنججين بالسلاح .^(١)

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص٤١٢-١٣٦ باختصار ، الفكر الأدبى والدينى عند الداعية بديع الزمان ص٦٩-٧١ ، النورسى متكلم العصر د/محسن عيد الحميد ص٤٩-٥٠ .

وهذه الأساليب شتى قديمة حديثة ، فهي كما استعملت مع الأستاذ بديع
لزمان سعيد النورسي ، لا تزال تستعمل مع الدعاة العاملين في هذا العصر الذي
تعيش فيه ، " حذوك النعل بالنعل " .

هذه حياة رجل عاش مجاهداً مسلماً في سبيل الله ، وقضى ثمانية وعشرين
عاماً من حياة النفي والسجن والمضايقات التي كانت لا تكاد تنتهي .. ولكنه استطاع
بفضل الله تعالى أن يهز تركيا من أقصاها إلى أقصاها دون أن تلين له قنائة ، وأن
يقذف الرعب في قلوب أعداء الإسلام حاملاً بيده مشعل النور وسط ظلام الأيام
لحالكة .

فماذا عن دعوته ؟ ذلك ما سنتعرض له في الباب القادم إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

دعوة النورسى

"الدعوة الأكاديمية"

- 1. الفصل الأول : أهداف دعوة النورسى .
- 2. الفصل الثانى : الوسائل فى دعوة النورسى .
- 3. الفصل الثالث : الأساليب فى دعوة النورسى .
- 4. الفصل الرابع : منهج النورسى فى دعوتهم .
- 5. الفصل الخامس : دعوة النورسى بعد موتهم .

مدخل :

تعرضنا في الباب السابق لحياة بديع الزمان ، بمراحلها الثلاث والتي لم تحصل عن دعوته ، فقد كانت حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله على جميع الجبهات ، ويحق لنا أن نطلق عليها اسم " الدعوة الميدانية " .

وفي هذا الباب نستعرض من واقع الرسائل منهجية دعوته من خلال محاولة التعرف على الأهداف فيها . هل كانت واضحة لديه أم لا ؟ وهل كانت هدفاً واحداً أم عدة أهداف ؟ . ومن خلال التعرف على الوسائل التي استخدمها للوصول إلى هدفه أو أهدافه . هل أدت غرضها أم ماذا ؟ .

ومن خلال محاولة التعرف على المنهج الذي سلكه هل كان صحيحاً سائراً فيه على طريق الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ومن بعدهم من الدعاة العاملين أم ماذا ؟ .

ثم ماذا آل إليه أمر الدعوة بعده ؟ هل سارت في طريقها المرسوم لها أم ماذا ؟ .

وبناء على ذلك فإن هذا الباب يتضمن الفصول التالية :

- **الفصل الأول :** أهداف دعوة النورسى .
- **الفصل الثاني :** الوسائل في دعوة النورسى .
- **الفصل الثالث :** الأساليب في دعوة النورسى .
- **الفصل الرابع :** منهج النورسى في دعوته .
- **الفصل الخامس :** دعوة النورسى بعد موته .

أهداف دعوة النورسى

مدخل :

إذا كان المراد بالهدف : " بذل الجهد ، واستفراغ الوسع لتحقيق الغرض النبيل " (١) ، فإن الهدف الأسمى الذى كان شغل النورسى الشاغل هو هذا الدين وعودته لحياة المجتمع التركى مرة أخرى بعد أن أقصى عن الساحة .

لقد سخر كل إمكاناته وإمكانات تلاميذه الذين أعدهم ورباهم للوصول إلى غرضه النبيل وهو - حسب تعبيره - " إنقاذ الإيمان " فى الأمة حتى تعود ثانية إلى بر الأمان تنعم بنور الإسلام . وقد حفز طلاب النور لهذا الهدف السامى ، فعرفهم بمهمتهم فى الحياة عملاً بمبدأ . أصلح نفسك وادع غيرك حيث قال : " فوظيفة كل طالب نيس هو إنقاذ إيمانه وحده ، بل هو مكلف أيضاً بالحفاظ على إيمان غيره ولا يكون ذلك إلا بالاستمرار الجاد فى الخدمة . " (٢) ..

وقال فى أحد دفاعاته مبيناً هدفه هو وطلاب النور : " نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا إنقاذ أنفسنا أولاً ، ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدى ، ومن السجن لبرزخى الانفرادى المؤبد ، ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة ، ومحافظة نفسنا بالحقائق القوية الفولاذية الواردة فى رسائل النور من الإلحاد الذى يروم تقضاء على حياتنا فى الدنيا وفى الآخرة . " (٣)

بل إنه حاول الاستفادة من طاقات كل المتصلين به الزائرين له فوجهها لصالح هذا الهدف لا غير ، وجعل ذلك قاعدة ثابتة فى حياته لا تتغير . يقول : " ليكن معلوماً لدى الجميع ، أن الذى يزورنا إما أنه يأتى إلينا لأجل أمور تخص الحياة الدنيا . فذلك الباب مسدود .

١ الجزيرة العربية ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب للمؤلف ص ٧٦ . إيالك كوى سنتر بالمنصورة .

الأولى . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

٢ الملاحق . ص ٢٠٢ ترجمة إحسان قاسم الصالحى . دار سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٦هـ -

١٩٩٥ م

٣ شتاعات ص ٤٢٨

أو أنه يأتي إلينا من حيث الحياة الآخرة ، ففي تلك الجهة يابان : فإما أنه يتصور أنني رجل مبارك صاحب مقام عند الله ، ولأجل هذا يأتي إلينا .. هذا الباب أيضا مسدود . إذ لا تعجبني نفسي ، ولا يعجبني من يعجب بي . فحمداً لله أجزل حمد إذ لم يجعلني راضياً عن نفسي . أما الجهة الأخرى فهو يأتي إلينا لكوني خادماً للقرآن ودلالاً له وداعياً إليه ليس إلا . فمرحباً وأهلاً وسهلاً ، وعلى العين والرأس لمن يأتينا من هذا الباب .

وهؤلاء أيضاً على ثلاثة أنماط :

فإما أنه صديق ، أو أنه أخ ، أو أنه طالب .

فخاصية الصديق وشرطه :

أن يكون مؤيداً تأييداً جاداً لعملائنا في نشر الأنوار القرآنية (رسائل النور)
وأن لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً ، وأن يسعى أيضاً ليفيد نفسه .
وخاصية الأخ وشرطه :

أن يكون ساعياً سعياً حقيقياً وجاداً لنشر الرسائل ، فضلاً عن أدائه الصلوات
الخمسة ، واجتنابه الكبائر السبع .
وخاصية الطالب وشرطه :

أن يعد رسائل النور كأنها من تأليفه هو ، وأنها تخصه بالذات ، فيدافع عنها
وكانها ملكه ، ويعتبر نشر تلك الأنوار والعمل لها أجل وظيفة لحياته .
فهذه الطبقات الثلاث تتعلق بالجوانب الثلاث لشخصيتي .

فالصديق يرتبط بشخصيتي الذاتية . والأخ يرتبط بشخصيتي العبيدية أى
كوني أودى مهمة العبودية لله سبحانه .. أما الطالب فهو يرتبط بي من حيث كونه
داعياً ودلالاً للقرآن الحكيم ، ومرشداً إليه .^(١)

وبما أن المد الإلهادي في تركيا كان شاملاً لجميع جوانب الحياة ، ومركزاً
على الأصول والكتليات في الإسلام قبل الفروع والجزئيات ، فإن دعوة النورسوى

(١) المكتوبات . ص ٤٤٢-٤٤٣ ترجمة إحسان قاسم الصالحى . دار سوزار للنشر بالقاهرة الثانية .
١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .

كنت في المقابل متسمة بسمة الشمول والكلية ، وسيأتي في فصل المناهج كلامه في ذلك .

وانطلاقاً من هذا العموم والشمول جاءت أهداف متفرعة من الهدف التكني عام (الإيمان) كل واحد منها يسد خللاً ويقضى على فساد أوجده المد الإلحادي سمز الذي قضى على الأخضر واليابس في حياة المجتمع التركي . وهذا رصد للأهداف التي تجلت في دعوة بديع الزمان من خلال النصوص والمواقف الموثقة في رسائل النور .

أولاً : إصلاح الفرد " النفس "

لقد جعل النورسي هذا الهدف نصب عينيه فأولاه عنايته ، لعلمه أن صلاح الفرد يعني كل شيء في المجتمع ، فإذا وجد هذا النوع من الناس فقد وجدت معه سائر أسباب النجاح .. لذا كان هذا الهدف محل اهتمام الأنبياء عليهم السلام وفي عهدهم النبي (ﷺ) ، وسار على نهجهم الدعاة إلى الله تعالى خاصة عند غلبة نص والزيغ عن شرع الله تعالى .

وصلاح الفرد إنما يكون ببناء كيانه الروحي الذي هو الأساس الأول في البناء وعدم الاكتفاء بالكيان المادي ، وذلك من خلال ما شرع الله تعالى من عبادات ، وما أمر من التزام بأمور الحلال ، واجتناب ما نهى عن المنكرات ، مع سعي على ذبوع ذلك في الأمة . فهذا كله قمين بتكوين الإنسان الصالح المربوط بالله تعالى خالقه ورازقه وناصره ومعينه ربطاً مباشراً يشعر معه بمعية الله له في كل شيء . وينطلق في الحياة معمرأ يملأ الدنيا نورا .

وقد سبق في الباب الأول أن المد الإلحادي المتغرب قد نشر الأفكار الخبيثة في المجتمع التركي بصورة مخيفة فقطع صلة الناس بالله تعالى وطغت سيطرة على حياتهم ، وكانوا بحاجة ماسة إلى منقذ جديد يبدد في قلوبهم ظلام المادة ، يحيم بالقرآن الكريم وسنة النبي (ﷺ) .

وكان هذا المنقذ سعيد النورسي الذي كان صورة عملية لما يدعو إليه ، فقد صح نفسه قبل أن يتوجه لإصلاح غيره مما جعل لكلامه تأثيراً قوياً في النفوس ،

وقد قال عنها : " فلا بد أن أبدأ بها أولاً ، لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو تـ
غيرها أعجز . " (١)

ولهذا وصف حالته الروحية في مرحلته الأولى (سعيد القديم) وكيف
عالجها ، ونتيجة ذلك على الآخرين فقال :

" هوت صفعات عنيفة قبل ثلاثين سنة على رأس " سعيد القديم الغافل
ففكر في قضية " الموت حق " . ووجد نفسه غارقاً في الأوحال .. أستجد .. وبحر
عن طريق ، وتحري عن منقذ يأخذ بيده .. رأى السيل أمامه مختلفة .. حار في
الأمر وأخذ كتاب (فتوح الغيب) للشيخ عبد القادر الكيلاني رضى الله عنه . (٢)
وفتحه متفائلاً ، ووجد أمامه العبارة الآتية : أنت في دار الحكمة
فاطلب طبيباً يداوى قلبك ..

يا للعجب ! . لقد كنت يومئذ عضواً في " دار الحكمة الإسلامية " ، وكنت
جئت إليها لأداوى جروح الأمة الإسلامية ، والحال أنني كنت أشد مرضاً وأجبر
بالتعلاج من أى شخص آخر .. فالأولى بالمرريض أن يداوى نفسه قبل أن يداوى
غيره . نعم ، هكذا خاطبني الشيخ : أنت مريض .. ابحث عن طبيب يداويك !
قلت : كن أنت طبيبي أيها الشيخ ! .

بدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات .. كان شديد اللهجة يحط
غرورى . فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي .. فلم أتحمل ولم أطقه صبراً ..
لأنى كنت أعتبر كلامه موجهاً إليّ .. نعم هكذا قرأته إلى ما يقارب نصفه ..
أستطع إتمامه .. وضعت الكتاب في مكانه ، ثم أحسست بعد ذلك بفترة بأن آلام
الجراح قد ولت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة .. عدت إليه وأتممت قراءة
كتاب " أستاذي الأول " ، واستفدت منه فوائد جليلة ، وأمضيت معه ساعات
طويلة أصغى إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة ..

(١) الكلمات ص ٢٩٧ :

(٢) الشيخ عبد القادر الكيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) مؤسس الطريقة القادرية ، استقام على يديه كثير من
المسلمين ، وأسلم بدعوته كثير من اليهود والنصارى .

ثم وجدت كتاب "مكتوبات" للإمام الربانى أحمد الفاروقى السرهندى^(١) مجدد الألف الثانى ، فتفاعلت بالخير تفاؤلاً خالصاً ، وفتحتة ، فوجدت فيه عجباً ، حيث ورد فى رسالتين منه لفظة "ميرزا بديع الزمان" فأحسست كأنه يخاطبني باسمي ، إذا كان اسم أبى "ميرزا" وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلي ميرزا بديع الزمان فقلت :

يا سبحان الله .. إن هذا ليخاطبني أنا بالذات . لأن لقب سعيد القديم كان -يع الزمان ، ومع أننى ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير "الهمدانى الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، فلا بد أن يكون هناك أحد غيره قد عاصر الإمام الربانى السرهندى ، وخطب بهذا اللقب ، ولابد أن حالتى شبيهة بحالته حتى وجدت خاتمة تلك الرسالتين .. والإمام الربانى يوصى مؤكداً فى هاتين الرسالتين وفى مسائل أخرى أن :

"وحدّ القبلة" أى : أتبع إماماً أو مرشداً واحداً ولا تتشغل بغيره ! . لم توفق هذه الوصية - آنذاك - استعدادى وأحوالى الروحية .. وأخذت أفكر ما : أيهما أتبع ؟ .

أسير وراء هذا أم أسير وراء ذلك ؟ . احترت كثيراً ، وكانت حيرتى شديدة جداً ، إذ فى كل منهما خواص وجاذبية ، لذا لم أستطيع أن أكتفى بواحد منهما .. حينما كنت أتقلب فى هذه الحيرة الشديدة .. إذا بخاطر رحمانى من الله سبحانه تعالى يخطر على قلبى ويهتف بى :

- إن بداية هذه الطرق جميعها .. ومنبع هذه الجداول كلها .. وشمس هذه الكواكب سيرة .. إنما هو "القرآن الكريم" فتوحيد القبلة الحقيقى إذن لا يكون إلا فى قرآن .. فالقرآن هو أسمى مرشد .. وأقدس أستاذ على الإطلاق .. ومنذ ذلك اليوم فت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه .. " (٢)

نعم لقد كان النورسى - رحمه الله - روحاً جديدة سرى فى كيان الأمة - كية معتمداً على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، كى تهب من سباتها الإيمانى

سرهندى (٩٧١-١٠٣٤هـ) له مواقف جهادية ضد فتنة الملك (أكبر) ، وله مؤلفات كثيرة ، من رجالات الطريقة النقشبندية .

بديع الزمان . الصالحى . ص١٤١-١٤٣ ، بديع الزمان . مصطفى زكى العاشر ص١٢١-١٢٣ .

الذى أغرقها فيه الأعداء فى الداخل والخارج .. فعرفهم بالله تعالى وربطهم به سبحانه عن طريق الخضوع له وحده دون سواه ، والتضرع والافتقار إلى جلاله وعظمت وسلطانه ، والطمع فى رحمته ورضوانه وحده .. والتنعيم بمعيته عن طريق أداء الفرائض وفعل المأمورات وترك المنهيات والتأمل والذكر والاستغفار ، وفى كل ذلك إحياء للقلب والعقل والوجدان وفيها تحرير للعبد من ربة الذل والخضوع والعبودية لغير الله من طواغيت الأرض وقوانينهم وشهواتهم .

وهذه طائفة من أقواله وأحواله التى هى موضع القدوة فيه لإصلاح هذا الجانب " الروحى " المدمر فى الإنسان التركى ..

* فعن التقوى والعمل الصالح بما يحويان من فرائض وسنن ومأمورات الحلال ومنهيات الحرام خص الجيل المعاصر له ولا سيما طلاب النور فقال :

" أختى الأعداء الأوفياء ! "

لقد فكرت - فى هذه الأيام - فى أسس التقوى والعمل الصالح ، الذين هما أعظم أساسين فى نظر القرآن الكريم بعد الإيمان .

فالتقوى هى : ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات ، والعمل الصالح هو : فعل المأمور لكسب الخيرات .

فى هذا الوقت الذى يتسم بالدمار - الأخلاقى والروحى - وبإيثار هوى النفس الأمارة ، وبإطلاق الشهوات من عقالها تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً ، بل ركيزة الأسس وتكسب أفضلية عظيمة ، حيث إنها دفع للمفاسد وترك للكبائر ، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع ، قاعدة مطردة فى كل وقت .

وحيث إن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم فى هذا الوقت ، فقد أصبحت التقوى أعظم أساس وأكبر سد لصد هذا الدمار الرهيب . فالذى يؤدى الفرائض ولا يرتكب الكبائر ، ينجو بإذن الله ، إذ التوفيق إلى عمل خالص مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جداً .

إن عملاً صالحاً ولو كان قليلاً يغدو فى حكم الكثير ضمن هذه الشرائط

الكثيرة والظروف العصيبة» (١) .

بلى أن يقول :

" إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب أنور خدام القرآن الكريم ، فى هذا الوقت هى: اتخاذ التقوى أساساً فى الأعمال كلها ، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار ترهيب المهاجم والأثم المحيطة بهم ، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا فى كل دقيقة ، فالتقوى هى التى تجعل - - - نون ريب - الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة ، وذلك باجتنابه تلك المحرمات . " (٢)

✽ وعن الفرائض التى هى أحب ما افترض الله على العباد ، والسنن التى تليها فى المرتبة ، تكلم فى الشعاع الرابع من الكلمة السادسة عشرة عن الصلاة بأنواعها وأفاض فى ذكر أسرارها ، وتكلم عن الحج وأسارره مظهراً بذلك أهمية الشعائر الإسلامية حتى لو كانت من قبل السنن النبوية ، ومبيناً كذلك أثرها فى تركية النفس . (٣)

وفى الكلمة التاسعة تكلم عن حكمة تخصيص الصلاة فى أوقات خمسته معينه بأسلوب محبب إلى النفس . (٤)

كما خصص المقام الأول من الكلمة الحادية والعشرين للحديث عن الصلاة وأهميتها وكيف أنها عماد الدين ، وعدد المكاسب التى يحصلها المسلم الحريص على أدائها على وجهها الصحيح ، وفى المقابل ذكر الخسارة الفادحة التى يجلبها على نفسه مرات فى اليوم والليلة من خلال تنبيهات خمسة فى أسلوب عصرى جذاب خاطب

(١) لملاحق ص ١٦٩ . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . دار سوزلر بالقاهرة . الثانية . (١٤١٦هـ - ١٩٤٤م)

(٢) لملاحق ص ١٦٩ .

(٣) نظر الكلمات ص ٢١٩-٢٢٠ .

(٤) راجع الكلمات ص ٣٨-٤٦ ، وحقائق الإيمان ببيع الزمان سعيد النورسى ص ١٥-٢٥ . استبول ١٩٤٤م

ترجمة إحسان قاسم الصالحى .

به نفسه أولاً . (١)

كما خصص القسم الثاني من الرسالة الثانية للمكتوب التاسع والعشرين
للحديث عن حكم فريضة الصيام من خلال تسع نقاط . (٢)

* وعن علاج القلب من أمراضه - باعتباره ملك البدن ، فإذا صلح فقد صلح البدن
وإذا فسد فسد البدن معه - وصف خمسة علاجات في المقام الثاني من الكلمة
الحادية والعشرين لتكون دواء للقلب من أمراضه التي تصيبه من جراء نزغات
الشیطان ووسوساته ، وقد جعل عنوانها : " خمسة مراهم لخمسة جروح
قلبية . " (٣)

* وعن تربية المسلم على الخضوع لله تعالى والافتقار إليه وحده ، والاستمداد منه
دون سواه ، حتى يكون كريماً عزيزاً ، يقول مبيناً أنها وظيفة الإنسان السامية
في الحياة : " يتضح من هذا أن وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمّل " بالتعلّ
" أى الترقى عن طريق كسب العلم والمعرفة ، والعبودية " بالدعاء " أى أن
يدرك في نفسه ويستفسر :

برحمة منّ وشفقته أدارى بهذه الرعاية الحكمة ؟ ! .

وبمكرمة منّ وسخائه أربى هذه التربية المفعمّة بالشفقة والرحمة ؟ ! .. وبأنطاف
من أغذى بهذه الصورة الرازقة الرقيقة ؟ ! .. فيرى أن وظيفته حقاً هو الدعاء
والتضرع والتوسل والرجاء بلسان الفقر والعجز إلى قاضى الحاجات ليقضى له
طلباته وحاجاته التي لاتصل يده إلى واحدة من الألف منها .. وهذا يعنى أن
وظيفته الأساسى هى التحليق والارتفاع بجناحي " العجز والفقر " إلى مقام
العبودية السامى .

إذن فلقد جىء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء

، لأن كل شئ فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد ..
فأساس كل العلوم الحقيقية ومعناها ونورها وروحها هو " معرفة الله تعالى " كما أن

(١) راجع الكلمات ص ٢٩٧-٣٠٢ .

(٢) راجع المكتوبات ص ٥١٢-٥٢١ .

(٣) راجع الكلمات ص ٣٠٣-٣٠٩ .

س هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا . " (١)

ويقول مخاطباً المسلم من خلال خطابه لنفسه تعليقاً على قول الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) (٢) وقوله تعالى : (ففروا إلى الله) (٣) .
" اعلم ! أيها السعيد القاصر العاجز الفقير ! أن في نفسك قصورا بلا نهاية ، وعجزاً بلا غاية ، وفقراً بلا انتهاء ، واحتياجاً بلا حد ، وآمالاً بلا عد . فكما أودع فيك الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمته تعالى ، كذلك ركبت من القصور والفقير والعجز والاحتياج ، لتتظر بمرصاد قصورك إلى سرادقات كماله سبحانه ، وبمقياس عجزك إلى درجات غناه ورحمته ، وبميزان عجزك إلى قدرته وكبريائه ، ومن تنوع احتياجك إلى أنواع نعمه وإحسانه .

فغاية فطرتك هي العبودية . والعبودية ، أن تعلن عند باب رحمته :

قصورك بـ " استغفر الله " وبـ " سبحانه الله .. "

وفقرتك بـ " حسبنا الله " ، وبـ الحمد لله " وبالسؤال ..

وعجزك بـ " لا حول ولا قوة إلا بالله " وبـ " الله أكبر " وبـ الاستمداد .. فتظهر
عراة عبوديتك جمال ربوبيته . " (٤)

* ويقول مسترشداً بمناجاة وتضرع نبي الله يونس عليه السلام ، مخاطباً الجيل المعاصر الذي تعلق بالأسباب المادية وحدها تاركاً خلف ظهره الأسباب المعنوية وتأثيرها القوي ، وواضعاً العلاج الناجع له انطلاقاً من الموقف القرآني العظيم وهو في سفينة الحياة المضطربة : .. " إن مناجاة سيدنا يونس بن متى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هي من أعظم أنواع المناجاة وأروعها ، ومن أبلغ الوسائل لاستجابة الدعاء وقبوله . تتلخص قصته المشهورة بأنه - عليه السلام - قد ألقى به إلى البحر فالتقمه الحوت ، وغشيته أمواج البحر الهائجة ، وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فداهمته الرهبة والخوف من كل مكان ،

(١) الكلمات ص ٣٥٥ ترجمة إحسان قاسم الصالحى . دار سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

(٢) فاطر : (١٥)

(٣) الذاريات : (٥٠)

(٤) المشوى العربى النورى ص ٣٦٤ .

وانقطعت أمامه أسباب الرجاء ، وانسدت أبواب الأمل .. وإذا بمناجاته الرقيقة
وتضرعه الخالص الذكى : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)^(١)
يصبح له فى تلك الحالة واسطة نجاة ووسيلة خلاص .

وسر هذه المناجاة العظيم هو :

أن الأسباب المادية قد هوت كلياً فى ذلك الوضع المرعب ، وسقطت نهائياً
فلم تحرك ساكناً ولم تترك أثراً ، ذلك لأن الذى يستطيع أن ينقذه من تلك الحالة ،
ليس إلا ذلك الذى تتفد قدرته فى الحوت ، وتهيمن على البحر وتستولى على الليل
وجو السماء ، حيث إن كلاً من الليل الحالك والبحر الهائج والحوت الهائل قد اتفق
على الانقضاء عليه ، فلا ينجيه سبب ، ولا يخلصه أحد ، ولا يوصله إلى ساحل
السلامة بأمان ، إلا من بيده مقاليد الليل وزمام البحر والحوت معاً ، ومن يسخر كل
شئ تحت أمره .. حتى لو كان الخلق أجمعين تحت خدمته عليه السلام ورهن
إشارته فى ذلك الموقف الرهيب ، ما كانوا ينفعون به شئ ! . أجل لا تأثير للأسباب
قط .. فما إن رأى عليه السلام بعين اليقين ألا ملجأ له من أمره تعالى إلا اللواذ إلى
كنفه مسبب الأسباب، انكشف له سر الأحذية من خلال نور التوحيد الساطع حتى
سخرت له تلك المناجاة الخالصة الليل والبحر والحوت معاً بل تحول له بنور
التوحيد الخالص بطن الحوت المظلمة إلى ما يشبه جوف غواصة آمنة هادئة تسير
تحت البحر ، وأصبح ذلك البحر الهائج بالأمواج المتلاطمة ما يشبه المتنزه الآمن
الهادئ وانقشعت الغيوم عن وجه السماء - بتلك المناجاة - وكشف القمر عن وجهه
المنير كأنه مصباح وضئ يتدلى فوق رأسه ..

وهكذا غدت تلك المخلوقات التى كانت تهدده وترعبه من كل صوب
وتضيق عليه الخناق ، غدت الآن تسفر له عن وجه الصداقة ، وتتقرب إليه بالود
والحنان ، حتى خرج إلى شاطئ السلامة وشاهد السلامة وشاهد لطف الرب الرحيم
تحت شجرة اليقطين . " (٢)

(١) الأنبياء : (٨٧) .

(٢) للمعات . ص ٧٠٦ . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر باستبول . تركيا . الأولى . ١٤١٣ هـ .

١٩٩٣ م .

تم خلاص من القصة إلى إنسان عصره فقال :

" فلننظر بنور تلك المناجاة إلى أنفسنا .. فنحن فى وضع مخيف ومرعب

ضعاف أضعاف ما كان فيه سيدنا يونس حيث أن :

لنا الذى يخيم علينا ، هو المستقبل .. فمستقبلنا إذا نظرنا إليه بنظر الغفلة يبدو مظلماً مخيفاً ، بل هو أهلك ظلاماً وأشد عتامة من الليل الذى كان فيه سيدنا يونس عليه السلام مائة مرة وبحرنا ، هو بحر الكرة الأرضية ، فكل موجة من أمواج هذا لبحر المتلاطم تحمل آلاف الجنائز ، فهو إذن بحر مرعب رهيب بمائة ضعف رهبة لبحر الذى ألقى فيه عليه السلام .

وحوتنا ، هو ما تحمله من نفس أماراة بالسوء ، فهى حوت يريد أن يلتقم حياتنا الأبدية ويمحقها .. هذا الحوت أشد ضراوة من الحوت الذى ابتلع سيدنا يونس عليه السلام ، إذ كان يمكنه أن يقضى على حياة أمدها مائة سنة ، بينما حوتنا نحن نحاول إفناء مئات الملايين من سنى حياة خالدة هنيئة رغيدة فما دامت حقيقة وضعنا هذه ، فما علينا إذا إلا الإقتداء بسيدنا يونس عليه السلام والسير على هديه ، معرضين عن الأسباب جميعا ، مقبلين كلياً إلى ربنا الذى هو مسبب الأسباب ، متوجهين إليه بقلوبنا وجوارحنا ، ملتجئين إليه سبحانه قائلين :

(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) مدركين بعين اليقين أن قد نتمر علينا - بسبب غفلتنا وضلالنا - مستقبلنا الذى يرتقبنا ، ودياننا التى تضمننا ونفوسنا الأماراة بالسوء التى بين جنبينا ، موقنين كذلك أنه لا يقدر أن يدفع عنا مخاوف المستقبل وأوهامه ، ولا يزال عنا أهوال الدنيا ومصائبها ، ولا يبعد عنا أضرار النفس الأماراة بالسوء ودسائسها ، إلا من كان المستقبل تحت أمره والدنيا تحت حكمه ، وأنفسنا تحت إرادته .

تُرى من غير خالق السموات والأراضين يعرف خلجات قلوبنا ، ومن غيره يعلم خفايا صدورنا ، ومن غيره قادر على إنارة المستقبل لنا بخلق الآخرة ، ومن غيره يستطيع أن ينفذنا من بين ألوف أمواج الدنيا المتلاطمة بالأحداث !؟ .. حاشا لله وكلا أن يكون لنا منج غيره ومخلص سواه ، فهو الذى لولا إرادته النافذة ولولا أمره المهيم ، لما تمكن شئ أينما كان وكيفما كان أن يمد يده

ليغيث أحداً بشيء ! " (١) وهكذا

* وتوجه إلى الإنسان المغتر بنفسه وبالدينيا ، الغافل عن الآخرة ، فذكره باعتماد
الفرصة قبل ضياع الوقت ، وضرب له المثل بالواقع وبمن مضى من الأسلاف
، بادئاً كلامه بقول الله تعالى : (وما الحياة الدنيا إى متاع الغرور) (٢)
ومخاطباً نفسه أولاً بما يقول قبل مخاطبته غيره . (٣)

* كما توجه بالخطاب إليه من خلال خطابه لنفسه كذلك بعدم الاغترار حتى
بالصالحات ، ولو كان ذلك بحجة خدمة الدين زمننا ، لأن ذلك يورث العجب
والرياء فقال :

" يا نفسى المرائية ! لا تغترى قائلة : إننى خدمت الدين . فإن الحديث
الشريف بـ " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " (٤) .

فعليك أن تعدى نفسك ذلك الرجل الفاجر ، لأنك غير مزكاة .
واعلمى أن خدمتك للدين وعباداتك ما هى إلا شكر ما أنعم الله عليك ، وهى
أداء لوظيفة الفطرة وفريضة الخلق ، ونتيجة الصنعة الإلهية .. اعلمى هذا
وأنقذى نفسك من العجب والرياء " . (٥)

* وعن الإخلاص فى العمل لله عز وجل وحده ، وما يستتبعه من تعاون وتساند
وصفاء أخوى دون اختلاف أو نزاع أو تنافس فيما لا ينبغى ، نجده يوجه إلى
تلاميذه أربعة دساتير (٦) يلزمهم العمل بها لما لذلك من أثر طيب على نفوسهم
ودعوتهم ، وسيأتى نص كلامه فى فصل المناهج إنشاء الله .

(١) اللغات . ص ٨٧ .

(٢) آل عمران : (١٨٥) .

(٣) الكلمات . ص ١٩٢-١٩٤ .

(٤) روى البخارى أن النبى ﷺ قال لبلال : " يابلال قم فأذن ، لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر " .

(٥) الكلمات ص ٥٥٥ . (٦) راجع الملاحق ص ٣٦٣-٣٦٤ .

لقد كان لهذا الهدف " إصلاح الفرد " الذى رنى إليه النورسى - رحمه الله - قولاً وعاشه فى نفسه أولاً عملاً أثره الكبير فى تركيبة آلاف الأنفس فى المجتمع التركى .. فهداها الله تعالى بعد ضلال ، وأنقذها بنور الإيمان من المادية وشقائها ، وقد أصقلتهم هذه التربية الإيمانية فأكسبتهم صلابة وقوة وقفوا بها مع أستاذهم فى وجه الطغاة المتجبرين متحملين ما تعرضوا له من إيذاء وعنت ، فألقى بمواقفه الإيمانية هو وطلابه الرعب فى قلوبهم - وهم أصحاب الحول والطول فصاروا أمامهم ضعافاً مهزلي .

يقول :

" لقد ضحيت بكل شئ وتحملت كل أذى ، وبذلك انتشرت الحقائق الإيمانية فى كل مكان ، ونشأ مئات الآلاف - بل ربما الملايين - من طلاب مدرسة النور ، ونهلوا من معارفها . وهؤلاء هم الذين سيستمرون فى هذه الطريق فى خدمة الإيمان ، ولف يحددوا عن طريقتي فى التضحية بكل شئ مادياً كان أو معنوياً ، إذ سيكون سعيهم لله سبحانه وتعالى دون غيره . " (١)

ويقول مخاطباً طغاة عصره :

" ولو اجتمعت أوروبا بأسرها بما فى ذلك ملاحدتك ، قلن تستطيع أن تحول من مسألة واحدة من مسائل مهنتى ، ولا أن تغلبنى بأذن الله وتوفيقه ... قوة تعضد لا ترد تقدير الله .. وشمعة أوقدها المولى لا تطفئها الأفواه . " (٢)

ثانياً : إصلاح البيت

لقد كان البيت محط نظر سعيد النورسى لعلمه أنه النواة الأولى للمجتمع فإذا انصلح البيت ، انصلح المجتمع ... ولأجل هذا كان تركيز أدوات الإفساد العثماني فى تركيا على البيت حتى وصل إلى الحالة المزرية التى علمناها فى الباب الأول من هذا الكتاب .

١- للملاحق . ص ٣٧١ .

٢- المكتوبات . ص ٩١ .

وفى المقابل كان اهتمام الدعاة والمفكرين المسلمين وفى مقدمتهم سعيد

النورسى بالبيت ، فبذلوا كل ما فى وسعهم حتى تعود له هويته الإسلامية شكلاً وموضوعاً وكان من رسالته التى وجهها إلى أرباب البيوت وخاصة طلاب النور قوله : " اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة ، وموضع تلقى العلم والعرفان كى يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة ، على الإيمان ، فيكونون لكم شفعاة يوم القيامة ، وأبناء بررة فى هذه الدنيا ، وعندها تنقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً .

وبخلافه لو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها - كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت - فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم فى الدنيا - من جهة - ومدعين عليكم يوم القيامة ، إذ يقولون لكم : " لما لم تنفذوا إيماننا ؟ " فتتدمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم ، وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة .^(١)

ولأجل إصلاح الركن المهم فى البيت " المرأة " كتب رسالة " الحجاب " التى حوكم بسببها - كما تقدم - وتوجه بها أولاً فى الظروف العصبية التى مر بها البيت المسلم فى تركيا إلى كل مسلمة تركية صيانة لها من الأفكار الإلحادية الهدامة التى انتشرت فى تركيا والمنادية بانسلاخ المسلمة من عقيدتها وشريعتها ، وبالتالى من عفتها وحشمتها وطارتها وحجابها ، بحجة التقدم ومسايرة ركب الحضارة الغربية .. فأوصاهن بالتمسك بأوامر الله تعالى لأنها كلها رحمة ، وعرفهن بسفاسف المدينة الغربية وزيفها وشكوكها المهلكة حتى للغربيين أنفسهم ، وبشبهات المبهورين بها على الإسلام وعلى المسلمات .. وأوصاهن بالاهتمام ببيوتهن ورعاية الأولاد وتربيتهم على الإسلام ، لأن فى ذلك الخير للأبناء والأبناء فى الدنيا والآخرة .

يقول : " إن الوالدة الحنونة تضع نصب عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك ، لتجعله يستفيد فى الدنيا . فتربى ولدها على هذا الأساس ، فتتفق جميع أموالها ليكون ابنها عظيماً وسيداً أمراً ، فتراها تأخذ ولدها من

(١) الملاحق ص ٤٠٣ .

تأرس العلمية الدينية وترسله إلى أوربا ، من أن تفكر في حياة ولدها الأبدية التي
ضيق مهددة بالخطر .

فهى إذ تسعى لتتقذه من سجن دنيوى ، لا تهتم بوقوعه فى سجن جهنم الأبدى
فتصرف تصرفاً مخالفاً لفطرتها مخالفة كلية ، إذ بدلاً من أن تجعل ولدها البريء
خيلاً لها يوم القيامة تجعله مدعياً عليها ، إذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلاً لها : " لم
تقوى إيمانى حتى تسببى فى هلاكى هذا ؟ " !

وحيث إنه لم يأخذ قسطاً وافراً من التربية الإسلامية ، فلا يبالى بشفقة والدته
بخارقة بل قد يقصر فى حقها كثيراً .

ولكن إذا ماسعت تلك الوالدة إلى إنقاذ ولدها الضعيف من السجن الأبدى
فى هو جهنم ، ومن الإعدام الأبدى الذى هو الموت فى الضلالة ، بشفتها الحقيقية
تدوية دون الإساءة فى استعمالها ، فإن ولدها سيوصل الأنوار دوماً إلى روحها
وفاتها ، إذ يسجل فى صحيفة أعمالها مثل جميع الحسنات التى يعملها ولدها ..
تد سيكون لها ولداً طيباً مباركاً نعمان معاً بحياة خالدة شفيحاً لها عند الله ما
يعها ، لا شاكياً منها ولا مدعياً عليها " . (١)

ثم بين تأثير الأم الواضح - وهى أقرب بيئة إلى الأولاد - منذ نعومة
ضنارهم ، فقال ضاربا المثل بوضع أمه معه :

نعم ! إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليمياً ، إنما هو والدته .
بين بهذه المناسبة هذا المعنى الذى أتحمسه دائماً إحساساً قاطعاً فى شخصى
وهو :

أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته ، وكأنه يتجدد على ، إنما هو تلقينات
فى - رحمها الله - ودروسها المعنوية ، حتى استقرت فى أعماق فطرتى
صبحت كالبذور فى جسدى ، فى غضون عمرى الذى يناهز الثمانين ، رغم أنى
تأخذت دروساً من ثمانين ألف شخص ، بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما تبنى
على تلك البذور . بمعنى أنى أشاهد درس والدتى - رحمها الله - وتلقيناتها

لفطرتى وروحي وأنا فى السنة الأولى من عمرى ، بذور أساس ضمن الحَقِّقِ
العظيمة التى أراها الآن وأنا فى الثمانين من عمرى ... " (١)

وفى الرسالة أوصى بحسن المعاملة الزوجية إضافة إلى حسن التربية
للأولاد ، وتفويت الفرصة على المنظمات الإلحادية المخربة التى صبت جام غضبها
على البيت المسلم فقال :

" إن الحياة الأسرية هى قلعة الإنسان الحصينة ، ولاسيما المسلم هى كالحة
المصغرة وديناه الصغيرة .

فتشت عن السبب الذى أدى إلى فسادها وعلمت أن هناك منظمات سرية
تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم بتلليل سبل الشهوات أمامهم وسوقهم إلى السفاهة
والغواية لإفساد المجتمع الإسلامى والإضرار بالدين الإسلامى ، كما أحسست أن
منظمات أيضاً تعمل فى الخفاء وتسعى سعياً جاداً مؤثراً لدفع الغافلات من النساء
للطيفات إلى طرق خاطئة آثمة . وأدركت أن ضربة قاصمة على هذه الأمة
الإسلامية تأتى من تلك الجهة . فأنا أبين بياناً قاطعاً ، يا أخواتى ويا بناتى
المعنويات الشابات !

إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد فى دنياهن وأخراهن معاً
وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجايهن الراقية اللاتى فى فطرتهن من الفساد ، ليس
إلا فى تربيتهن دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل " . (٢)

ويقول :

" إن السعيد هو ذلك الزوج الذى يقلد زوجته الصالحة . ، فيكون صالحاً
مثلها ، لنلا يفقد رفيقته فى حياة أبدية خالدة . وكم هى سعيدة تلك الزوجة التى ترى
زوجها متديناً بأهداب الدين لنلا تفقد رفيقها الأبدى ، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن
سعادة دنياها .

وكم هو شقى ذلك الزوج الذى يتبع زوجته التى ارتمت فى أحضان السفاهة
فيشاركها ولا يسعى لإنقاذها !

(١) للمعات ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٢) للمعات ص ٣١٠ .

وما أشقاها تلك الزوجة التي تنظر إلى فجور زوجها وفسقه و تقلده بصورة
حرى !. والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يعين كل منهما الآخر في دفعه إلى
سار ، أى يغرى كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنية .

وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى فى رسائل النور هو : إنه لا
ممكن أن يكون - فى هذا الزمان - تنعم بحياة عائلية وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة
وكتشاف لسجايا راقية فى النساء إلا بالتأدب بالأداب الإسلامية التي تحدده الشريعة
لعراء . (١)

ثم أوصى بعدم الارتماء فى أحضان المنظمات المعادية للإسلام والتي
حطت للارتكاس فى المعصية ، والقضاء على الحياة الزوجية الإسلامية السعيدة ،
ورشد النساء إلى الحفاظ على إيمانهم فيه الحفاظ على كل شىء يتعلّق بشخصية
سلمة وبيبتها ، كما أرشدهن إلى كسب نفقاتهن من عمل أيديهن من الأعمال التي
تسب طبيعتهن وتنفق وعفتن وحشمتن مع الاقتصاد فى النفقة . (٢)

وحفاظاً على تماسك بنیان الأسرة المسلمة أوصى بالوالدين والأقارب الذين
عبر فى ظل السير على نهج الفلسفة المادية الأوربية المأوى والرعاية اللاتقة
وعصعهم ، فحث على رعايتهم ، وضرب الأمثال الدافعة إلى حسن صلة الأرحام
على مصدرأ كلامه بقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
لا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما
عزاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني
عزيراً . ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين
عوراً) . (٣)

قال :-

" أيها الغافل ، ويا من يسكن فى بيته أب شيخ ، أو أم عجوز ، أو أحد من
عزى قرياه ، أو أخ فى الدين مقعد ، أو شخص عاجز عليل . . أنظر إلى هذه الآية
الترجمة بدقة وإمعان ، انظر كيف أن آية واحدة تجلب للوالدين العجوزين خمسة

معاني ص ٣١٠-٣١١ .
نظر المرجع السابق ص ٣١١-٣١٣ ، وانظر الملاحق ص ٣٤٠-٣٤٢

الإراء : (٢٣-٢٥) .

أنواع من الرحمة بصور مختلفة وأشكال متعددة ؟ نعم ، إن أسمى حقيقة في الدنيا هي شفقة الأمهات والآباء حيال أولادهم ، وإن أعلى الحقوق كذلك هو حق احترامه مقابل تلك الشفقة والرافة ؛ ذلك لأنهم يضحون بحياتهم فدى حياة أولادهم بكل وسعادة . ولذلك فإن كل ولد - إن لم تسقط إنسانيته ولم ينقلب بعد إلى وحش - يد أن يوقر بإخلاص أولئك الأحبة المحترمين ، المضحين الصادقين ويقوم بخدمتهم خدمة صادقة ، ويسعى لنيل رضاهم وإدخال البهجة في قلوبهم . إن العم والعمة هم في حكم الأب ، وأن الخالة والخال في حكم الأم . فاعلم ما أشد انعداماً للضمير استئصال وجود هؤلاء الشيوخ الميامين واسترغاب موتهم ! بل ما أشده من دناءة ووضاعة بالمرّة . اعلم هذا ... واصح ! .

أجل افهم ، ما أقدره من ظلم وما أفضعه من انعدام للضمير أن يتمنى من زوال الذى ضحى بحياته كلها في سبيل حياته هو !

أيها الإنسان المبلى بهموم العيش ! اعلم أن عمود بركة بيتك ووسيلة الرحمة فيه ، ودفع المصيبة عنه ، إنما هو ذلك الشيخ ، أو ذلك الأعمى من أقربائك الذى تستقله . لا نقل أبداً : إن معيشتى ضنك ، لا أستطيع المداراة فيها ! .. ذلك لأنه لو لم تكن البركة المقبلة من وجوه أولئك ، لكان ضنك معيشتك أكثر قطعاً . فخذ منى هذه الحقيقة ، وصدقها ، فإننى أعرف لها كثيراً من الأدلة القاطعة . وأستطيع أن أحملك على التصديق بها كذلك " (١) .

إلى أن يقول :

" أجل ! إن الخالق ذا الجلال والإكرام الذى هو الرحمن الرحيم وهو اللطيف الكريم - بشهادة ما فى الكون اجمع - حينما يرسل الأطفال إلى الدنيا فإنه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة فى منتهى اللطف ؛ كأنقاذ ما فى الأثناء وتفجيره كاليابيين إلى أفواههم ، كذلك فإن أرزاق العجزة - الذين دخلوا فى عداد الأطفال بل هم أحق بالمرحمة وأحوج إلى الرافة - يرسلها لهم سبحانه وتعالى بصورة بركة ، ولا يحمل الأثحاء من الناس إعاشة هؤلاء ولا يدعها لهم . فالحقيقة التى تفيدها الآيات

(١) المكتوبات . ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

تكريمة : { إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } (الذاريات : ٥٨) . (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) . (العنكبوت : ٦٠) حقيقة كانت كرم ينطق بها وينادي بلسان حال جميع المخلوقات المتنوعة من الأحياء وليس تشيخ الأقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغداً بصورة بركة ، بل رزق حتى بعض المخلوقات التي وهبت لمصاحبة الإنسان وصدافته كأمثال القطط . فإن أرزاقها تدخل ضمن رزق الإنسان ، وتأتي بصورة بركة أيضاً . ومما يؤيد هذا ، ما شاهدته بنفسى من مثال ، هو : كانت لى حصة من الغذاء كل يوم - كما يعلم حائى القرييون - قبل سنتين أو ثلاث وهى نصف رغيف ، وكان رغيف تلك قرية صغيراً ، وكثيراً ما كان لا يكفينى .. ثم جاعنى أربع قطط ضيوفاً ، وقد تحلى ذلك الغذاء وكفاهم . بل غالباً كانت تبقى منه فضلة وزيادة .

هذه الحالة قد تكررت عندى بحيث أعطتلى قناعة تامة من أننى الذى كنت استفيد من بركات تلك للقطط . وأنا أعلن إعلاناً قاطعاً الآن أن تلك القطط ما كنت حملاً ولا عبئاً علي ولم تكن تبقى تحت منتى ، وإنما أنا الذى كنت أبقى تحت حمايتها .

ثم هيج مشاعر المسلمين تجاه أقاربهم ، وأثار عواطفهم بهذا الكلام المؤثر
قال :

" أيها الإنسان . إن حيواناً شبه مفترس يأتى ضيفاً إلى بيت يكون محوراً تركة فكيف إذا حلّ في البيت من هو أكرم المخلوقات وهو الإنسان ؟ ومن هو كليم من بين الناس وهو المؤمن ؟ ومن هو من العجزة والمعلولين المعمرين من أهل الإيمان ؟ ومن هو أكثر أهلاً للخدمة والمحبة من بين المعلولين والمعمرين رولى من يستحقونها وهم الأقربون ؟ ومنهم أخلص صديق وأصدق محب من بين هؤلاء الأقربين وهم الوالدان ؟! . كيف بهم إذا حلوا في البيت . فلك أن تقيس ، ما عظمها من وسيلة للبركة ، ومن وساطة لجلب الرحمة ومن سبب لدفع المصيبة ، كما يتضمنه معنى الحديث الشريف : " لولا الشيوخ الركع لصبّ عليكم البلاء صاباً (١) " .

إذن أيها الإنسان : تأمل .. واعتبر واعلم أنك إن لم تمت فلا مناص من أن صير شيخاً عجوزاً ، فإن لم تحترم والديك ، فسيأتى عليك يوم لا يوركك أولادك ،

ولن يحترموك ، وذلك بما أودع الله من سر في " الجزء من جنس العمل " . لذا ..
إن كنت محباً لآخرتك فدونك كنز عظيم ألا وهو : اخدمهما ونل رضاهما . وإن
كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما . حتى تمضى حياتك براحة ، وحتى
يأتي رزقك بركة من ورائهم .

وإلا .. فإن استتقال هؤلاء وتمنى موتهم وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة
يجعلك ممن تنطبق عليه حقيقة الآية الكريمة { خسر الدنيا والآخرة } ؟ ، وإذا
كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم فارحم ودائع ذلك الرحمن ، وما استودعك في بيتك
من أمانات ؟ (٢)

"وكان من ناحيته يتفقد أحوال طلاب النور الأسرية ، فإن كان هناك ما
يعكر صفوها انزعج لذلك ، وأرسل وصاياه بتحسين العلاقة داخل الأسرة ، كالذي
صنعه مع والد وولده بسبب المناقشة حول بعض المسائل الدينية في مدينة
" اينبولى " . (٣)

كان لهذا الاهتمام من بديع الزمان سعيد النورسي أثره الكبير في تفويت
كثير من الفرص على أصحاب الاتجاه الإلحادي الماكر ، وعودة بيوت إلى الارتداد
بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وفي مقدمتها بيوت " طلاب رسائل النور " الذين
انتشروا في جميع أنحاء تركيا .

(١) " لولا عباد لله ركع وصيبة رضع وبهانم رضع لصباً عليكم البلاء - وفي رواية العذاب - صباً " روى
الطبراني والطبراني وابن منده وابن عدي وغيرهم عن أبي هريرة رفعه ... ورواه السيوطي في الجامع
الصغير - الحديث نفسه ، قال المناوي نقلاً عن الهيثمي : وهو ضعيف . باختصار عن كشف الخفاء
١٦٣/٢ ."

(٢) المكتوبات ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٣) راجع الملاحق ص ٢٧٤ .

ثالثاً : إصلاح المجتمع

سبق في الباب الأول أن المد الإلحادي المدمر قد أوصل المجتمع التركي إلى الحالة التي طغت عليه فيها المادية الوافدة برياحها السمووم من الغرب ، عطفعت أوصاله ، وقضت على ما كان يتصف به من علاقات الحب والود والتأخي وأبعدته عن الالتزام بشريعة ربه ، الأمر الذي أفزع بديع الزمان سعيد نيرسى فأفرغ جهده وشحذ همم تلاميذه معه للعمل على القضاء على الداء الاجتماعي الذي أصابه ، وإعادته إلى هويته الإسلامية مرة أخرى حتى يكون مجتمع المترابط المتماسك المتحاب المنطلق من العقيدة الإسلامية الصحيحة .

فمثلاً في المکتوب الثانی والعشرين الذي صدره بقول الله تعالى : (إنما

المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) (١) ، وقوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .) (٢) ، وقوله تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (٣) . تحدث عما سببه التحيز والعناد والحسد من نفاق وشقاق وغل وحقد وعداء مما هو مرفوض في الإسلام في أوساط المؤمنين ، لأنه سم زعاف يفسد حياة البشر . وتكر لذلك ستة أوجه : بين في الوجه الأول والثاني منها كيف أن العداء الواقع بين المسلمين ظلم ، لأنه اعتداء المسلم على حق أخيه المسلم ، وأنه نقيض لمحبة التي ينبغي أن تسود بينهم ، فهما كالنور والظلام لا يجتمعان . (٤)

واستنكر بأسلوب مؤثر على المسلمين تفرقهم وتشاحنهم ومعهم أسباب القوة

وحدة بما لا يوجد لدى غيرهم فقال :

نحجرات : (١٠) .

عت : (٣٤) .

عمران : (١٣٤) .

تصير المکتوبات ص ٣٣٩-٣٠٤ .

" نعم ! إن الإيمان بعقيدة واحدة ، يستدعى حتماً توحيد قلوب المؤمنين به على قلب واحد ، ووحدة العقيدة هذه ، تقتضي وحدة المجتمع . فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد ، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد ، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة ، فما بالك بالإيمان الذى يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة ، وروابط الاتفاق العديدة ، ووشائج الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى . فيرشدك مثلاً إلى :

أن خالفكما واحد ، مالككما واحد ، معبودكما واحد ، رازقكما واحد . وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف . ثم ، إن نبيكما واحد ، دينكما واحد قبلتكما واحدة وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة . ثم إنكما تعيشان معاً في قرية واحدة . تحت ظل دولة واحدة في بلاد واحدة ... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة . فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التى تستدعى الوحدة والتوحيد والوفاء والاتفاق والمحبة والأخوة ، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة . فما أظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل عليها أسباباً واهية أو هن من بيت العنكبوت ، تلك التى تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء ، فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً مع أخيه المؤمن . أليس هذا إهانة بتلك الروابط التى توحد ؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التى توجب المحبة ؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التى تفرض الأخوة ؟ فإن لم يكن قلبك ميتاً ولم تتطفئ بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيداً . " (١)

وفى الوجه الثالث : بين أن أساس العلاقة بين المسلمين هى الصفح والعفو بدلاً من هذه الأضرار المودية بالمجتمعات . (٢)

وفى الوجه الرابع : وضع عدة دساتير اجتماعية للأخوة الإسلامية ، وهى جديرة بالتسجيل هنا . يقول :

(١) المكتوبات ص ٣٤١ .

(٢) انظر المكتوبات ص ٣٤٢ .

" إن عداك للمؤمن ظلم مبين ، من حيث الحياة الشخصية . فإن شئت
مستمع إلى بضعة دساتير هي أساس هذا الوجه الرابع .

لنستور الأول :

عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول : " إن
سكى حق أو هو أفضل " ولكن لا يجوز لك أن تقول : " إن الحق هو مسلكى أنا
محبب " . لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكاً ولا حكماً يقضى على
خلاف المسالك الأخرى وقديماً قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كئيلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

لنستور الثاني :

عليك أن تقول الحق في كل ما تقول ، ولكن ليس لك أن تنيع كل الحقائق .
وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق .
لأن من كان على نية غير خالصة - مثلك - يحتمل أن يثير المقابل
صاحبه فيحصل عكس المراد .

لنستور الثالث :

إن كنت تريد أن تعادى أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة ، واجتهد في
ضد نارها واستئصال شأفتها . وحاول أن تعادى من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً
عندك ، تلك هي نفسك التي بين جنبيك . فقاوم هواها ، واسع إلى إصلاحها ولا
تعاد المؤمنين لأجلها . وإن كنت تريد العداة أيضاً فعاد الكفار والزنادقة فهم كثيرون
واعلم أن صفة المحبة محبوبه بذاتها جديرة بالمحبة ، كما أن خصلة العداوة
تحقق العداة قبل أى شىء آخر .

وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة ، فبه تخدم نار الخصومة
فإنها قابلت إساءته بمثله فالخصومة تزداد . حتى لو أصبح مغلوباً - ظاهراً -
فإنه يمتلئ غيظاً عليك ، فالعداء يدوم والشحناء تستمر . بينما مقابلته بالإحسان
تدفعه إلى الندم ، وقد يكون صديقاً حميماً لك ، إذ أن من شأن المؤمن أن يكون
كريماً ، فإن أكرمه فقد ملكته وجعلته أخاً لك ، حتى لو كان لثيماً - ظاهراً - إلا
فهو كريم من حيث الإيمان ، وقد قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً

نعم ، إن الواقع يشهد : أن مخاطبة الفاسد بقولك له : " إنك صالح إنك فاضل". - ربما يدفعه إلى الصلاح وكذا مخاطبة الصالح " إنك طالح ، إنك فاسد .. " ربما يسوقه إلى الفساد ، لذا استمع بأذن القلب إلى قوله تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) (التغابن : ١٤) ، وأمثالها من الدساتير القرآنية المقدسة ، ففيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان .

الدستور الرابع :

إن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين إنما يظلمون أنفسهم أولاً ، علاوة على ظلمهم لإخوانهم ، وفضلاً عن تجاوزهم حدود الرحمة الإلهية ، حيث إنه بالحق والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم ، فيقاسي عذاباً كلما رأى نعمة حلت بخصمه ، ويعانى ألماً من خوفه ... الخ .^(١)

وفي الوجه الخامس : تحدث عن الأضرار الواقعة على المجتمع من جراء الاختلاف المذموم والتنافر والتناحر والتفرقة القاضية على هيبة الأمة والمطمعة للأعداء فيها .^(٢)

ثم ذكر حادثتين تاريخيتين لسلفنا الصالح لهما مغزاهما في الخروج من حظوظ النفس الأمارة بالسوء والانضباط بالشرع الحنيف حتى مع غير المسلمين ، والحفاظ على الأخوة المطلوبة ، وأثر ذلك في تماسك بنيان المجتمع " .^(٣)

وفي هذا المكتوب أيضاً بين الخطر الداهم على المجتمع داخلياً وخارجياً والواجب عليه تجاه المؤامرات الكثيرة التي تحاك له في العن والخباء من نبذ خلافاتهم ونسيان عداوتهم والتمسك بأخوتهم الإسلامية .^(٤)

ثم قال :

"أيها المؤمنون !

إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة ، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان ، فأفيقوا من رقدتكم ، وعودوا إلى رشدكم ، وادخلوا القلعة الحصينة

(١) المكتوبات . ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .

(٣) راجع المصدر نفسه ص ٣٤٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

سَمْسَة : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أُخْوَةٌ} (الحجرات: ١٠) وحصنوا أنفسكم بها من أيدي
بنت الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية... وإلا تعجزون عن الدفاع عن
حدائقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم ، إذ لا يخفى أن طفلاً صغيراً يستطيع أن
ضرب بطلين يتصارعان ، وأن حصاة صغيرة تلعب دوراً في رفع كفة ميزان
حنس الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان .

فيا معشر أهل الإيمان ! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء اغراضكم
تخصية وأنانيتكم وتحزبكم ، فقوة قليلة جداً تتمكن من أن تضيقكم الذل والهلاك .
س كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم :
نؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (١) وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا
تحرر من شقاء الآخرة . " (٢) .

* في المبحث الثاني من المکتوب نفسه تكلم عن داء الحرص في المجتمع وأثره
السيئ في تفككه وضياعه .. وضرب المثل بالنبات ومجتمع الحيوانات وكيف
لها تنمو وتتكاثر وتقوى بتعاونها فيما بينها ... بينما أصاب اليهود ما أصابهم
من ذلة وهوان ومسكنة ، لأنهم كانوا أكثر من أية أمة أخرى تهالكا على داء
حرص .

لما تكلم عن داء الريا والحكمة من تحريمه ، وفي المقابل كيف أن الزكاة
والصدقات الأخرى تؤدي دورها في التكافل الاجتماعي ، الأمر الذي يؤدي
تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع ، وسيادة الأمن والطمأنينة فيه .

وكيف أن المسلمين أصابهم الهوان والفقير والضعف وتمكن غيرهم منهم
تدريبطهم في أوامر الله تعالى ، والواجب عليهم العودة إلى الكتاب والسنة مرة
تالية حتى ينالوا الرفعة والخيرية بين الناس ويسعد مجتمعهم بالإسلام . (٣)

خرجه البخاري برقم (٤٨١) و (٢٤٤٦) و (٦٠٢٧) ومسلم برقم (٢٥٨٥) و (٢٦٢٧) والترمذي
- (تحفة) وقال : حديث صحيح ورواه أحمد في المسند ٤/٤٠٤ والنسائي ٧٩/٥ والبيهقي في شرح
- برقم (٣٤٦١) ولبو الشيخ برقم (٣٠٠) وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٢١/١١) وفي الإيمان
- (٩٠) كلهم من حديث أبي موسى الأشعري .
المكتوبات ص ٣٥٠ .

٦ - حر المكتوبات ص ٣٤٦-٣٥٥ .

ثم خُص في خاتمة المکتوب إلى مرض اجتماعي آخر تفتس في المجتمع التركي هو " الغيبة " وما تحدّثه من أضرار اجتماعية بالغة مستهدياً بقول الله تعالى: (وَاذْهَبْ بَعْضَكُمْ بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ..)^(١)

* وفي المبحث الثالث من المکتوب السادس والعشرين تكلم عن قوة المجتمع الإسلامي وتماسكه ونظامه الدقيق ما دام معتصماً بالإسلام من خلال التعليق على قول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)^(٢) في مسائل متعددة ، حذر في معظمها الأمة التركية من الفكر القومي وآثاره المدمرة لكيان المجتمع خاصة الجانب السلبي منه ، لأنه جاء على حساب أخوة المسلمين أبناء الأمة الواحدة^(٣) وسيرد بعد قليل الحديث عن ذلك في " إظهار الحقائق . "

* هذا وقد بعث الحياة في الأمة التركية بتذكيرها بالمبادئ والقيم الإسلامية الثابتة التي تعلّى من شأنها وتحافظ على عزتها وكرامتها . فجدده يتكلم في نهايات الدولة العثمانية عن الحرية^(٤) القولية والعملية ، ويبين أنها حق المجتمع في التعبير عن رأيه للوقوف في وجه الظلم والاستبداد وتقويم عوج القائمين على الأمر .. كما أنها حقه في تحقيق التقدم والرقى المنشود ، وهذا مرهون بالاعتصام بالإسلام حتى لا تكون حرية فوضوية متفلتة من المعايير والضوابط الشرعية ..

وعلى هذا فإن الحرية التي ينبغي تقليد الغرب فيها هي الحرية الباعثة على الالتحاق بركب المدنية النافعة ، لا الحرية الضارة القاضية على أسس المجتمع الشرعية ، وضرب مثلاً باليابان التي أخذت محاسن المدنية الغربية مع الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها ، فوصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم ورفق ، وسيأتى كلامه في ذلك .^(٥)

(١) الحجرات : (١٢) . انظر المکتوبات : ص ٣٥٧-٣٥٨ .

(٢) الحجرات : (١٣) (٣) المکتوبات ص ٤١٣-٤١٤ .

(٤) راجع صيقل الإسلام ص ٤٦٥-٤٧٤ ترجمة إحسان قاسم الصالحى . دار سوزلر بالقاهرة . الثانية .

(٥) انظر صيقل الإسلام . ص ٤٦٨ . ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

وبما أن الحرية الحقيقية علامة على نضج الأمة وأنها تسير في مسارها الصحيح وأن ذلك غير حاصل على زمانه - كما هو الحال الآن - فإن جنين 'الصحة الإسلامية' بدأ يكتمل في رحم الحرية ، فحالما تحين الولادة ويظهر إلى الوجود ستعلن عن هيمنتها ، ولا يستطيع أحد التصدي لها ، وسيكون لها أسس رصينة مرتكزة على خمس حقائق ... قال في الحقيقة الثالثة منها محرصاً على هذه الصحة ، وباعثاً الأمل في أهل الأناضول والبلقان :

"نحن على أمل عظيم أن تثمر مزرعة الأناضول " وروم إيلي " شباناً غيارى . فلا جرم أن الممالك العثمانية محل ظهور الأنبياء ومهد الدول الحضارية ومشرق شمس الإسلام . فإذا ما نمت هذه الاستعدادات المغروزة في الإنسانية بغيث الحرية ، فإنها تتحول إلى شجرة طوبى من الأفكار النيرة ، وتمتد أغصانها إلى كل جهة . وسيجعل الشرق مشرقاً للغرب ، إن لم تفسد وتخر بالكسل والأغراض شخصية ."^(١)

وفي الحقيقة الرابعة : بين أن الشريعة حاوية للمبادئ الإنسانية العظيمة بما فيها الحرية ، وقارن بين الماضى الذى تمتعت فيه الأمة بهذه المبادئ ، والحاضر الذى غربت فيه شمس الحرية والعدل والمساواة بسبب البعد عن الشريعة فأوقعها فى الاستعباد والتأخر .^(٢)

وفي الحقيقة الخامسة : أرجع المشاكل الاجتماعية والعلمية التى يعانى منها الناس إلى الاختلاف والتنافر الحاصلين بين القائمين على التربية والتوجيه فى المجتمع التركى ، وكذلك طريقتهم التقليدية غير المؤثرة فى إرشاد الجمهور والشأن فى أمثال هؤلاء أنهم صمام الأمان فى المجتمع .^(٣) وسيأتى كلامه فى ذلك فى

(١) المصدر السابق ص ٤٧٠ .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٤٧١ .

(٣) انظر صيقل الإسلام ص ٤٧٢-٤٧٣ .

* هذا .. وقد حذر الأستاذ النورسي من مرض اجتماعي آخر له آثاره المدمرة على الجميع ، هو إفراط السذج في العاطفة ، الأمر الذي يجعلهم يبحسون إلى الظنمة ويتجاوزون - لأجل مصلحة شخصية معينة - عن سيناتهم الحسيمة في حق الدين والأمة ، وهم بذلك يكونون قد أعانواهم على العبث بمصالح المجتمع وقيمه الثابتة ويتجرع الكل العنقم في النهاية .

وهكذا نجد كيف كان سعى بديع الزمان سعيد النورسي لتحقيق هدف " إصلاح المجتمع " بتنقيته من مفسده وعلاجه من أمراضه التي احتوشته حتى يعود مرة ثانية لسابق صحته بالإسلام ، فكان من نتيجة ذلك ظهور الصحوة الإسلامية - التي بشر بها - في المجتمع التركي بكثير من المظاهر الإسلامية خاصة في عهد الرئيس " جلال بايار " ورئيس وزرائه " عدنان مندريس " كما مر في البابين الأول والثاني ، بعد أن دثرها الكماليون في عهد أتاتورك واينونو .

رابعاً : إظهار الحقائق

لقد كان من أهداف بديع الزمان سعيد النورسي إظهار الحقائق ، وذلك بإعطاء صورة صحيحة من منظور إسلامي لطلاب النور والمسئولين بخاصة وللأمة بعمامة ، حول الأحداث والهيئات والأشخاص والمفاهيم الخاطئة التي انتشرت انتشار النار في الهشيم في أوساط الشعب التركي من جراء موجة الشك والإلحاد والترزييف التي قلبت الموازين في هذا المجتمع المسلم .

وقد تجلّى ذلك فيما يلي :

١ - إزالة اللبس لدى طلاب النور :

وذلك حول بعض القضايا التي تشغل بالهم وتكون مشار جدد بينهم أو مع الناس حتى ينطلقوا للعمل الدعوي عن فهم وقناعة عملاً بقول الله تعالى :

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . (١)

* فمن ذلك : مسألة لطم موسى عليه السلام لملك الموت (٢) ، فقد وقع حولها جدال ونقاش ، فأرسل لهم الأستاذ رسالة وضح فيها ضوابط النقاش المثمر ، أما المسائل التي تفتح مجالاً للجدال والخلاف مثل هذا الحديث وغيره من الأحاديث المتشابهة فالأولى تركها خاصة إذا كان النقاش بحضرة العوام وأهل الضلالة حتى لا يكون ذلك مثار فتنة في المجتمع ، وينبغي الاهتمام بالمحكم المتفق عليه .

يقول :

أولاً : أن الشرط الأول في مناقشة هذه المسائل وأمثالها هو :

أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف .. وأن تجرى بنية الوصول إلى الحق ... وبصورة لا تتسم بالعناد ... وبين من هم أهل للمناقشة ... دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقى .

فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة .

أما الدليل أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق ، فهو .

أن لا يحمل المناقش شيئاً في قلبه .. ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له ، بل عليه الرضا والاطمئنان ، إذ قد تعلم ما كان يجهله ، ولو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علماً ، وربما أصابه غرور .

ثانياً : إن كان موضوع المناقشة حديثاً شريفاً فينبغي معرفة : مراتب الحديث .. والإحاطة بدرجات الوحي الضمني .. وأقسام الكلام النبوي . ولا يجوز لأحد مناقشة مشكلات الحديث بين العوام من الناس ... ولا الدفاع عن رأيه إظهاراً للتفوق على الآخرين ... ولا البحث عن أدلة ترجح رأيه وتتمى غروره على الحق والإنصاف .

ولكن لما كانت المسألة قد طرحت ، وأصبحت مدار نقاش ، فستؤدى

تأثيرها السيئ في إفهام العوام الذين يعجزون عن استيعاب أمثال هذه الأحاديث

(١) يوسف : (١٠٨) .

(٢) هي في البخاري حديث (١٣٣٩، ٣٤٠٧) ومسلم (١٣٧٢) ، النسائي ٤/١١٨ .

المتشابهة .

إذ لو أنكروها أحدهم فقد فتح لنفسه باباً للهلاك والخسران ، حيث يسوقه هذا الإنكار إلى إنكار أحاديث صحيحة ثابتة . ولو قبل بما يفيد ظاهر الحديث من معنى ، وتحدث به ونشره بين الناس ، فسيكون سبباً لفتح باب اعتراضات أهل الضلالة على الحديث الشريف ، وإطلاق أسنتهم بالسوء عليه وقولهم : إنه خرافة !.. (١)

ثم أزال لهم اللبس بذكر حقيقة الأمر في هذا الموضوع الذي تباينت فيه آراء العلماء . (٢)

ولما تحير بعض الطلاب من تمكن دول الكفر من المسلمين وانتصارهم عليهم طلبوا من الأستاذ الإجابة الشافية حول هذا الموضوع . فقال موضعاً للحقيقة ومزياً لللبس لديهم في كلام ينم عن فهم عميق وبصر بسنة الله تعالى الاجتماعية في البشر من خلال نقاط أربع :

" أيها الصديق ! سألتني أحدهم ذات يوم :

لما كان " الحق يعلو " أمر حق لا مرأى فيه ، فلم ينتصر الكافر على المسلم ، وتغلب القوة على الحق ؟ .

قلت : تأمل في النقاط الأربع الآتية ، تنحل المعضلة .

النقطة الأولى :

لا يلزم أن تكون كل وسيلة من وسائل كل حق حقاً ، كما لا يلزم أيضاً أن تكون كل وسيلة من وسائل كل باطل باطلاً .

فالنتيجة إذن : أن وسيلة حقة (ولو كانت في باطل) غالبية على وسيلة باطلة (ولو كانت في الحق) .

وعليه يكون : حق مغلوب لباطل ، مغلوب بوسيلته الباطلة ، أي مغلوب مؤقتاً وإلا فليس مغلوباً بذاته ، وليس دائماً ، لأن عاقبة الأمور تصير للحق دوماً أما القوة ، فلها من الحق نصيب ، وفيها سر للتفوق كامن في خلقها .

(١) المكتوبات ص ٤٥٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٥٢-٤٥٥ .

النقطة الثانية:

بينما يجب أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمةً مثله ، إلا أن هذا ليس أمراً واقعاً ولا دائماً ! .

ومثله ، لا يلزم أيضاً أن تكون صفات الكافر جميعها كافرةً ولا نابعةً من كفره . وكذا الأمر في صفات الفاسق ، لا يشترط أن تكون جميعها فاسقة ، ولا ناشئةً من فسقه .

إذن ، صفةً مسلمةً يتصف بها كافرٌ تتغلب على صفةٍ غير مشروعة لدى المسلم . وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقّة) يكون ذلك الكافر غالباً على ذلك المسلم (الذى يحمل صفة غير مشروعة) .

ثم إن حقّ الحياة في الدنيا شامل وعام للجميع . والكفر ليس مانعاً لحقّ الحياة الذى هو تجلّ للرحمة العامة والذى ينطوى على سر الحكمة في الخلق .

النقطة الثالثة :

لله سبحانه وتعالى تجليان - يتجلى بهما على المخلوقات - وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا .

أولهما :

الشرع التكويني - أو السنة الكونية - الذى هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة " الإرادة الإلهية . "

والثانى :

الشرعية المعروفة الصادرة من صفة " الكلام الرباني . " .
وكما أن هناك طاعةً وعصيانياً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة ، كذلك هناك طاعةً وعصيانياً تجاه الأوامر التكوينية .

وغالباً ما يرى الأول - مطيع الشريعة والعاصى لها - جزاءه وثوابه في نار الآخرة . والثانى - مطيع السنن الكونية والعاصى لها - غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا .

• فكما أن ثواب الصبر النصرُ .

• وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفلُ .

• كذلك ثواب السعى الغنى .

• وثواب الثبات التغلب .

• مهما أن نتيجة السم المرض .

• وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية .

وتجتمع أحياناً أوامر الشريعتين معاً في شيء .. فلكل جهة .

فطاعة الأمر التكويني الذي هو حق ، هذه الطاعة غالبية - لأنها طاعة لأمر

إلهي - على عصيان هذا الأمر بالمقابل ، لأن العصيان - لأمر تكويني -
يندرج في الباطل ويصبح جزءاً منه .

فإذا ما أصبح حقٌ وسيلةً لباطل فسينتصر على باطل أصبح وسيلةً لحق

وتظهر النتيجة :

حقٌ مغلوب أمام باطل ! ولكن ليس مغلوباً بذاته ، وإنما بوسيلته . . إذن فـ

الحق يعلو " يعلو بالذات ، والعقبي هي المرادة - فليس العلو قاصراً في الدنيا - بل
أن التقيد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولا بد منه .

النقطة الرابعة :

إن ظلَّ حقٌ كامناً في طور القوة - أي لم يخرج إلى طور الفعل المشاهد -

أو كان مشوباً بشيء آخر أو مغشوشاً ، وتطلب الأمر كشف الحق وتزويده بقوة

جديدة وجعله خالصاً زكياً ، يُسلط عليه مؤقتاً باطلٌ حتى يخلص الحق - نتيجة
التدافع - من كل درن فيكون طيباً .

ولتظهر مدى قيمة سبيكة الحق الثمينة جداً .

فإذا ما انتصر الباطل في الدنيا - في مكان وزمان معينين - فقد كسب

معركة ولم يكسب الحرب كلها ، لأن " العاقبة للمتقين " هي المال الذي يزول إليه

الحق . وهكذا الباطل مغلوب - حتى في غلبه الظاهر - وفي " الحق يعلو " سرّاً

كامن عميق يدفع الباطل قهراً إلى العقاب في عقبي الدنيا أو الآخرة ، فهو يتطلع إلى

العقبي . وهكذا الحق غالب مهما ظهر أنه مغلوب " .! (١)

(١) الكلمات ص ٨٧١-٨٧٣ .

كما أزال لديهم اللبس حول قضية فلسطين والتمكين الحالي لليهود فيها
مع أن الله تعالى يقول : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة)^(١)
فقال :

"إن اليهود لما أفرطوا في حب الحياة والتكالب على الدنيا ، استحقوا أن
يتلقوا صفة الذل والمسكنة في كل عصر وكل مكان .

إلا أن الأمر بالنسبة لقضية فلسطين هذه يختلف بعض الشيء فقد حل محل
حب الحياة والتكالب على الدنيا الذي هو جلبة اليهود وديندهم على مر العصور
شعور قومي وديني ، حيث بدعوا يحسون أن فلسطين هي مقبرة بنى إسرائيل وأن
الأنبياء السابقين كانوا من قومهم . . . وبالنظر إلى شعورهم القومي والديني هذا فإنهم
حـ يتلقوا صفة تأديب بسرعة هذه المرة . وإلا فكيف يكون باستطاعة ثلثة قليلة من
ناس أن تعيش وسط ذلك الجمع الهائل من العرب الذين يطوقونها من كل صوب
حين أن يتلقوا صفة سريعة وتضرب عليهم الذلة والمسكنة . " ^(٢)

وهذا إشارة إلى الكرة التي ذكر الله تعالى في القرآن الكريم والتي بها
يكنون من المسلمين ، لتفريطهم في دين الله تعالى (رددنا لكم الكرة عليهم
ومدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) ^(٣) . . . وإشارة أيضاً إلى التجميع من
أخر مكان في فلسطين ليوردهم ذلك موارد التهلكة كما قال تعالى : (فإذا جاء وعد
آخرة جئنا بكم نفياً .) ^(٤)

كما أزال لهم اللبس حول شخصه بما بثه المرجفون عليه تشويشاً على
سـ عورة و صرفاً للناس عنها فقال :
"خوتى الأعزاء الأوفياء !

لقد حان وقت تبيان حادثة عجيبة بحياتي ، ومؤلمة ولطيفة ، وفي الوقت
عـه نبين ما بيئه الأعداء من افتراء شنيع لا يمكن أن يقنع الشيطان نفسه أحداً قط ،
سـ يتوضح كيف أن الأعداء لم يبق لديهم أى سلاح كان تجاه النور .

سورة : (٦١) .

شعاعات ص ٥٥٦ .

الإبراء : (٦) .

الإبراء : (١٠٤) .

إنه من المعلوم لدى المطلعين على تاريخ حياتى :

- أننى مكثت سنتين فى بيت الوالى المرحوم - عمر باشا - فى " بنطيس " - على إصراره الشديد ولفرط احترامه للعلم والعلماء .. كان له من البنات ست ثلاث منهن صغيرات وثلاث بالغات كبيرات ... ومع أنى كنت أعيش معهم فى بيت واحد طوال سنتين ، إلا أننى لم أكن أميز بين الثلاث الكبيرات ، إذ لم أكن أسـ النظر إليهن كى أعرفهن وأميز بينهن حتى نزل أحد العلماء يوماً ضيفاً على فعرهن فى ظرف يومين فقط وميز بينهن ، فأخذ الذين من حولى حائرين من أمرى ، أى عدم معرفتى إياهن . وبدعوا بالاستفسار :
- لماذا لا تنظر إليهن ؟
- فكنت أجيبهم :
- صون عزة العلم يمنعى من النظر !.

وفى أحد المهرجانات المقامة فى استنبول ، قبل أربعين سنة ، كر الازدحام على أشده ، اصطفت ألوف من نساء استنبول ومن الروم والأرمن الكاسيات العاريات على طرفى الخليج الذى يقسم جانب استنبول إلى قسمين . ركبت مع السيد طه والسيد إلياس (وهما عضوا المجلس النيابى) فى قارب لينقلنا إلى نهاية الخليج حيث الاحتفالات تقام هناك .

كان القارب يمر أمام أولئك النساء ، ولم يكن لى علم أصلاً من أن الملاطه والحاج إلياس قد اتفقا على مراقبتى بالتناوب واختبارى فى النظر إلى النساء ، حتى اعترفا بذلك بعد ساعة كاملة من التجول فى القارب وبين أولئك النساء قائلين : لقد حيرنا أمرك هذا ، إنك لم ترفع بصرك إليهن قط .

قلت : أنا لا أريد أدواقاً مؤقتة تافهة مشوبة بالآثام ، لأن عاقبتها آلام وحسرات". (١)

إلى أن يقول :

" وفى الوقت الذى أملك هذا الدستور العظيم ، والذى دام طوال خمس وسبعين سنة ، وإذا بموظف يشغل منصباً فى الحكومة يشيع فرية شنيعة لا تخطر

(١) الملاحق صـ ٣١٢-٣١٣ ..

إنه من المعلوم لدى المطلعين على تاريخ حياتى :

- أننى مكثت سنتين فى بيت الوالى المرحوم - عمر باشا - فى " بنطيس " - على إصراره الشديد ولفرط احترامه للعلم والعلماء .. كان له من البنات ست ثلاث منهن صغيرات وثلاث بالغات كبيرات ... ومع أنى كنت أعيش معهم فى بيت واحد طوال سنتين ، إلا أننى لم أكن أميز بين الثلاث الكبيرات ، إذ لم أكن أسـ النظر إليهن كى أعرفهن وأميز بينهن حتى نزل أحد العلماء يوماً ضيفاً على فعرفهن فى ظرف يومين فقط وميز بينهن ، فأخذ الذين من حولى حائرين من أمرى ، أى عدم معرفتى إياهن . وبدعوا بالاستفسار :
- لماذا لا تنظر إليهن ؟
- فكنت أجيبهم :
- صون عزة العلم يمنعى من النظر !.

وفى أحد المهرجانات المقامة فى استنبول ، قبل أربعين سنة ، كر الازدحام على أشده ، اصطفت ألوف من نساء استنبول ومن الروم والأرمن الكاسيات العاريات على طرفى الخليج الذى يقسم جانب استنبول إلى قسمين . ركبت مع السيد طه والسيد إلياس (وهما عضوا المجلس النيابى) فى قارب لينقلنا إلى نهاية الخليج حيث الاحتفالات تقام هناك .

كان القارب يمر أمام أولئك النساء ، ولم يكن لى علم أصلاً من أن الملاطه والحاج إلياس قد اتفقا على مراقبتى بالتناوب واختبارى فى النظر إلى النساء ، حتى اعترفا بذلك بعد ساعة كاملة من التجول فى القارب وبين أولئك النساء قائلين : لقد حيرنا أمرك هذا ، إنك لم ترفع بصرك إليهن قط .

قلت : أنا لا أريد أدواقاً مؤقتة تافهة مشوبة بالآثام ، لأن عاقبتها آلام وحسرات". (١)

إلى أن يقول :

" وفى الوقت الذى أملك هذا الدستور العظيم ، والذى دام طوال خمس وسبعين سنة ، وإذا بموظف يشغل منصباً فى الحكومة يشيع فرية شنيعة لا تخطر

(١) الملاحق صـ ٣١٢-٣١٣ ..

حتى يبالي الشيطان تهويناً من شأن رسائل النور الرفيعة ، حيث قال : " يتردد إليه
 - الفاحشات مع مائد وطاب من المأكولات " علماً أن بابي مغلق من الخارج ومن
 دخل ليلاً ، وأن هناك من يسهر للصباح يراقب الباب بأمر ذلك الموظف الشقي .
 عرف الجيران والأصدقاء جيداً أنني لا أقبل أهداً للزيارة منذ العشاء حتى الصباح .
 فالذي يفترى هذه الفرية لا شك أنه سفيه وأحمق بل لا يورد هذا الاحتمال
 حتى لو أصبح حماراً بل حتى لو أصبح شيطاناً ... " (١)

ومن ذلك أيضاً ما كتبه إليهم لإزالة اللبس حول ما روج عنه من عدم
 صلته في بعض الأماكن التي نفى إليها ، الجمعة وحضور الجماعة ، وعدم إطلاق
 للحية . (٢)

يقول عن السبب في عدم إطلاق اللحية :

" إن إطلاق اللحية سنة نبوية ، وليست خاصة بالعلماء . وقد نشأت منذ
 عقرى عديم اللحية وعشت في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم .
 هذا وإن الأعداء يغيرون علينا دائماً وقد حلقوا لحي بعض أحابي ، فأدركت
 عدماً حكمة عدم إطلاقي اللحية ، وأنه عناية ربانية إذ لو كنت مطلقاً اللحية وحلقت
 - كنت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً ، حيث كنت لا أتحمّل ذلك فأموت .
 ولقد قال بعض العلماء . لا يجوز حلق اللحية . وهم يقصدون عدم حلقها
 بعد إطلاقها ، لأن حلقها بعد إطلاقها حرام . أما إذا لم يطلقها فيكون تاركاً لسنة
 عبيد .

ولكن في الوقت الحاضر لأجل اجتناب كبائر عظيمة جداً قضينا طوال
 عشرين سنة حياة اليمّة أشبه بالسجن الانفرادي ، نسأله تعالى أن تكون كفارة لترك
 تلك السنة النبوية " . (٣)

١ - ملاحق ص ٢١٢ - ٢١٣ .

٢ - ملاحق ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

٣ - ملاحق ص ٢٥٠ .

٢ تنفيذ شبه العلمانيين الملحدين :

فقد أثار الملحدون العلمانيون الذين كثروا فى هذه الفترة شكوكاً وشبهات حول كثير من القضايا المعلومة من الدين بالضرورة ، وتصدى بديع الزمان سعي النورسى لها ، فدحضها بأسلوب عصرى مفحم يناسب عقلية العامة والخاصة على السواء . وقد قال :

" نعم إن مهمة رسائل النور الأساس هى : خدمة القرآن الكريم ، والوقوف بصرامة وحزم فى وجه الكفر المطلق الذى يودى بالحياة الأبدية ، ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سماً زعافاً وجحيماً لا يطاق . ومنهجها فى ذلك : هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التى تلزم أشد الفلاسفة والمرتذقة تمرداً على التسليم بالإيمان . " (١)

وقد أفرد رسالة الثمرة - على طولها - لإبطال حججهم الواهية حول قضايا الإيمان وأركانه بما فيها الإيمان بالله تعالى . " (٢)

وقد استهلها بقوله : " هذه الرسالة : دفاع الإيمان ترفعه " رسائل النور لصد الزندقة والكفر المطلق ، فليس لنا دفاع حقيقى عن قضيتنا - فى سجننا هذا " . (٣) إلا هذا الدفاع ، فنحن لا نسعى إلا للإيمان . " (٤)

* وفى الكلمتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين تصدى لشبهاتهم حول اليود الآخر وما فيه فتكلم عن الجنة ونعيمها وبقائها وعن النار وعن الروح والملائكة والحشر ، ففند مزاعمهم بما لا يدع مجالاً لمرتاب حول هذه الحقائق القرآنية . (٥)

(١) الشعاعات ص ٤٠٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٤٠-٣٢٨ .

(٣) لأنها ألفت أثناء وجوده فى سجن " دنيزلى " .

(٤) الشعاعات ص ٢٤٠ .

(٥) راجع الكلمات ص ٥٨٤-٦٣٣ .

* وفي اللمعة التاسعة رد شبهة أحد الملحدين الذي تزلف لعباد المسيح فادّعى أن
لعيسى عليه السلام والداً ، وفي نفس اللمعة فند شبهة طبيب مستغرب حول لحم
الخنزير . (١)

* كما فند شبههم المتعلقة بترجمة القرآن الكريم الرامية إلى صرف الناس عن كتاب
ربهم وضياع قدسيته من النفوس . (٢)

* كما رد على الشبهات التي أثاروها حول زواج النبي ﷺ بأكثر من واحدة
مجاراة للمستشرقين . (٣)

- تفتيد شبه غير المسلمين :

فكما فند الأستاذ سعيد النورسي شبه العلمانيين الملحدين الذين ظهروا للناس
بأسماء إسلامية ، فقد انبرى لشبه غير المسلمين فدحضها وهدم خططهم
الاستعمارية اليهودية الصليبية الماكرة .

* فمن ذلك دحضه لشبه رئيس الكنيسة الإنجليكانية الأربعة بإيعاز من
الإنجليز ، حول الإسلام ونبيه ، وما قدمه للفكر والحياة ، وكيفية معالجته
للصراعات الحاضرة ، وكيف ينظر للاضطرابات البشرية ؟ . (٤)

* وكذلك دحضه للشبهات التي أثيرت بواسطة الإنجليز حول عقيدة الأمة
الصفائية في الظروف الصعبة التي مرت بها ، ففي (١٣ نوفمبر سنة
١٩١٩م) دخلت خمس وخمسون سفينة حربية من أساطيل الحلفاء - أربع
دول محتلة - استبول ، حسب هدنة " موندروس " . وصلت هذه السفن
إلى البوسفور أمام قصر " دولمة باعجة " ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة
" السلطان وحيد الدين " الذي أصبح في حكم الأسير ... وخرجت الأقليات غير

نظر اللمعات ص ٥٨-٦٠ .

- نظر الكلمات ص ٥٣٨ ، الشعاعات ص ٣١٥ .

- نظر المكتوبات ص ٣٣ .

= نظر الكلمات ص ٨٩٥ ، المكتوبات ص ٥٣٨ .

المسلمة ترحب بجنود الاحتلال وتصفق لهم ، فاليهود والأرمن بدعوا يجوبون الشوارع ويلوحون بقبعاتهم لهؤلاء المحتلين وينثرون عليهم النورود .. أما الروم فكانوا يحملون أعلام اليونان الصغيرة ويهتفون : زيتو . زيتو .. أى يعيش . يعيش . يتم هذا كله حول القائد الفرنسي الذى امتطى جواداً أبيض داس به العلم العثماني أثناء توجهه إلى السفارة الفرنسية ملوحاً بيديه لهؤلاء المصفيين وكأنه أحد الفاتحين العظماء فى التاريخ ... والمسلمون يشاهدون هذه المناظر بقلوب مجروحة وعين تجمدت فى مآقيها الدموع .

واحتل الأرمن والإيطاليون والإنجليز واليونان والروس مدننا أخرى كثيرة غير استنبول حيث سرح الجيش العثماني بموجب المعاهدة آنفة الذكر . وامتدت شوارع هذه المدن بجنود سكارى يعربدون ويصخبون ويفسدون كيفما شاءوا ويخيم على الأحياء الإسلامية حزن صامت .

فى هذا الجو القاتم كان الأستاذ النورسى يشعر بألم عميق ، وكان أصدقائه يحاولون التسرية عنه والتخفيف من شدة آلامه . وهو يقول لهم والأسى يعصر قلبه " لقد تحملت آلامى الشخصية كلها ، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتنى . إننى أشعر بأن الطعنات التى وجهت إلى العالم الإسلامى ، كأنها توجه إلى قلبى أولاً ، ولقد ترونتى مسحوق الفؤاد . ولكنى أرى نوراً سينسينا هذه الآلام إن شاء الله . " (١)

لم يكتف الإنجليز وأعدائهم بما صنعوه على الصعيد العسكرى بل بدعوا يشنون حرباً نفسية ، ويشيعون أفكاراً مضللة تمس عقيدة الأمة ، فانبت أعدائهم وجواسيسهم فى أرجاء استنبول يلقون بأستنتهم تلك الشبهات المغرضة وينشرون فى أوساط العامة والخاصة ضمن حرب هادفة تحطم الروح المعنوية للمسلمين .

ولما شاهد الأستاذ النورسى سريان هذه الأفكار المسمومة فى هذه الحرب الماكرة التى استطاعت استمالة قسم من العلماء إلى صف الإنجليز قام بتأليف رسالة " الخطوات الست " مبيناً فيها مكاييد الغزاة المحتلين ، داخضاً شبهاتهم ووساوسهم

(١) صيقل الإسلام ص ٥٤٥-٥٤٦ مقامة للخطوات . الصالحى .

الشيطنانية ، مبعداً عن المسلمين مشاعر انيأس والقنوط وطبعت الرسالة سراً ،
ووزعت في خفاء تام في جميع أرجاء تركيا .^(١)

وعرضت نسخة منها على القائد الإنجليزي في استنبول كما عرض عليه
تشاط بديع الزمان الدائب في فضح سياسة المحتلين وتأليب الناس عليهم .
قرر القائد الإنجليزي إعدام الأستاذ النورسي ، ولكن عندما أعلم أن هذا
تقرار سيثير غضب الأمة كلها ويزيد سخطها ، وسيدفعهم إلى القيام بأعمال عدائية
مبسا كلفهم ذلك ، تخلى عن قرار الإعدام ، إلا أن سلطات الاحتلال لم تفتّر عن
سلاحه الأستاذ .. وقد سبق أن قواد حركة التحرير في الأناضول ومنهم مصطفى
كمال لما سمعوا بإثر الرسالة في أوساط العامة والخاصة ، وعن أعمال بديع الزمان
صد المحتلين في استنبول دعوه إلى " أنقرة " مرتين تقديراً لأعماله البطولية
وخدماته الجليلة نحو الأمة والبلاد ، إلا أن الأستاذ النورسي آثر البقاء في استنبول
جابه الأعداء مباشرة ، ورفض الدعوة قائلاً :

إبنى أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً ، وليس من وراء الخنادق ،
وأرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول .^(٢)

ومما جاء في ردوده على شبهاتهم قوله في الخطوة الثالثة موجهاً الخطاب
مبسا للإنجليز : " أيها الموسوس الخناس ! ، إن السبب الأصلي للسينات التي ارتكبتها
رؤساء أمورنا ما هو إلا أنت ، لأنك قد ضيقت عليهم الدنيا ، وقطعت في كل
فرصة مجارى حياتهم ، وبثت بينهم أولادك غير الشرعيين ، وأجبرتهم على ترك
سين للدنيا إذ تنكحهم مدنية لا تأخذ مهرها إلا من دينهم ، ولا تعين حاكما إلا وقد
حنت منه دينه رشوة لقاء منصبه .

ومع ذلك فلو حكمتك فينا بدلاً منهم ، نصير كمن تتجس ثوبه بماء نجس
يعمله ببول الخنزير .

١ المصدر السابق ص ٥٤٥ .

٢ نفس المصدر ص ٥٤٦-٥٤٧ .

إنك لا تبقى لنا إلا حياة حيوانية مؤقتة ، وتقتل فينا حياتنا الإنسانية
والإسلامية . أما نحن فنحيا - على رغمك - بحياة الإسلام وشرف الإنسانية. (١)
وفي نهاية الخطوات قال : " إن محبة الإسلام توجب عداكم وخصومتكم
إذ كيف يصلح جبرائيل عليه السلام عزازيل . !

إن أشد العقول بلاهة عقل يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع (الإنكليز
ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصالحته ... وإن أكثر القلوب حماقة قلب يظن إمكر
الحياة تحت حمايتهم ، إذ يعلقون حياتنا بشرط محال في محال ، إذ يقولون : أحيروا
حياة ، ولكن بشرط ألا ترى في فرد منكم خيانة ! .

والآن ندمر عليكم الديار ونمحي المتهم والبريء معاً . فلو تحدى ظنهم
صديق لوجه الحق ، والتجأ إلى جامع أيا صوفيا ، فلا يتخرجون من هدم ذلك البناء
الشامخ الذي لا يقدر بثمن . وإذا ما وجد في قرية من يقاومهم فلا يرون بأساً من
إبادة القرية كاملة بشيبيها وسبابها ، إذ يرون أن لهم صلاحية إفناء جماعة برمتها .
كان فيها من يضرهم . فتباً لمدينة حولتهم هذه الصلاحية .

أفيمن أن يتفق قلب مع قلب من يتلذذ بغرز خنجر الظلم فيه ؟ أفيمن أن
يوجد مشاغب في مدينة أو قرية أو جماعة ؟ فكيف يمكن إذن إدامة حياة إنسر
مريض مقيد ، سلب منه عصاه ، وسلط عليه كلبان ذوا مخالب وأنياب : إن الإنجليز
كالشيطان الرجيم يثير أحاسيس الإنسان الخبيثة ويشجع الأخلاق الرذيلة في حير
يطغى جذوة المشاعر النبيلة .

وإن ما يظهره هذا العدو من حقد دفين لا يسكن ليس هو نتيجة الحر-
الحالية ، لأن انهزامنا كان كافياً لتسكينه كما سكن لدى الآخرين ... !
فيا أيها المسلمون ، أبعيد كل هذه الأحوال تتخذعون ؟
أبعيد ما رأيتم من قرب قبح الكفار وشناعتهم - بعدما كان يُرى جميلاً من
بعيد - تستحسنون ما استقبحة الشرع والعقل ومصالحة الإسلام .

(١) صيقر الإسلام ص ٥٥٣ .

استعيذوا بالله من همزات الشيطان ، والتجنوا إليه متضرعين نادمين
وتوسلوا برحمة الرحمن الرحيم . (١)

٤- كشف الحقيقة حول دعوته لدى المسئولين :

لم يترك الأستاذ النورسي فرصة إلا عرّف بدعوته وكشف عنها الحجب
التي وضعها المغرضون للحيولة بينها وبين الناس حفاظاً على مصالحهم وكراسيهم
، غير أنه لم ييأس من تصرفاتهم ، واعتبر ذلك من البلاء الذي يتعرض له دائماً
لصحاب الدعوات ، وهذا يقتضيه مخاطبة المسئولين وإزالة الموانع التي تحول بينهم
بين الدعوة .

* ولهذا كتب رسالة وقدمها إلى مجلس وزراء الحكومة الجمهورية أثناء محاكمته
في " أسكى شهر " إغذاراً إلى الله تعالى ، بين لهم فيها الخدمات التي قدمها للأمة
بحقيقة أمره والتي توجب تقديره وتكريمه هو وطلابه بدلاً من التجنى عليهم
- اتهامهم بما هم برواؤ منه ، وأنه يجب النظر في كل ما ذكر وإعادة جميع حقوقهم
تيم مرة أخرى . (٢)

* ولما تنفس الناس الصعداء في عهد الرئيس " جلال بيار " ، انتهز الفرصة فكتب
- رئيس الجمهورية ، كما كتب لرئيس الوزراء " عدنان مندريس " يبين له فيها
حقيقة حول الاتهامات التي رمى بها هو وطلابه (٣)

* وكتب للمسئولين في رئاسة الوزارة ، والعدل ، والداخلية ، يوضح لهم حقيقة
حقيقة دعوته التي أثار حولها المغرضون الشكوك ، طالباً إتاحة الفرصة للدعوة
حتى تأخذ طريقها بين أوساط الشعب التركي .

وقد ضمن في رسالته الحديث عن نشأته العلمية إبان مرحلته الأولى ،
- حرره في الإصلاح منذ عهد السلطان عبد الحميد واتهامه بالجنون وسعيه في إنشاء
جمعة الزهراء ، واشترآكه في الحرب العالمية الأولى ودار الحكمة .

صيق الإسلام ص ٥٥٥-٥٥٦ .

- نثر الشعاعات ص ٥١٣-٥١٨ .

- نثر الملاحق ص ٣٧٢-٣٧٥ .

وبين في المرحلة الثانية تفرغه للعبادة ، وتأليف رسائل النور وأهميته
ووظيفتها وإقبال الناس عليها ، وتربص الانتهازيين والمصطادين في الماء العكر بـ
إسناد التهم إليه وإلى الرسائل جزافاً ، ونفيه وسجنه ظلماً من دون جرم اقترفه .
رغم تبرئته ورسائل النور أكثر من مرة لكن دون جدوى ، والواجب عليهم تركه
وترك طلابه والرسائل أحراراً لبقاء الإسلام والوطن .^(١)

وكشف لهم الأعيب أبوام البلاشفة ونعيقهم على الإسلام والدولة ، وأنه من
ناحيته لهم بالمرصاد ، فقد علا صوتهم في هذه الفترة بالذات . يقول في ذلك :

"إننى فى هذا الوقت الذى أتقرب فيه إلى القبر ... وفى هذا الوطن الذى
بلاد إسلامية ، نسمع نعيق أبوام البلاشفة .. هذا النعيق يهدد أسس الإيمان فى العبد
الإسلامى ، ويشد الشعب ولا سيما الشباب إليه ، بعد سلب الإيمان منهم .

إننى بكل ما أملك من وجود ، أجاهد هؤلاء ، وأدعو المسلمين وبخاصة
الشباب إلى الإيمان ، فأنا فى جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة .

وسأنتل إن شاء الله فى ديوان حضوره سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد
وكل عملى ينحصر فى هذا . وأخشى ما أخشاه أن يكون الذين يحولون بينى وبين
غايتى هذه هم بلاشفة أيضاً . فغايتى المقدسة هى التكاثر والتساند والترابط مع كل
من يجاهد أعداء الإيمان هؤلاء .

أعطونى حرىتى وأطلقوا يدي كى أعمل بالتكاثر مع القوى المجاهدة فى
سبيل إعلان التوحيد وترسيخ الإيمان فى هذه البلاد ، وإصلاح الشباب المتسلسل
بالشيوعية . " ^(٢)

* كما كتب إلى وزير العدل مبيناً حقيقة ما يدعو إليه نافياً ما تقوله عليه وعلى
طلاب النور الدوائر العقلية ، والمضايقات التى تعرض لها والمطالبة بإيقاف ذلك
خاصة وأنه فى الوقت الذى تمنع فيه الرسائل من التداول تترك مؤلفات "دوزى

(١) انظر للشعاعات ص ٥٤١-٥٤٤ .

(٢) الشعاعات ص ٥٤٤ .

الإلحادية دون تعرض لها . (١)

٥- كشف الحقيقة حول دعوته في الدفاعات :

لم يترك النورسي - رحمه الله - مكاناً ولا هيئة إلا أعلن فيه الحق دون أن يخشى في الله لومة لائم ؛ لأنه قد اقتنع بما يدعو إليه كل الاقتناع فقدمه على كل شيء ، حتى على نفسه .

فقد انتهز فرصة مثوله أمام المحاكم ، فنفي الاتهامات التي وجهت إليه وإلى -عزته ، وكشف للمسؤولين فيها ولجميع المسلمين الظلم الواقع عليه مع طلابه دون حريرة صنعوها ، اللهم إلا أنهم مسلمون بحق ، وهي دفاعات كثيرة وقوية سجلها في رسائله (٢) ، منها :

* دفاعه في العريضة التي قدمها لرئاسة محكمة التمييز والتي قال في أولها :

" هذه عريضة الى محكمة الحشر الكبرى ، وشكوى إلى المقام الإلهي ، ولتسمعا محكمة التمييز في الوقت الحالي ، والأجيال الآتية في المستقبل ، ولتسمعا أساتذة دار الفنون (الجامعة) وطلابها المتفوقون ، فمن منات المصائب والبلايا التي واجهتها طوال ثلاث وعشرين سنة ، اخترت عشراً منها لعرضها على عدالة المقام الإلهي ذي الجلال الحاكم المطلق مشتكياً إليه . " (٣)

ثم شرع في ذكر العشر : واحدة واحدة يوضح من خلالها الحقيقة وينفي ما رمى به هو ورسائل النور وطلابه . (٤)

* ومن دفاعاته ، ما رد به على الأسئلة التي وجهت اليه في محكمة " أسكى شهر "

بغرض إحراجة وإدانتة بلسانه ، غير أنه كان لبقاً وحكيماً في إجابته حيث قال الحق دون أن يحقق لهم ما أرادوا .

قال : سألوني هناك : ما رأيك حول النظام الجمهوري ؟ .. فقلت لهم :

(١) نظر الشعاعات ص ٥٤١-٥٤٤ .

(٢) الشعاعات ص ٥٤٤ .

(٣) نظر الملاحق ص ٢٣٣-٢٣٦ .

(٤) نظر في ذلك صيقل الاسلام ص ٤٣٩-٤٦١ ، الشعاعات ص ٣٢٩-٥١٨ .

• تستطيعون أن تتأكدوا من كتاب " السيرة الذاتية " الموجود لديكم ، بأننى كنت شخصا متدينا ومن أنصار النظام الجمهورى . وذلك قبل أن تأتوا أنتم الى الدنيا .

• هذا باستثناء رئيس المحكمة المتقدم فى العمر . وخالصة ذلك أننى كنت آنذاك منزويا - كحالى الآن - تحت قبة مقبرة (ضريح) خالية ، فكانوا يأتون لى بالحساء ، وكنت أقوم بإعطاء حبات الحساء الى النمل ، وأكتفى بغمس الخبز فى سائل الحساء .. سألونى عن السبب فقلت : إن أمة النمل وكذلك النحل تعيش فى نظام جمهورى ، وأنا أعطى الحبات للنمل احتراما لنظامها الجمهورى .

ثم قالوا : أنت تخالف بذلك السلف الصالح . فأجبتهم :

• لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية فى الوقت نفسه ، فالصديق الأكبر (رضى الله عنه) كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرين والصحابه الكرام .. ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ ، بل كل منهم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية .

إذن فيا أيها المدعى العام ويا أعضاء المحكمة ! أنتم تتهموننى الآن بمعاداة فكر كنت أحمله منذ خمسين سنة .

أما إن كان سؤلكم حول الجمهورية العلمانية فإن ما أعلمه هو أن معنى العلمانية : هو البقاء على الحياد ، فكما لا تتعرض مثل هذه الحكومة للملحدين ولأهل السفاهة بحجة حرية الضمير ، فيجب ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى . إننى الآن لا أعلم الأوضاع السياسية والأحوال التى تعيش فيها الحكومة الجمهورية لأننى قد اعتزلت الحياة الاجتماعية منذ خمس وعشرين سنة ، فإن كانت قد دخلت فى مرحلة مرعبة ومذهلة من العمل لحساب الملاحدة ؛ وبدأت بسن القوانين التى تدين من يعمل لأخرته وإيمانه والعياذ بالله ، فأبى أقول لكم دون خوف أو خشية إنه لو كان لى ألف نفس لما ترددت فى التضحية بها فى سبيل إيمانى وفى سبيل آخرتى ، واعملوا أنتم مابدلكم ، وسيكون آخر كلامى (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

(١) الشعاعات ص ٥٠١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥٠١ - ٥١٢ .

ولو قمتم باعدامى ظلماً أو بسجنى مع الأشغال الشاقة فإننى سأرد عليكم
بقولى .. إننى وبفضل ما كشفته رسائل النور بصورة قاطعة لن أعدم ، بل أسرح
وأذهب إلى عالم النور والسعادة .

أما أنتم يا أعدائنا المتستترين والمتخفين الذين تسحقوننا لأجل الضلالة ؛
فأقول لكم بأننى متهيبٌ لكى أسلم أرواح بإطمئنان وبراحة قلب .. لأننى أعلم وأرى
أنه سيحكم عليكم بالإعدام الأبدى وبالحبس الانفرادى المؤبد ، لذا فإن انتقامى منكم
سيكون تاماً وكاملاً .^(١)

* ومن دفاعاته التى أظهرت ثباته على المبدأ وحزمه مع قوم أعلنوا الحرب
السافرة على الإسلام ودعاته ، قوله يخاطب أعضاء المحكمة العلمانيين :
" إنكم ترون أننا لنا خلافاً ومعارضة كلية معكم ، ومعاملتكم القاسية شاهد على
ذلك .. فأنتم تضحون بدينكم وأخرتكم فى سبيل دنياكم . ونحن بدورنا مستعدون
على الدوام للتضحية بديننا فى سبيل ديننا ، وفى سبيل آخرتنا ، وهذا هو
سر المعارضة التى بيننا حسب ظنكم .

ولاجرم أن التضحية فى بضع سنين من حياتنا التى تمضى فى ذل وهوان
فى ظل حكمكم القاسى قساوة الوحوش لنكسب بها شهادة خالصة فى سبيل الله ،
تعد ماء كوثر لنا . ولكن استناداً إلى فيض القرآن الحكيم وإشاراته ، أخبركم
يقيناً بالآتى : لترتعد فرانسكم : إنكم لن تعيشوا بعد قتلى ، فإن يداً قاهرة
ستأخذكم من دنياكم التى هى جننكم وأنتم مغرمون بها ، وتطردكم عنها ،
وتقذف بكم فوراً إلى ظلمات أبدية ، وسيقتل بعدى رؤسائكم الذين تتمردوا
وطغوا قتلة الدواب ، ويرسلون إلى ، وسأمسك بخناقهم أما الحضرة الإلهية ،
وسأخذ حقى منهم بالقاء العدالة الإلهية إياهم فى أسفل سافلين .

أيها الشقاة الذين باعوا دينهم وأخرتهم بحطام الديننا ! .

إن كنتم تريدون أن تعيشوا حقاً فلا تتعرضوا لى ولا تمسونى بسوء ، وإن
عرضتم فاعلموا أن ثارى سيؤخذ منكم أضعافاً مضاعفة ..
عصوا هذا جيداً ولترتعد فرانسكم ! .

وإني أمل من رحمة الله سبحانه أن موتى سيخدم الدين أكثر من حياتي .
وإن وفاتي ستفلق على رؤوسكم انفلاق القنبلة ، وستستت رؤوسكم وتبعثرها .
فإن كانت لكم جرأة ، فتعرضوا لى ، فلئن كان لكم ما تفعلونه بى ، فلتعلمن
أن لكم ما تنتظرونه وتلاقونه من عقاب . " (١) .

وقال عن أتاتورك :

" إننا لسنا مع زعيم أصدر حسب هواه أوامر باسم القانون ونفذها بقوة
لتحويل جامع " أياصوفياً " إلى دار للأصنام ، وجعل مقر المشيخة العامة ثانوية
للبنات ، لسنا معه فكراً ولا موضوعاً ، ولا من حيث الدافع ولا من حيث النتيجة
والغاية .

ولانجد أنفسنا ملزمين بقبول أمر كهذا . " (٢) .

* وقد سبق فى الباب الماضى دفاعه الرائع أمام المحكمة العسكرية التى

شكلت عام ١٩٠٩م لمحاكمته . (٣) .

٦- إظهار الحقائق حول الأفكار السائدة فى تركيا :

فكما كشف بديع الزمان الحقائق لدى المسؤولين ، وفى الدفاعات التى قدمها
أمام المحاكم ، أبان الحقائق أيضاً حول الأفكار والمصطلحات العلمانية التى طرحت
على الساحة التركية وكانت المحركة لحياتهم وتصرفاتهم ، فأثارت فيهم النعرات
التي بغض الإسلام فيها وكانت سبباً فى تفرقهم واختلافهم وتحزبهم وضياع هويتهم
* فنراه فى المبحث الثالث من المکتوب السادس والعشرين يتحدث عن القوم
فيقسمها قسمين :

القسم الأول : القومية السلبية : وهى مرفوضة ديناً لما أحدثته فى الماضى

وتحدثه فى الحاضر بين أبناء الأمة الواحدة من شقاق وفرقة وتباغض .

والقسم الثانى : القومية الإيجابية : وهى لايرفضها الدين نظراً لما فيها من فوائد
اجتماعية .

(١) الشعاعات ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) الشعاعات ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٣) انظر صيقل الإسلام ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

يقول عن القسم الأول فى المسألة الثالثة :

" لقد انتشر الفكر القومى وترسخ فى هذا العصر . ويشير ظالموا أوروبا
مأكرون بخاصة هذا الفكر بشكته السلبى فى اوساط المسلمين أيمزقوهم ويسهل لهم
تلاعهم . ولما كان فى الفكر القومى ذوق للنفس ، ولذة تغفل ، وقوة مشؤومة ،
فلا يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية فى هذا الوقت : دعوا القومية ! ولكن
تقومية نفسها على قسمين :

قسم منها سلبى مشؤوم مضر ، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة
من سواه ، ويتصرف بحذر . وهذا يولد المخاصمة والنزاع . ولهذا ورد فى
حديث الشريف " إن الاسلام يجب ما كان قبله " ويرفض العصبية الجاهلية . وأمر
تقرآن الكريم ب (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها
يكن الله بكل شىء عليم) (الفتح : ٢٦) . فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف
يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية . لأن الغيرة الإسلامية
الإيجابية المقدسة لاتدع حاجة إليها .

تُرى أى عنصر فى العالم تعداده ثلاثمائة وخمسون مليوناً^(١) ويكسب فكر
تراء - بديل الاسلام - هذا العدد من الإخوان ، بل إخواناً خالدين ؟ " . (٢)
ثم تحدث عن أضرار هذا القسم قديماً وحديثاً ، وذلك بما أحدثه من عداء
وكره ، وفصم لعرى الأخوة والمحبة بين المسلمين فى جميع الأقطار ، الأمر الذى
ترك الفرصة للأوربيين لابتلاع ديارهم والتمكن منهم .
م عن القسم الثانى: وهو القومية الإيمانية فقال :

" المسألة الرابعة : القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية
وهى سبب للتعاون والتساند ، وتحقق قوة نافعة للمجتمع ، وتكون وسيلة لاسناد
تت للأخوة الإسلامية .

١ / هم عدد المسلمين آنذاك .

٢ / المكتوبات - ص ٤١٤ .

هذا الفكر الإيجابي القومي ، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام ، وأن يكون قنعة حصينة له ، وسوراً منيعاً حوله ، لا أن يحل محل الإسلام ولا بديلاً عنه . لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة . وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ .

ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلهاماً من أسرار الأخوة الإسلامية ، وبخلافه : أي إقامة القومية بديلاً عن الإسلام جنائية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القنعة في خزانة ألماس فيها ، وطرح الألماسات خارج القنعة^(١).

ثم وجه خطابة إلى كل رجل في تركيا مثيراً فيه عاطفته الجياشة - التي عرف بها - للإسلام وحميته المعروفة في أسلافه للدفاع عن حياضه فقال :
يا أبناء هذا الوطن من أهل القرآن !

نقد تحديتكم العالم أجمع منذ ستمائة سنة بل منذ ألف سنة من زمن العباسيين ، وأنتم حاملو راية القرآن والناشرون له في العالم أجمع . وقد جعلتم قوميتكم حصناً للقرآن وقلعة للإسلام ، وأنزمتكم العالم إزاءكم الصمت والانقياد .

ودفعتكم المهالك العظيمة التي كادت تؤدي بحياة العالم الإسلامي حتى أصبحت مصداقاً حسناً للآية الكريمة : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . آتة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله) (المائدة : ٥٤) .
فلا تتخذوا ولا تميّنوا إلى مكائد الأوروبيين ودسائس المنفرجين . واحذروا حذراً شديداً أن تكونوا مصداق بداية هذه الآية الكريمة .^(٢)

وقال : " أيها الأخ التركي !

احذر وانتبه ! أنت بالذات ، فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام ، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذا وانتهى أمرك . ألا ترى أن جميع مفاخرك في انماضي قد سجلت في سجل الإسلام ، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحي من الوجود قطعاً ، فلا تمح أنت من قلبك

(١) المكتوبات . ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٦ .

-استماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس . (١)

وفي المسألة الخامسة أشار إلى حذو الأقوام الآسيويين حذو الأوروبيين في إحياء النعرات القومية تقليداً لهم ، والشأن أن نكل قوم ما يناسبهم فليس شرطاً أن يكون التقليد في كل شيء للفروق الكثيرة بين الأمتين والمعتقدين .
جمل : " ان الاقوام المتبقطة في آسيا ، قد تمسكوا بالقومية ، وحذوا حذو أوروبا في كل النواحي . حتى ضحوا بكثير من مقدساتهم في سبيل ذلك التقليد .

والحال أن كل قوم يلائمه لباس على قده وقامته ، وحتى لو كان نوع سلب واحداً فإنه يلزم الاختلاف في الطراز . إذ لا يمكن إلباس المرأة ملابس شرطى ، ولا يمكن إلباس العالم الدينى ملابس الخليعات .
فالتقليد الأعمى يؤدي في كثير من الأحيان إلى حالة من الهزء سخريه كهذه .. لأن :

جاء : إن كانت أوروبا حانوتاً ، وثكنة عسكرية ، فإن آسيا تكون بمثابة مزرعة أو جامع . وإن صاحب الحانوت قد يذهب إلى المسرح ، بينما الفلاح لا يكثرث به . وكذلك تتباين أوضاع الثكنة العسكرية والمسجد أو الجامع .

ثم إن ظهور أكثر الأنبياء في آسيا ، وظهور أغلب الحكماء والفلاسفة في أوروبا ، رمزٌ للقدر الإلهي وإشارة منه إلى أن الذى يوقظ أقوام آسيا ويدفعهم إلى الرقى ويحقق إدامة إدارتهم هو الدين والقلب . أما الفلسفة والحكمة فينبغى أن تعاونا الدين والقلب لا أن تحلا محلها .

تجاء : لا يقاس الدين الاسلامى بالنصرانية ، إذ أن تقليد الأوروبيين في أعمالهم دينهم تقليداً أعمى خطأ جسيم ، لأن الأوروبيين متمسكون بدينهم

- مصدر ص ٤١٧ .

أولاً ، والشاهد على هذا ، فى المقدمة (ونسن)^(١) و(نويدي جورج)^(٢) و
فينزيوس^(٣) وأمثالهم من عظماء الغرب . فهم متمسكون بدينهم كأي تسر
متعصب . فهؤلاء شهود إثبات أن أوروبا مالكة لدينها بل تعد متعصبة .

ثالثاً : إن قياس الاسلام بالنصرانية قياس مع الفارق وهو قياس خطأ محض .
لأن أوروبا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها ، لم تكن متحضرة ، وعند
تركت التعصب والتزمت دينها تحضرت .

ولقد أثار التعصب الديني لدى أوروبا نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة ، وكر
الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة فى سحق العوام وفقراء الناس وأهل الفكر
والعلم منهم . حتى تولد لدى عامة الناس نوع من انسخط على الدين .

أما فى الاسلام - والتاريخ شاهد - فلم يصبح الدين سبباً للنزاع الداخلى إلا مرة
واحدة فقط ، وقد ترقى المسلمون - بالنسبة لذلك الوقت - رقياً عظيماً ما ملكر
الدين واعتصموا به . والشاهد على هذا : الدولة الإسلامية فى الأندلس التى غدت
أستاذة عظيمة لأوروبا ، ولكن متى ما أهمل المسلمون دينهم تخلفوا وتردوا .
ثم إن الاسلام حامى الفقراء ، والعوام من الناس . وذلك بوجود الزكاة وحرمة
الربا ، وأمثالهما من ألوف المسائل التى ترأف بحال العوام .

(١) ونسن توماس وودرو (١٨٥٦ - ١٩٢٤م) : رئيس الولايات المتحدة (١٩١٣ - ١٩٢١) نر-
القانون ومارس المحاماة ، كان مدير جامعة برنستون (١٩٠٢ - ١٩١٠) فاز برئاسة الجمهورية عن
الحزب الديمقراطى ، كان يجاهر بعدائه لكل ألوان الاستعمار ، ألف عدة كتب فى النظم السياسية أهمها
تاريخ الشعب الامريكى (٥ أجزاء ١٩٠٢ - المترجم .

(٢) نويدي جورج (١٨٦٣ - ١٩٤٥) : سياسى بريطانى حر المذهب ، ولد من أسرة فقيرة بمقاطعة ويتر
عرف فى أوائل حياته كراهبته للاستعمار . لمع اسمه ببلاغته الخطابية ، شغل عدة مناصب وزارية
وظل عضواً بمجلس العموم حتى قبيل وفاته - المترجم .

(٣) فينزيوس (١٨٦٤ - ١٩٤٥) : سياسى يونانى ، من رجال الدولة المشهورين ، لعب دوراً بارزاً فى
ثورة كريت (١٨٩٦ - ١٨٩٧) ضد الدولة العثمانية . ألف الوزارة اليونانية ١٩١٠ ، نظم عدة فتن مسند-
ضد الحكومة الملكية ، ولكنها قمعت ، وفر فينزيوس إلى فرنسا . حيث توفي فى العام التالى للثورة -
المترجم .

ثم إن الاسلام يحمى أهل العلم ويستشهد العقل والعلم ، ويوقظهما فى النفوس
على هذه الآيات الكريمة . (أفلا يتدبرون .. أفلا يتفكرون .. أفلا يعقلون) .
لذا كان الاسلام دوما قلعة الفقراء وحصن العلماء ومنجأهم . فلا
- عى فى الاسلام قطعا لمثل هذه المجافاة .^(١)

ثم ذكر الفروق الأساسية الواضحة بين الاسلام وسائر الأديان ومنها
نصرانية وما يترتب على ذلك من فشو مثل هذه النعرات بينهم هناك ، بينما
- عى لانتشارها فى بلادنا الاسلامية ، فى الاسلام غنى عن كل ذلك .^(٢)
وفى المسألتين السادسة والسابعة : وجه خطابه الى المغالين فى القومية
يا كيف أن دعواهم هذه مدعاة الى العنصرية الممقوتة وهى من حمية الجاهلية ،
يا حمية الاسلام لها فوائدها العائدة على أمن الأمة وعزتها وكرامة المواطن
يخده ، وحبه الخالص لوطنه .^(٣)

* وألقى الأستاذ النورسى الضوء على الأحزاب التى كانت تعمل على الساحة
تركية على أيامه ، موضحا حقيقتها وأيها أقرب الى الاسلام ويعمل لصالحه ،
وأيها بعيد عنه ويحارب دعائه ، حتى يكون أبناء تركيا على بينة من الأمر .^(٤)
كما صحح الأستاذ النورسى المفاهيم حول المصطلحات التى انتشرت فى
تعالم ومنها العالم الاسلامى مثل اليمين واليسار والوسط وما الى ذلك . فيقول :
" إنه لا وسط بين الكفر والايمان ، فى هذه البلاد وتجاه مكافحة الشيوعية فليس
هناك غير الاسلام ، وليس هناك وسط . لأن التقسيم الى يمين ويسار ووسط ،
يعتضى ثلاثة مسالك . وهذا قد يصدق لدى الانجليز والفرنسيين ، إذ يمكنهم
أن يقولوا : اليمين الاسلام واليسار الشيوعية والوسط النصرانية . إلا أن الذى

نظر الملاحق ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

- من المصدر ص ٤١٩ .

- نهر المصدر نفسه ص ٤١٩ - ٤٢١ .

- نهر الملاحق ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

كانت الأحزاب الموجودة على زمانه - كما ذكر - أربعة . وهى حزب الشعب الجمهورى ،
حزب الديمقراطية ، وحزب الأمة ، وحزب الاتحاد الاسلامى الذى كان شعورا عاما لدى الشعب المسلم
- أشخاص من أحزاب محافظة ، وقد حاول بعض الغيارى على الاسلام إنشائه إلا أنهم لم يفلحوا .

يجابه الشيوعية - فى هذه البلاد - ليس إلا الايمان والاسلام . فليس هناك دير ومذهب آخر يجابهها إلا بالتحلل من الدين والدخول فى الشيوعية ، لأن المسند الحقيقى لا يتنصر ولا يتهود ، بل إذا خلع دينه يكون ملحدًا فوضويًا إرهابيًا. (١)

* كما صحح المفاهيم الخاطئة التى لها صلة ماسة بالعقيدة ، التى فشلت فى العناء الإسلامى بعمامة والمجتمع التركى بخاصة ، كالقول بالصدفة ، والشىء اقتضته الطبيعة ، والشىء أوجد نفسه (٢) ، وغيرها من المصطلحات التى روح لها الملحدون .
وقال عن القوانين التى صدرت منافية للدين وعن الجمهورية والنظام والشيوعية :

" لقد أطلق على قسم من القوانين الحديثة للدولة التى سنتت هذه القوانين الانقلابية ووضعتها موضع التنفيذ اسم " الاستبداد الفكرى الاعتباطى " وعلى الجمهورية اسم " الاستبداد المطلق " وعلى النظام اسم " الارتداد المطلق " وعلى الشيوعية والمدنية اسم " السفاهة المطلقة " . (٣)

وهكذا نجد أن هدف : " إظهار الحقائق " الذى بذل النورسى - رحمه الله - فيه جهدا غير منكور قد أسهم فى تبصير الشعب التركى ونشر الوعى الإسلامى بين أوساطه حتى لدى بعض المسئولين فى الدولة الذين كان لهم دور فى الإصلاح . خاصة فى هذه الظروف الفكرية العصبية التى مرت ببا تركيا ، وهذا بدوره كان أحد عوامل ظهور الصحوة الإسلامية هناك .

خامسا : السعى لإعادة الخلافة الإسلامية

رغم النقد الذى وجهه الأستاذ النورسى لبعض الأمور فى الدولة العثمانية وما تعرض له بسبب ذلك ، إلا أنه كان يبا الحب ولخلفائها التقدير والاحترام

(١) الملاحق ص ٣٤٦ .

(٢) أنظر اللمعات . ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٣) الشعاغات ص ٤٨٨ .

لأنها الحامية للشريعة ، ورمز قوة المسلمين ووحدتهم ، ولهذا كان حزنه شديدا لما سقطت الخلافة ، وكان في دعوته ساعيا لإعادتها مرة أخرى بقيادة آل عثمان حين أحبيهم أتمسكون وتمنوا عودتهم للخلافة ، ورفض بشدة المحاولات التي صهرت لإنشاء دولة على أسس عرقية ... كما رفض قيام جمهورية علمانية وقد طُوق عليها كما مر اسم الاستبداد المطلق ، وعلى قوانينها اسم الاستبداد الكفري . وقد سبق أنه لما انهارت الدولة العثمانية ومزقت ، ظهرت رغبة عند بعض المثقفين الأكراد في إنشاء دولة كردية في الولايات الشرقية من تركيا ، ولكون سعيد نورسي كردي الأصل ، وذا منزلة كبيرة في نفوس أهالي الولايات الشرقية ، رسل إليه أحد الصحفيين رسالة يطلب فيها الانضمام إلى الداعين لتكوين هذه دولة .

رد أجابه النورسي برسالة مطولة قال فيها :

• يا رفعت بك . سأكون معك إن حاولت إحياء الخلافة العثمانية .. وأنا مستعد تضحية بنفسى فى هذا السبيل . أما أن تكون دولة كردية فلا ! .
وكذلك تسلم الاقتراح نفسه والطلب من السيد عبد القادر رئيس جمعية : " تعنى الأكراد " فكان جوابه هو الرفض أيضا . (١)

سادسا : دعوة غير المسلمين للاسلام

ومن الأهداف التي كانت محط نظر الأستاذ النورسي فى دعوته حقيقا لعالميتنا وشمولها ، دعوة غير المسلمين لاعتناق الاسلام . فمن ذلك ما فعله حين كان باستانبول عام (١٩٥٣م) لحضور الاحتفال الذى - على إتيه بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على فتح استانبول . وفى هذا الاحتفال التقى صريخ النورم "أشوكراس" وأثناء اللقاء جرى بينهما الحوار الآتى :

سعيد النورسي : يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين نصرانى الحق ، بشرط الاعتراف بنبوته سيدنا محمد ﷺ ، وبالاعتراف بالقرآن تحريم كتابا من عند الله .

سبع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ٥١

البطريـرك : إننى أعترف بذلك .

سعيد النورسى : حسنا ، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين ؟ .

البطريـرك : أجل إننى أقول ذلك ، ولكنهم لا يقبلون . (١)

ومن ذلك دعوته لنفر من اليابانيين للاسلام ، إذ حضر القائد العام اليابانى الى استنبول عام (١٩٠٧م) ، ووجه جملة من الأسئلة الى المشيخة الاسلامية حول وجود الله تعالى ونبوة النبى ﷺ ، والحشر الجسمانى ، والعدل ، فوجهتها المشيخة بدورها الى الأستاذ سعيد النورسى لتفتها فيه ، فأجاب عنها جميعا ودعاهم خلالا للاسلام . (٢)

وقد سبق فى الباب الماضى أنه لما تقابل مع اليهودى "عمانويل قره صو" دعاه للاسلام ودار بينهما حوار . يقول الرجل نفسه :
" لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجنى بحديثه فى الاسلام . " (٣) .
وبدعوته - عن طريق رسائل النور - فيما بعد ، هدى الله بعض الأوربيين للاسلام .

فقد أسلمت الانجليزية " مارى ويلدز " وسجلت خواطرها حول الاسلام فى كتيب أسمته : " رحلتى من الكنيسة الى المسجد لماذا .. " تقول فيه عن نفسها :
" كنت أستوضح الأمور فى سن مبكرة ، ولا أقتنع بسرعة ، وأرغب فى أن أعلم مغزى عدم استقرارى هذا وعدم قناعتى .. استمرت هذه الأفكار القلقة معى طوال هذه السنين ، حتى أعطيت نسخة من المترجمات لرسائل النور ، ومنذ ذلك الوقت ، ومن خلال تلك الرسائل شرفت بدخولى فى حظيرة الاسلام واعتنقت ديننا لى " . (٤)

تلك كانت أهم الأهداف - على ما تراءى لى - فى دعوة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسى ، وهى كلها كما رأيت متفرعة عن الهدف الأسمى "الايمان" الذى حاول الاحاديثون إطفاء جذوته فى نفوس الشعب التركى .. لكن كان

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ١٢٠ .

(٢) أنظر صيقل الاسلام ص ٢٥ ، ١٢٠ - ١٦١ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ٣٠ .

(٤) ص ١٠ . ترجمة د/ طارق عبد القادر . مكتبة النور بالقاهرة . ١٩٩٢م .

نُرسى وغيره من الدعاة والمفكرين فى تركيا لهم بالمرصاد - رغم ما تعرضوا
- - فلم يتركوا لهم الفرصة فى تحقيق كل مآربهم .
وإذا كانت هذه أهدافه ، فماذا عن الوسائل التى استخدمها فى تبليغ دعوته ؟
ذلك ما سنحاول التعرف عليه فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

الوسائل في دعوة النورسي

مما لا شك فيه أنه على قدر فهم الداعية لدعوته ، وعلى قدر استعداداته وحاسه بالمسئولية ، بقدر ماتكون الوسائل المستعملة في الدعوة .. كما أنه على قدر شمولية الهدف تكون شمولية الوسائل كذلك .

والناظر في دعوة الأستاذ سعيد النورسي - رحمه الله - يرى أنه بذل ما في وسعه منذ شبابه للوصول إلى هدفه المنشود في الدعوة ، واستعمل في سبيل ذلك وسائل عدة مع خاصة الناس وعامتهم ، وفي الجرائد والمجلات ، ومن خلال تجمعات والندوات ، والمحاورات والمناظرات ، وبالمناصب ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وبإتمراسات مع الآخرين ، وما إلى ذلك من الوسائل التي أتاحت له ، عزرا إلى الله تعالى في التبليغ ، وإنقاذاً لإيمان الأمة مما أحدثته الوسائل الاحادية مكررة في أوساط المجتمع التركي المسلم .

وهنا أمر لا بد من الإشارة إليه ، وهو أن "رسائل النور" والتي بلغت (١٣٠) رسالة^(١) ، تعد الوسيلة العامة التي جمعت تحتها كل الوسائل ، وبالتالي فهي حاوية بحرينه كلها ، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين :

الأمر الأول : أن الرجل أمضى مدة استمرت ثمانية وعشرين عاماً هي فترة الشباب في النفي والسجن - كما سبق في الباب الثاني - وقد حيل بينه وبين الاتصال بالناس وكانت الوسيلة الوحيدة لاتصاله بهم هي الرسائل التي كان يبعث بها سرا ، فقد تحت مكاتبته إياهم ممنوعة كذلك .. حتى أنه لما أطلق سراحه في الخمسينات كان عزه وقتذاك سبعة وسبعين عاماً ، أي أنه قد بلغ مرحلة الشيخوخة مما صعب عليه هذه الأعداد الغفيرة من المقبلين على الدعوة بصفة مستمرة وخاصة طلاب النور حين من الله عليهم بالتوبة والالتزام بالاسلام اعتقاداً وشرعية وسلوكاً ، والدعوة إليه كذلك .

(١) نثر الشاعرات ص ٥٣٤ .

لهذا اكتفى بمدارسة الرسائل تحت اشراف الخلفاء من تلاميذه لهؤلاء المقبلين الجدد ، وتكون المتابعة عن طريقهم ، مع المراسلة الدائمة التي يصح للجميع فيها المسار الصحيح للحياة على منهاج الشرع القويم .. وقد علق لوحة على ظهر الباب الخارجي لمحل إقامته في كل من "اسبارطه" و "أدميراغ" ، وكان يستقر فيها كل زائر له . " الى جميع اخوتي الأعضاء الراغبين في مقابلي وزيارتي أبين لهم الآتي : انني لا أطيق مقابلة الناس ما لم تكن هناك ضرورة ، إذ التسدد الحالي ، والضعف الذي اعتري جسمي ، وكذا الشيوخوخة والمرض .. كل ذلك جعلني عاجزا عن التكلم كثيرا ، ولأجل هذا أبلغكم يقينا أن كل كتاب من رسائل النور انما هو "سعيد" ، فما من رسالة تطالعونها الا وتستفيدون فوائد أفضل من مواجهتي بعشرة أضعاف ، بل تواجهوني مواجهة حقيقية . فقد قررت : أن أذكر في دعواتي وقراءاتي صباح كل يوم أولئك الراغبين في لقائي لوجه الله بديلا عن عدم استطاعتهم من اللقاء ، وسأستمر على هذا القرار . " (١)

الأمر الثاني : أنه اعتبر الرسائل هبة وانعاما الهيأ واحسانا وفضلا منه سبحانه ليرى الا . ان لم يكن حظه من التأليف الا الوقوف أمام الآية الكريمة بتوسل وتضرع الى العلى التقدير ، وطلب المدد منه أن يفتح عليه ، فما ان ينشرح قلبه لأمر حتى يطلب فوراً وبسرعة .. يكاد الكتاب لا يلحقون به . ولهذا أكد الأستاذ كثيرا بعدم ريد الرسائل بشخصه فيحطون من قيمتها ، ان الانسان له أخطاء وله عيوب قد ستره الله عليه . (٢) هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإنه أراد ألا يتعلق الطلاب بشخصه لا في حياته ولا بعد مماته ، فذلك له أضراره الجسيمة على الدعوة .

يقول :

" ان عادة أهل الضلالة والطغيان هي تحطيم صاحب كتاب لا يفي بغرضه ، فلا بد اذن ألا ترتبط الرسائل المرتبطة بنجوم سماء القرآن الكريم بسند متهمين متى قابل للاعتراض والنقد والسقوط " . (٣)

ويقول : " ان الرسائل ليست ملكي ولا مني ، بل هي ملك للقرآن . لذا أراني

(١) الكلمات ص ٨٩٧

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٤٥ .

(٣) للمكتوبات ص ٤٧٦ .

مضطرا إلى بيان أنها قد نالت رشحات من مزايا القرآن العظيم . نعم ، لا تبحث ما في عناقيد العنب اللذيذ من خصائص في سيقانها اليابسة ، فأنا كذلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة

ونو بلغ صوتي إلى أرجاء العالم كافة لكنك أقول بكل ما أوتيت من قوة : ان سوزنر "الكلمات" جميلة رائعة وأنها حقائق ، وانها ليست مني ، وانما هي شعاعات التمتع من حقائق القرآن الكريم ، فلم أجمل أنا حقائق القرآن ، بل لم تكن من اظهار جمالها ، وانما انحقائق الجميلة للقرآن هي التي جملت عباراتي ... ربما مدحت القرآن بكلماتي ، ولكن مدحت كلماتي بالقرآن . " (١)

ويائيت تلامذته الذين غالوا فيه بعد موته قد فقهوا ذلك - كما سنعرف في تحصل الأخير ان شاء الله .

وقد سبق في فصل الأهداف أن الرسائل جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة على مستوى الفرد والمجتمع ، سادة بذلك الفراغ الديني والأخلاقي الذي أحدثه الحاديون الكماليون في تركيا .

ولهذا كان النورسي - تحقيقا لعالمية وشمولية الدعوة - حريصا على ترجمة الرسائل الى العربية ونشرها ، وكان يأمل قيام علماء من الأزهر أو من بلاد شام بذلك ، وقبل ارتحاله الى دار البقاء أرسل أحد طلبته الى العراق ومصر بغية اتصال بالعلماء هناك على أمل ترجمة الرسائل . وفعلا تمت ترجمة ونشر عدد كبير منها في الشام .

ولما درس من كان حوله من الطلاب "المشوى العربي النورسي" ، و "سرات الاعجاز" وكان قد كتبها بالعربية ، أمر بنشرها كي تعم الفائدة . (٢) ومن هذه الوسيلة الكنية العامة "رسائل النور" التي أخذت جل وقت وجهدهم . تفرعت الوسائل المتعددة والتي يمكن ذكرها على النحو التالي :

١. مکتوبات ص ٤٧٧ .

٢. الكلمات ص ٨٩٧ .

أولاً : التوجيه والارشاد

حظيت هذه الوسيلة التوجيهية الارشادية باهتمام كبير من الأستاذ النورسي خاصة في فترة التحجيل العامة التي أريدت للشعب التركي ، وقد توجه بها إلى خاصة والعامة على السواء في الظروف العادية وفي المناسبات ، واليك البيان .

١- الخاصة :

لقد توجه النورسي بدعوته إلى خاصة المجتمع من تلامذته "طلاب النور" العلماء ، والمسؤولين ، الذين ببدايتهم والتزامهم الصراط المستقيم يبتدى جمهور غفير من الناس .

(أ) طلاب النور :

أما تلامذته من طلاب النور فقد نالوا اهتماما كبيرا من الأستاذ ، لأنهم متداده الدعوى في كل مكان في حياته وبعد مماته ، لهذا كان تفقده لأحوالهم وموالاته إياهم بالتوجيه والارشاد ، ورسائله لهم في هذا المضمار كثيرة منها :

* رسالته إليهم التي بين فيها خطط الملحددين الماكرة وأكاذيبهم المضللة بغرض إيقافهم عن الدعوة وصرف الناس عنهم ، وفيها ارشادهم بعدم المبالاة بهذه الحيل التي ذهبت أدراج الرياح ، وانتشرت رسائل النور وكثر طلابها رغما عنهم .^(١)

* ورسالته التي وجههم فيها بعدم الدخول مع الآخرين في معارك كلامية جدلية لا تعود على الدعوة بنفع ، وخاصة مع البعض من الصوفية وعلماء السلطنة الساعين في إحداث الفتن .^(٢)

ومن توجيهاته قوله :

" اخوتي ! عليكم بمنتهى الحيطة والحذر .. واياكم اياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء . بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة على قدر الامكان

(١) انظر الشعاعات ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ، الملاحق ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) انظر الملاحق ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

فلا تتعرضوا لغرورهم ، انعمسى حتى لو كان أحدهم ميالا الى البدع .
مستحدثات الأمور ، لأن الزندقة الزهيسة تجاهنا ، فيجب عدم دفع هؤلاء
تحتعين الى صف الملحدين .

وإذا ما صادقتهم علماء رسميين أرسلوا اليكم خاصة ، فلا تفتحوا باب النزاع
معهم . لأن اعتراضاتهم باسم العلم سيكون مستندا بيد المنافقين .

أنتم تعلمون مدى الضرر الذي أحدثه الشيخ العالم في استانبول . فحاولوا
في المستطاع أن تحولوه في صالح رسائل النور .. تحياتنا الى أخواننا جميعهم فردا
فردا . (١)

* كما أرسل إليهم ناصحا إياهم بالثبات أمام طغيان المادية على حياة الناس ،
واغترارهم بزينة الحياة الدنيا التي صارت غاية لهم لا وسيلة الى الله والدار
الأخرة .. ووجههم الى حيل الملحدين المعاندين وما يجب عليهم لتقوية الفرصة
على تلك الحيل . (٢)

* ومن ذلك ما كتبه الى تلامذته الذين ابتلوا بمحنة السجن لأنهم قالوا ربنا الله ،
موجها ومرشدا . (٣)

* ومنها خطابه الذي أُرشدهم فيه الى أن السجن لهم ولأمثالهم نعمة لا نقمة وينبغي
الرضا والصبر ، يقول : " أيها الأخوة الأعزاء الأوفياء ! لقد رأيت أنوار سلوان
ثلاثة ، أبينها في نقاط ثلاث للذين ابتلوا بالسجن ، ومن يقوم بنظارتهم ورعايتهم
ومن يعينهم في أعمالهم وأرزاقهم .

تقطعة الأولى : أن كل يوم يمر من أيام العمر التي تمضي يمكن أن يكسب المرء
ثواب عبادة عشرة أيام ، ويمكن أن يحول ساعاته الفانية - من حيث النتيجة -
لى ساعات باقية خالدة .. بل يمكن قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من
سجن أبدى لملايين السنين .

الملاحق ص ٢٨٢ .

٢ - تضرر المصدر السابق ص ٢٠٠ .

٣ - راجع الشعاعات ص ٣٤٩ - ٤٠٢ .

هذا الربح العظيم مشروط لأهل الايمان بأداء الفرائض والتوبة الى الله من الذنوب والمعاصي التي دفعته الى السجن ، والتوجه اليه تعالى بالشكر صديقا محتسبا . علما أن السجن نفسه يحول بينه وبين كثير من الذنوب .

النقطة الثانية : أن زوال الألم لذة ، كما أن زوال اللذة ألم .

نعم ! ان كل من يفكر في الأيام التي قضاها بالهناء والفرح يشعر في روحه حسرة وأسفا عليها ، حتى ينطلق لسانه بكلمات الحسرات : أوه .. أوه .. بينما - تفكر في الأيام التي مرت بالمصائب والبلايا فإنه يشعر في روحه وقلبه فرح وبهجة من زوالها حتى ينطلق لسانه بـ : " الحمد لله والشكر لله " ، فقد ولت البيت تاركة ثوابها فينشرح صدره ويرتاح .

اي أن ألما مؤقتا من الزمان يترك لذة معنوية في الروح ، بينما لذة مؤقتة لساعة من الزمان تترك ألما معنويا في الروح ، خلافا لذلك .

فما دامت الحقيقة هذه ، وساعات المصائب التي ولت مع آلامها أصبحت في عداد المعدوم ، وأن أيام البلايا لم تأت بعد ، فهي أيضا في حكم المعدوم .. وانه لا ألم من غير شيء .. ولا يرد من العدم ألم .. فمن البلاهة اذن اظهار الجزع ونفس الصبر الآن ، من ساعات آلام ولت ، من آلام لم تأت بعد ، علما أنها جميعا في عداد المعدوم . ومن حماقة أيضا اظهار الشكوى من الله وترك النفس الأمرية المقصورة من المحاسبة ، ومن بعد ذلك قضاء الوقت بالحسرات والزفريات . أو ليس من يفعل هذا أشد بلاهة ممن يداوم على الأكل والشرب طوال اليوم خشية أن يجوع أو يعطش بعد أيام ؟ . (١)

ثم ضرب المثل بنفسه وكيف عاش هذه المشاعر فحول الله جزعه ويأسه- انشراحا ورضا .

وفي النقطة الثالثة : أرشد معاونين لهم داخل السجن وخارجه باحتساب ذلك عند الله ، حتى يكونوا أهلا للأجر الجزيل على شريطة أداء الفرائض وعدم اظهار المنية بما يقدمون من مساعدات . (٢)

(١) الشعاعات ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، وانظر الكلمات ص ١٦٧ - ١٦٨ ، والنعمة ص ٤٢٩ .

(٢) أنظر الشعاعات ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، الكلمات ص ١٦٨ - ١٦٩ .

* وبعث اليهم يرشدهم الى الثبات والصبر أمام المحن الجسدية والمعنوية التي نزلت بهم من الطغاة المعاندين وأدواتهم ، وضرب لهم المثل بالأئمة الكبار أمثال الإمام أبي حنيفة النعمان والإمام أحمد بن حنبل ، اللذين صمدا أمام محن جزئية في الدين فكانت العقاب خيرا ... فصمود طلابه أمام الهجوم الشرس على الدين كله وعلى المتمسكين به من باب أولى .^(١)

* وعندما قلق الطلاب على الأستاذ بما تعرض له من دس السم أرسل اليهم يطمئنهم على صحته ، ووجههم الى الارتباط بالرسائل التي تمثل المبدأ الثابت ولا يرتبطوا بشخصه الفاني ، وأن يحافظوا على أخوتهم ودعوتهم .^(٢)

* وقد سبق في فصل الأهداف أنه تعيد "طالبات النور" فأرشدن من خلال رسائل متعددة اليهن بحسن الاقبال على الله تعالى ، ورعاية البيوت والأولاد ، وحسن العشرة الزوجية ، والحفاظ على عفتن وطهارتهن النابعة من الدين الحنيف ، وعدم الجري وراء ماديات الحضارة الغربية المهلكة .^(٣)

* وفي أيامه الأخيرة ، بعد أن انتشرت الدعوة ، وصار لها أتباع في كل مكان أرسل الى طلابه يرشدهم الى التجاوز عن أساءوا اليهم وآذوهم ، واحتساب ذلك عند الله تعالى مادام عملهم ابتغاء مرضاته سبحانه ، يقول :

" ان الكثيرين من طلابي قد ابتلوا بشتى أنواع البلايا والمصائب ، وتعرضوا لصفوف العذاب والمتاعب ، واجتازوا امتحانات عسيرة بفضل الله . إنني أطلب منهم أن يتجاوزوا - مثلى - عن اقترف تلك المظالم وهضم الحقوق لأن أولئك قد ارتكبوا تلك الأمور عن جهل منهم ، والذين آذونا وعذبونا ، ساعدوا على نشر الحقائق الايمانية دون أن يدركوا تجليات أسرار التقدير الالهي .. ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم باليداية .

(١) التلمعات . ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) أنظر الملاحق . ص ٢٨٥

(٣) راجع في ذلك اضافة الى ما سبق الملاحق ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

أوصى طلابي ألا يحمل أحد منهم شيئاً من روح الانتقام في قلبه ولو بمقدار ذرة." (١)

(ب) العلماء :

مهمة العلماء في الأمة خطيرة ، وليا شقان : القدوة بالعمل ، والقول بالمحاضرات والخطب والافتاء ، وغير ذلك من فنون القول ، والشقان لا يستغنى عنهما عالم ، ولا يمكن فصلهما عن بعض ، وبهما يحدث التأثير ويتم التغيير المطلوب في المجتمع .

ولذا أولاهم الثورسي عنايته ، فأرسل لهم الرسائل ينصحهم بخطورة متصبيهم في الأمة ويرشدهم إلى الطريق القويم .

* فنجده يرسل إلى مفتي "أكريدر" يحاول استئلال ما في قلبه تجاه الدعوة وطلابها ، وينصحه بعدم التعرض له بالنقد ، لأن المستفيد الوحيد من هذا هم الملحدون ، وذكره بتقوى الله تعالى في عمله ، وعدم الركون إلى الظلمة ففي ذلك هلاك الاثنين . (٢)

* كما بعث برسالة إلى رئيس الشؤون الدينية "السيد أحمد حمدي" الذي أبدى تعاطفاً مع الدعوة وطلابها ، فحياه على ذلك وشكر له صنيعه ، وأرشده إلى ما ينبغي عمله تجاهه وتجاه الرسائل ... (٣)

* كما بعث برسالة توجيهية مماثلة حول الرخصة والعزيمة ، والرسائل ، وأرشده إلى الواجب عليه وزملاءه من العلماء تجاه المد الإلحادي المستشري في المجتمع التركي . (٤)

* وقد مر منذ قليل ارشاده "طلاب النور" باحترام العلماء وتوقيرهم ، وعدم فتح باب الجدل والمخاصمة مع المعاندين للدعوة منهم ، بل يجب عليهم مصالحتهم ومعاملتهم بالحسنى ، حتى لا يفتحوا على الدعوة جبهة جديدة من العناد .

(١) الملاحق . ص ٣٧١ - ٣٧٢

(٢) أنظر الملاحق . ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) أنظر المصدر السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٤) المصدر السابق . ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(ج) المسئولون من رجال الحكم والادارة :

لم يغفل الأستاذ النورسي - رحمه الله - هذا الصنف من خاصة المجتمع لعلمه أن بصلاحهم يكون صلاح الناس ، وبفسادهم يكون فساد الناس ، وقد قيل : الناس على دين ملوكهم .

فهم مقلدون لرؤسائهم في تصرفاتهم وأحوالهم في الخير وفي الشر .
وصدق ابن تيمية - رحمه الله - الذي قال عنه هذا الصنف والذي قبله تفسيراً لقوله تعالى : (وأولى الأمر منكم)^(١) : " فلهذا كان أولو الأمر صنفين : العلماء ، والأمراء ، فإذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس . " (١)
لهذا نجد النورسي يرسل الرسائل الى السياسيين ورجال الحكم والادارة ، ويقوم بواجب النصح تجاههم ويرشدهم الى اتباع الشرع والاسترشاد بالاسلام الذي فيه الحل الصحيح لمشاكل الأمة كلياً .

ويلاحظ أن لهجة التوجيه والنصح تكون لاذعة شديدة أحياناً ، خاصة في العهد الجمهوري لأن المقام تطلب ذلك ، بينما تخف شدتها أحياناً أخرى ، خاصة في عهد الحزب الديقراطي نظراً للانفراج الذي حدث لصالح الاسلام في هذه الفترة التي حكم فيها الرئيس جلال بيار ورئيس وزرائه عدنان مندريس .
✳ فنجده يكتب للمسؤولين في حكومة العهد الجمهوري رسالة تضمنت ستة أسئلة استعرض بها تصرفاتهم الفاضحة مع الدعوة وصاحبها ، ومع الجمهور ، وقد اتسمت بالشدّة والصرامة في الخطاب بعد أن نفذ صبره من أوضاعهم .
وقد بدأ الرسالة وختمها بالقرآن الكريم بما يناسب مقام الكلام .. أنقل منها هنا خمسة لما تتطوى عليه من قوة وشجاعة وعمق فهم صاحبها ، ودعاة اليوم بحاجة الى أخذ العبرة منها ، تاركاً السؤال السادس لأنه سبق الكلام عنه في الدفاعات في الفصل الماضي .

(١) النساء (٥٩) .

* مجموع الفتاوى ١٧٠/٢٨ الرئاسة العامة لشؤون الحرمين بالسعودية . السيامة الشرعية ، نفس ص ١٨٢ . دار الشعب بالقاهرة . بدون .

بدأ الأسئلة بقوله تعالى : (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلاً ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (١).
ثم قال : " لقد حدثت في الفترة الأخيرة اعتداءات شنيعة كثيرة على حقوق المؤمنين الضعفاء ، من الملحدن المتخفين وراء الأستار ، وأخص بالذكر اعتداءهم على تعديا صارخا ، باقتحامهم مسجدى الخاص الذى عمرته بنفسى وكنا فيه مع ثلثة من رفقتائى الأعرزاء ، نؤدى العبادة وترفع الأذان والاقامة سرا فقبل لنا : لند تقيمون الصلاة باللغة العربية وترفعون الأذان سرا ؟ .
نفذ صبرى فى السكوت عليهم :

وها أنذا لا أخطب هؤلاء السفلة الدينيين الذى حرموا من الضمير ، وليسوا أهلا للخطاب ، بل أخطب أولئك الرؤساء المتفرعنين فى القيادة الذين يلعبون بمقدرات الأمة حسب أهواء طغيانهم . فأقول :
يا أهل الاحاد والبدعة ! انى أطلبكم بالاجابة عن ستة أسئلة .

السؤال الأول :

ان لكل حكومة ، مهما كانت ، ولكل قوم ، بل حتى أولئك الذين يأكلون لحم البشر ، بل حتى رئيس أية عصابة شرسة ، منهجا وأصولا وديساتير ، يحكمون وفقه . فعلى أى أساس من دساتيركم وأصولكم تتعدون هذا التعدى الفاضح . أظهروا : لنا . أم أنكم تحسبون أهواء عدد من الموظفين الحقراء قاتونا ؟ .
إذ ليس هناك قانون فى العالم يسمح بالتدخل فى عبادة شخصية خاصة ! ولا يسن قانون فى ذلك قطعا .

السؤال الثانى :

إن دستور حرية الضمير (حرية المعتقد الدينى) مهيمن بصورة عامة فى العالء قاطبة ، ولا سيما فى هذا العصر ، عصر الحريات ، وبخاصة فى نطاق المدنية الحاضرة .
فالى أى قوة تستبدون أنتم فى جراتكم هذه ، بخروجكم على هذا الدستور . واستخفافكم به ، مما يعد إهانة للبشرية كلها ، واهمالا لرفضها لعمالكم ؟ وآية قوة

(١) إبراهيم : (١٢) .

-يكم حتى تمسكتكم بالاحاد وكأنه زين لكم في الوقت الذي اطلقتكم على أنفسكم اسم
"لا تينية" وأعلنتم عدم التعرض للدين ولا للاحاد على السواء .

بين أنكم تتعدون على حقوق أهل الدين الى حد كبير ، فلا شك أن أعمالكم
مه لن تبقى في ظي الخفاء ، بل ستسألون عنها . وعندها بماذا تجيبون ؟ .

فيها أنتم أولاء لا تطيقون رفض أصغر حكومة من الحكومات العشرين
و عراضها عليكم ، فكيف بكم تجاه عشرين حكومة يرفضون معا محاولتكم نقض
حرية الضمير بالقوة وبالاكراه وكأنكم لا تحسبون حساب رفضهم .

سؤال الثالث :

بأى قانون وبأية قاعدة تكفون من هو شافعي المذهب مثلي ، اتباع فتوى
تعي صفاء المذهب الحنفي وسموه ، أفتى بها علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم
معم دنيوي .

قلو حاولتم ازالة المذهب الشافعي - علما بأن متبعيه في هذا المسلك يعدون
سلايين - وسعيتم لجعلهم أحناف ، ثم أكرهتموني على اتباع هذه الفتوى إكراها
سرة ، ربما يكون ذلك قانونا ظالما من قوانين الملحدين أمثالكم ، وإلا فهو دناءة
ظرفها بعضهم حسب أهوائه ! .

إننا لسنا تابعين لأهواء أمثال هؤلاء ، ولا نعرفهم أصلا .

سؤال الرابع :

أى أصل من أصولكم هذا الذي تستندون اليه في تكليف أمثالي - ممن هم
- قوم آخرين : أن أقم الصلاة باللغة التركية ، بناء على فتوى محرفة مبتدعة ،
- العنصرية التركية التي تعنى التفرنج المشافي كليا لقومية وأعراف وعادات
- الأمة الى امتزجت واتحدت بالاسلام منذ القدم واحترمته .

وعلى الرغم من أنني على علاقة وثيقة وصدائة صميمة وأخوة خالصة
- معك الحقيقيين ، فإنني أست على علاقة أبدا مع الدعوة القومية لأمثالكم من
- تجين .

فكيف تكفوني بذلك ؟ وبأى قانون ؟ .

إن الأكراد الذين يبلغ تعدادهم الملايين ، لم ينسوا قوميتهم ولا لسانهم منذ
- السنين ، وكانوا أخوة حقيقيين للأتراك في الوطن ، ورفاقهم في سوح

الجهاد منذ سالف العصور ، أقول : إن أزلتم قوميتهم وأنسيتموهم لسانهم ، فربما يكون تكليفكم هذا لأمثالنا - ممن يعدون من عنصر آخر - دستورا همجيا - دستائركم . والا فهو مجرد هوى وتصرف اعتباطى لا غير .
ألا إن أهواء الأشخاص لا تتبع ، ولا نتبعها نحن .

السؤال الخامس :

إن أية حكومة كانت لها أن تطبق قوانينها على رعييتها ومن تعدهم - رعاياها ، ولكنها لا تستطيع أن تجرى قوانينها على من لا تعدهم من رعاياها ، أولئك يقولون :

لما لم نكن من رعاياكم ، فلستم حكومتنا كذلك .

زد على ذلك أن عقابين اثنين لا ينزلان فى آن واحد على شخص فى دولة من الدول . فإما أن يعدم القاتل ، أو يلقى به فى السجن ولا يجوز تنفيذ السجن والاعدام معا عليه الخ (١)

* ومن إرشاداته ونصائحه فى هذا العهد خطابه الذى وجهه الى مجلس الأمة عد

(١٩٢٣) بشأن شعائر الدين لما رأى أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة ، فضد

عن تصرفات أتاتورك المعادية للإسلام ، وقد استهل خطابه بقول الله تعالى

(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) . (٢)

ثم قال :

" يا أيها المبعوثون ! إنكم لمبعوثون ليوم عظيم .

أيها المجاهدون ! ويا أهل الحل والعقد ! .

ارجو أن تعيروا سمعا الى مسألة يسديها اليكم هذا الفقير الى الله فى بعض

نصائح وفى عشر كلمات :

أولا : إن النعمة الالهية العظمى فى انتصاركم هذا تستوجب الشكر ، لتستمر وتر -

، إذ إن لم تستقبل النعمة بالشكر تزول وتنقطع . فما دمتم قد أنقذتم القرآن الكريم -

من إغارة العدو - بفضل الله تعالى - فعليكم اذا الامتثال بأمره الصريح -

(١) المکتوبات . ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

(٢) النساء : (١٠٣) .

وهو الصلاة المكتوبة ، كى يظل عليكم فيضه وتدوم أنواره بمثل هذه الصورة الخارقة .

ثانيا : لقد أهبجتكم العالم الاسلامى بهذا الانتصار ، وكسبتم ودهم واقبالهم عليكم ، ولكن هذا الود والتوجه نحوكم إنما يدومان بالترام الشعائر الاسلامية ، إذ يحبكم المسلمون ويودونكم لأجل الاسلام .

ثالثا : لقد توليتم قيادة مجاهدين وشهداء فى هذا العالم وهم بمثابة أولياء صالحين ، فمن شأن أمثالكم من الغيارى السعى والجد لامثال أوامر القرآن الكريم لنيل صحبة أولئك النورانيين ، والتشرف برفاقتهم فى ذلك العالم . والا تضطرون الى التماس العون والمدد من أبسط جندى هناك ، فى حين أنتم قادة هنا ، فهذه الدنيا بما فيها من شهرة وشرف لا تستحق أن تكون متاعا ترضى كراما أمثالكم ، ولا تكون لكم غاية المنى ومبلغ العلم .

رابعا : إن هذه الأمة الاسلامية مع أن قسما منهم لا يؤدون الصلاة . إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء حتى ولو كانوا هم فسقة . بل إن أول ما يبادر أهل كردستان - الولايات الشرقية - مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم . فإن كانوا مقيمين لها ، فيها ونعمت ويتقون بهم ، والا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدرا فى أداء واجباته . ولقد حدثت فى حينه اضطرابات فى عشائر " بيت الشباب " فذهبت لأستقصى أسبابها ، فقالوا : إن كان مسؤولنا " القائم قام " لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر ، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين ؟ .. هذا علما أن الذين قالوا هذا الكلام هم أنفسهم كانوا لا يؤدون الصلاة ، بل كانوا قطاع طرق ! . (١)

تد قال فى نهاية الخطاب :

" أنتم أعلم بأن أعداءكم الدائمين وخصومكم يحاولون تدمير شعائر الاسلام مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها . وإلا فستعيتون - بغير شعور منكم - العدو المتحفز للانقضاض عليكم .

(١) أمشوى العربى ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

إن التهاون في تطبيق الشعارات الدينية يفضي إلى ضعف الأمة ، والضعف يغرئ العدو فيكم ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حده .

حسبنا الله ونعم الوكيل .. نعم المولى ونعم النصير .^(١)

وكان من تأثير هذا الخطاب البليغ أن أقبل كثير من النواب (المبعوثين) على أداء الفرائض .^(٢)

* ومن رسائله التي كتبت في عهد الحزب الديمقراطي والتي اتسمت بالهدوء .

رسالته الى رئيس الجمهورية "جلال بيار" صدرها بمباركة التعاون الذي أبرء مع العراق وباكستان لما لذلك من خير يعود على المسلمين في المنطقة ، ثم حدثه عن الدعوة وانتشارها ، وعن الأخوة وفوائدها ، والعنصرية والقومية والأضرار الناجمة عنهما ، لأنهما على حساب أخوة الاسلام .. كما ذكره المراحل التي مرت بها الدعوة ابتداء بما قاله وزير المستعمرات البريطاني . ومرورا بمحاولة انشاء جامعة الزهراء ، وانتهاء بما وصل إليه الحال حتى حين كتابته الرسالة ، وطلب منه المعونة في انشاء الجامعة ، والتمسك بأهداف الشرع الحنيف للفرق الكبير بيننا وبين الغرب ، وترك الفرصة للدعوة حتى يعلم الناس أمور دينهم ويتكشف زيف الملحدين المعاندين .^(٣)

* كما بعث له ولأعضاء مجلس الوزراء برسالة مماثلة يهنئهم فيها باسم طلاب

النور وينصحهم بالعمل لصالح الاسلام والمسلمين ، وترك الحرية له ولطلابه لأن غايتهم رضا الله قبل كل شيء .^(٤)

* وبمثل ذلك أرسل رسالة الى سكرتير حزب الشعب الجمهوري ووزير الداخلية

سابقا ، أرشدهما فيها الى موالاته المسلمين بدلا من موالاته الغرب الحاقدين على الاسلام ، ورفع راية الأخوة الاسلامية بدلا من القومية خاصة وأنهم في مواجهة مع الشيوعية المتمردة - آنذاك - وأن عليهما أن يكفرا عن

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٢) هامش المشوى ص ٢٠٠ .

(٣) أنظر الملاحق ص ٤١٥ - ٤١٩ .

(٤) أنظر الملاحق ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

الماضية فى حق الأمة وخاصة وزير الداخلية ، ووجهها إلى تذكر المصير وما فيه من نعيم مقيم وعذاب أليم . (١)

* كما بعث برسالة إلى أعضاء المجلس النيابى بالحزب الديمقراطى ، ووجهها إلى المتدينين منهم . أرشدهم فيها إلى تطبيق قانون "حرية المتدينين" فى الدولة لا سيما فى المدارس ، لما لذلك من أثر كبير فى قوة الدولة .. فحقائق القرآن الكريم هى التى جعلت من أبناء تركيا قوة وقفت سدا منيعا كسد ذى القرنين أمام قوة وإلحاد روسيا والصين . (٢)

* وقد سبق فى الباب الثانى أن النورسى قدم فى استانبول عريضة إلى السلطان عبد الحميد وحكومته يوجههم فيها إلى فتح المدارس الحديثة التى تعلم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء ، بمنظور اسلامى وبجانب المدارس الدينية فى شرق الأناضول حيث يخيم الجهل والفقر على السكان هناك .

* كما سبق فى فصل الأهداف عند ذكر "إظهار الحقائق" رسالة إلى وزير العدل ، ومدير الأمن فى أنقره ، وضباط الأمن ، وفيها بجانب اظهار الحقائق ارشادات وتوجيهات ينصحهم بها جميعا من واقع مسؤوليتهم التى نيظت بهم .
٢- عامة الناس :

كما توجه النورسى بدعوته إلى الخاصة من طلاب النور والعلماء والمسؤولين من رجال الحكم والادارة ، توجه بها أيضا إلى عامة الناس الذين يمثلون السواد الأعظم فى المجتمع . فمن ذلك :

* خطابه الذى وجهه إلى أبناء المجتمع التركى عامة أرشدهم فيه - مستجديا عطفهم ومشاعرهم الجياشة نحو الاسلام - إلى اللحاق بمجد الآباء السابقين عن طريق الأخذ بركب المدنية الحديثة فى الصناعة والتقنية الحديثة والحريّة

(١) أنظر الملاحق ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) أنظر الملاحق ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

المنطلقة من الشخص نفسه لا المفروضة عليه من الخارج ، مع الاهتمام بالعلوم الشرعية المعيرة عن هوية الأمة الحقيقية .^(١)

* ورسالته للشباب عامة ، أرشدهم فيها الى الالتزام بدينهم خاصة فى هذه الفترة

النضرة من عمرهم ، لأن الدنيا قصير أمدها ، ذاهب نعيمها ، وينبغى بناء على ذلك اتخاذ الحيطة والحذر ، والمبادرة بالتوبة من الذنوب والمعاصى كما ، ذكرهم بيوم معادهم عن طريق ضرب الأمثال الواقعية الحية .^(٢)

* وقد سبق فى إصلاح البيت وإصلاح المجتمع مابعث به الى البيوت وأبناء المجتمع يوجههم ويرشدهم الى ما فيه صلاح البيت والمجتمع على السواء .
٣- المناسبات :

انتهاز الاستاذ سعيد النورسى رحمه الله فرصة المناسبات لتهيؤ الأذهان فيها وانشغالها بأحداثها ، فاستغلها لتكون إحدى وسائله فى الدعوة الى الله تعالى للخاصة والعامة على السواء .

* فقد انتهاز فرصة ولادة مولود ، فأرسل الى والده يهنئه فيها بالمولود ، وأرشده الى مايجب عليه تجاهه فى اختيار الاسم الحسن ، والعناية بالتربية الاسلامية.^(٣)

* وفى المقابل ، بمناسبة وفاة طفل وحزن والده عليه ، كتب النورسى اليه يذكره بالله تعالى ، وحقيقة الدنيا وبقائها فى مقابل حقيقة الجنة ونعيمها ، وجزاء الصابرين الراضين بقضاء الله تعالى وقدره من خلال ضرب المثل المقرب المعنى للذهن ، وأرشده فى الرسالة الى واجب الآباء نحو الأبناء دينا ودنيا.^(٤)

(١) أنظر صيقل الاسلام ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٢) أنظر الملاحق ص ١٧٤ - ١٧٨ .

(٣) انظر المكتوبات ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤) أنظر المكتوبات ص ٩٦ - ١٠٠ .

* وفي أثناء ترحيله الى أنقرة بإحدى سيارات النقل العمومية في أواخر شهر رمضان ، انتهزها فرصة للقيام بواجب التبليغ ، فالتفت الى حارسه قائلاً له : هل يمكن الإيعاز الى السيد السائق بأن يوقف السيارة ؟ إنه (لا إكراه في الدين) إلا أنه عندي بعض النصائح أريد أن أسديها للركاب .

أوقف السائق السيارة والتفت بديع الزمان الى الركاب مخاطباً : إن هذه الليلة ستكون ليلة القدر على أغلب احتمال ، إن ثواب قراءة القرآن الكريم في الأيام الاعتيادية هو عشر حسنات لكل حرف من القرآن ، وفي أيام رمضان ألف ، أما في ليلة القدر فهو ثلاثون ألف حسنة ، فلو عرض أحدهم عليك خمس ليرات ذهبية لقاء عمل ما ، أما ترغبون في الحصول عليها ؟!

أجاب الركاب : نعم .. نرغب في ذلك ..

فقال لهم : إذن فليقرأ كل مسلم منكم الآن سورة "الفاتحة" ثلاث مرات" وسورة "الاخلاص" مرة واحدة ، و "آية الكرسي" مرة واحدة ، فاتها ستكون لكم ذخراً في حياتكم الأبدية .

وفي الطريق عندما حان وقت الافطار وقفت السيارة ، حيث أفطر الأستاذ بديع الزمان مع الركاب ، وصلى معهم صلاة المغرب .^(١)

إن الطريقة الحكيمة من النورسي في مخاطبة الحارس واستعمال الأسلوب الحسن المحبب الى نفس الركاب أوجد جسراً من الود بينه وبينهم فأنصتوا بشغف لكلامه وتجاوبوا معه ، ولأنه كان قدوة بالعمل والسلوك لهم فأطاعوا إرشاداته ونفذوا ماطلبه من القراءة وما أمهم به من الصلاة .

* وبمناسبة حلول شهر رمضان ، وعودة الأذان الشرعي بالعربية ، أرسل الى تلاميذه يهنئهم ، وفي ثنايا الرسالة أرشدهم الى ما يجب فعله تجاه ما يثيره الملحدون من ترهات على الدعوة .^(٢)

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) أنظر الملاحق ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

* كما بعث برسالة مماثلة بمناسبة حلول العيد ، تضمنت التهنئة والارشادات والتوجيهات . (١)

* كما بعث برسالة الى النساء فى قرية "ساو" بمناسبة حلول شهر رمضان يهنئهن فيه ، ويرشدهن الى القيام بواجبهن فى البيوت تجاه أنفسهن وأولادهن وأزواجهن . (٢)

* وعندما وقع زلزال عنيف بتركيا ، انتهز مناسبة هذا الحدث المروع لتوجيه الناس وارشادهم ، مبتدءا كلامه بقول الله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالا السورة) ، فيبين أن هذا الزلزال هو بما كسبت أيدي الناس ، وبعدهم عن الله تعالى خاصة وهم فى شهر كريم هو شهر رمضان ، وبين الحكمة من نزول مثل هذا البلاء فى بلاد الاسلام وعدم نزوله فى بلاد الكفرة ، وناقش الملحدين فى فلسفتهم المادية لوقوع الحدث ، كما تعرض لمسألة إصابة الأطفال الذين لم يقترفوا ذنبا ، وقضية خصوص العقاب وعمومه ، ولماذا تقع مثل هذه الكوارث فى بلاد بعينها ... كل هذا من خلال أسئلة سبعة طرحها وأجاب عنها .. ويقول فى السؤال السابع والأخير منها :

" كيف يفهم بأن هذه الحادثة الأرضية متوجهة بالذات الى مسلمى هذه البلاد أى أنها تستهدفهم ؟ ولماذا تقع بكثرة فى جهات "أزمير" و "أرزنانج" .

الجواب : إن هناك أمارات كثيرة على أن هذه الحادثة استهدفت أهل الايمان ، إذ وقوعها فى قارس الشتاء وفى ظلمة الليل ، وفى شدة البرد ، وخاصة فى هذه البلاد التى لا تحترم شهر رمضان ، واستمرارها الناشئ من عدم اتعاظ الناس منها ، ولإيقاظ الغافلين من رقدتهم بخفة .. وأمثالها من الامارات تدل على أن هذه الحادثة استهدفت أهل الايمان ، وأنها تتوجه اليهم وتزلزلهم بالذات لتدفعهم الى اقامة الصلاة والدعاء والتضرع اليه سبحانه .

(١) المصدر السابق . ص ١٠٧ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٣٨ - ١٣٩ .

أما شدة هزتها في "أرزنجان" المنكوبة ، فلها وجهان :

الأول : أنها عجلت بهم تكفيرا عن خطاياهم الطفيفة .

الثاني : يحتمل انها ضربت صفتها أولا في تلك الأماكن ، حيث أسس أهل الزندقة

مركزا قويا لنشاطاتهم ، منتهزين الفرصة من قلة عدد حماة الاسلام الأقوياء وحفظه الايمان الأصلاء ، أو لكونهم مغلوبين على أمرهم ... (١)

ثانيا : إلقاء الخطب (٢)

الخطبة ، ولا سيما خطبة الجمعة وسيلة فاعلة ذات تأثير كبير في حياة المسلمين ، سمي يومها يوم الجمعة لاجتماع الناس والتفافهم حول الامام حين يعتلى المنبر بأذان صاغية وقلوب واعية حاضرة ، يستمعون لنصائحه ومواعظه فيخرجون من المسجد وقد ازدادوا ايمانا مع ايمانهم ، وامتألوا حماسة للاسلام وغيره عليه . يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ...) (٣)

من هنا نالت الخطبة في الاسلام مكانة عالية يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : " الخطابة في الاسلام مظهر الحياة المتحركة فيه ، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب الى قلب ، ويثب من فكر الى فكر . وينتقل مع الزمان من جيل الى جيل ومن المكان من قطر الى قطر ... وذلك هو السر في أن نبي الاسلام كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ، ويخطب أو يثيب عنه أميرا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة . " (٤)

(١) الكلمات ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) الخطبة توجه وارشاد ، غير أني أفردتها بالذكر لأهميتها في الاسلام قديما وحديثا ، فهي وسيلة قائمة بذاتها .

(٣) الجمعة : (٩) .

(٤) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣٠٦ دار الكتب الحديثة . الرابعة . ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

عنم النورسى رحمه الله ذلك . فاستغل الخطبة لتكون وسيلة من وسائله في الدعوة الى الله تعالى .. وتعد خطبته التي ألقاها في المسجد الأموى بدمش (١٩١١م) خير معبر على ذلك ، فقد حضرها ما يقرب من عشرة آلاف مصر بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام الذين أصروا على حضوره الى دمشق وإلقائه الخطبة هناك^(١) ، وسميت بالخطبة الشامية .

وقد وجه الخطبة بالعربية الى أبناء الشام خاصة والعالم الإسلامى عامة . وشخص فيها الداء الذى أصاب الأمة ، ووصف العلاج الناجح لذلك من صيدب القرآن الكريم على حد تعبيره ، وهى خطبة مطولة تصلح أن تكون محاضرة .

يقول فى بدايتها بعد أن ذكر المقدمة :

” أما بعد :

فيا إخوانى العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس فى هذا الجامع الأموى إننى ما سعدت هذا المنبر وإلى هذا المقام الذى هو فوق حدى ، لأرشدكم فهذا أمر فوق طوقى . إذ ربما فيكم ما يقارب المائة من العلماء الأفاضل . فمئلى معكم كمئ صبى يذهب إلى المدرسة صباحاً ثم يعود فى المساء ليعرض ما تعلمه على أبيه . ابتغاء تصحيح أخطائه والتلطف فى تصويبه وإرشاده .

فشاننا معكم شأن الصبيان مع الكبار ، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم اساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام . وها أنذا اعرض بعض ما تعلمته على اساتذتى . لقد تعلمت الدروس فى مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية ، وعلمت فى هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض ، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى فى الوقت الذى طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل وتلك الأمراض هى :

أولاً : حياة اليأس الذى يجد فىنا أسبابه وبعثه .

ثانياً : موت الصدق فى حياتنا الاجتماعية والسياسية .

ثالثاً : حب العداوة .

(١) أنظر صيفى الإسلام . ص ٤٨١ .

رابعاً : الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

خامساً : سريان الاستبداد ، سريان الأمراض المعدية المتنوعة

سادساً : حصر الهمة في المنفعة الشخصية .

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة ، أبين ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم - الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية - أبينها بست كلمات إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها . " (١)

ثم أخذ في الحديث عنها كلمة كلمة بادئاً بالأمل ، ومنتھياً بالشورى .. (٢)

قد مر في الباب الماضي ذكر ما تضمنته الخطبة إجمالاً . وقد طبعت الخطبة وأقبل الناس على شرائها وقرانها بلهفة حتى نفذت طبعة الأولى في غضون أيام قليلة ، فأعيدت طباعتها مرة أخرى ، ثم ترجمت إلى تركية . (٣)

ثالثاً : المحاورات والمناظرات

المحاورات والمناظرات إحدى وسائل الدعوة التي يقصد من ورائها إقناع عاوية المحاور أو المناظر - واحداً أو أكثر - بالشيء المحاور عليه أو المناظر شأنه بحيث ينفض المجلس وقد اتفق الطرفان على أمر سواء ، أو على إيجاد خطوط مشتركة متفق عليها بينهم . ويقصد من ورائها أيضاً إلزام الخصم المعاند - إسلام بالحق وذلك بإقامة الحجة عليه حتى لا يتمادى في غيئه وافترائه على إسلام ودعاته .

وهذه الوسيلة قديمة حديثة معاً ، وهي لهذا ضرورية لا سيما في عصر حورسى - وفي هذا العصر - الذي كثر فيه لغط الملحددين على الإسلام والمسلمين . فكان لا بد من وجود الشخصية التي تملك من المؤهلات العقلية والعلمية ما يردع سأل هؤلاء ويوقفهم عند حدودهم .

(١) صيقل الإسلام ص ٤٩١-٤٩٢ .

(٢) أراجع صيقل الإسلام ص ٤٩٢-٥١٥ .

(٣) أنظر صيقل الإسلام مقدمة المترجم للخطبة . ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

وكان النورسى رحمه الله فارساً فى هذا الميدان الذى استغله ليكون أحد و...
فى الدعوة إلى الله تعالى إقناعاً للآخرين ، أو دفاعاً عن الإسلام والزام الخصم
بما أثاروا من عبار الشكوك حوله . فكانت له حوارات ومناظرات كثيرة ، خدمت
فى الظروف الحالكة التى مرت بها تركيا حين تسلط عليها الكماليون ، رغم
تعرض له من سجن ونفى . من ذلك :

* حواراه مع وزير الداخلية على عهد السلطان عبد الحميد الثانى والذى سبق ذكره
فى الباب الماضى .

* حواراه مع مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعى بشأن اتواع العالمى
، وما تتعرض له الدولة العثمانية من هزات ، وكذلك الصحوة الإسلامية التى
بشر بها ، فافتتح المفتى بكلامه وأثنى عليه أمام من أرادوا الإيقاع بينهما ، وقد
سبق ذكر الحوار فى الباب الماضى أيضاً .

* وحواره مع خال القيصر الروسى " نيكولا نيكولا فيج " والذى سبق ذكره فى
الباب الماضى كذلك .

* وحواره مع حسين باشا رئيس إحدى العشائر الكردية للاشتراك فى ثورة الشيخ
سعيد بيران ، وسبق هو الآخر فى نفس الباب المذكور .

* وكذلك ما دار بينه وبين رؤساء العشائر الكردية والتركية حول أمور سياسية
 واجتماعية وعلمية متعددة ، لتحطيم قيود اليأس والقنوط وإشعال بصيص الأمر
 ويريق الرجاء فى نفوسهم ، ووضع الضوابط الشرعية حتى يمكن وزن الأحداث
 بعقلية إيمانية متوازنة هادئة بعيدة عن الانفعالات وردود الفعل التى لا تثمر فى
كثير من الأحيان .^(١)

ومما دار بينهم وبينه بشأن الحرية وضوابطها :

" س : لقد فسروا لنا " الحرية " تفسيراً خاطئاً سيئاً ، وكأن الانسان مهما فعل - فى

(١) انظر صيقل الإسلام ص ٣٨٧-٣٤٥ .

كنف الحرية - من سفاهات وردائل وفضائح لا يؤاخذ عليها ما دام لم يضربها الناس
... هكذا أفهمونا الحرية ، أهي كذلك ؟

ج : إن الذين فسروها هكذا ، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم وردائيلهم على رؤوس
الأشهاد ، فهم يهذرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان ، لأن الحرية الحسنة ما
هي إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة والمترينة بفضائلها ، وليست تلك التي في السفاهة
والردائل .. بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني ، ووقوع في أسر النفس الأمارة
بالسوء .

إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد ، ومن شأن
الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين .

على أن كمال الحرية ، أن لا يتفرعن ، وأن لا يستهزىء بحرية غيره ، إن
المراد حق ، لكن المجاهدة ليست في سبيلها .

س : كم رأينا من لا يفسر الحرية كما تفسرها أنت ، مع أن أفعال أعضاء من " جون
تورك " تخالفك في التفسير ويناقض قولهم قولك ، إذ أن بعضهم يفترون في
رمضان ويشربون الخمر ويتركون الصلاة ...

فبيهاهت أن يصدق مع الأمة من خان الله ، ولم يصدق في امتثال أمره تعالى ؟ .

ج : أجل ، نعم ! لكم الحق ... ولكن الحمية شيء والعمل شيء آخر ، وعندى أن
القلب أو الوجدان الذي لم يتزين بالفضائل الإسلامية لا ترجى منه الحمية الحقة
والوفاء الصادق والعدالة الخالصة .. ولكن لأن الصنعة غير الفضيلة ، فقد يقوم
الفاسق برعى الأغنام رعيًا جيدًا ، وقد يصلح شارب الخمر ساعة بإتقان حين لا
يكون سكران ، ولكن وأسفى على ندرة الذين جمعوا النورين معاً : نور القلب ونور
الفكر ، أو بعبارة أخرى الفضيلة والصنعة ، وهم نادرون لا يكفون لملء الوظائف ،
فإن إما الصلاح وإما الطهارة ... وإذا تعارضا فالطهارة مرجحة في الصنعة .

واعلموا كذلك أن السفهاء التاركين للصلاة ، ليسوا بـ " جون تورك " بل هم "

جورن الترك " أى فاسدون ، فهم روافض " جون تورك " مثلما لكل شيء

روافضه ، فروافض " الحرية " هم السفهاء . (١)

وسياتى بعد قليل طرف آخر من هذا الحوار فى حينه إن شاء الله .

* ويدخل فى هذا الإطار - إطار الحوار والمناظرة - ما جاء فى رسالة السنوحت تحت عنوان : " حوار فى رؤيا " . حيث تمثل مجلساً أعضاؤه السلف الصريح وممثلون من العصور المختلفة ، من كل عصر ممثل ، وهو مجلس رمزى لبحر مصير العالم الإسلامى وما آلت إليها الأحوال فى الدولة العثمانية ، ودار الحوار فيه بينه وبين أحد الأعضاء . (٢)

* كما يدخل فيه قدر كبير من الدفاعات والمرافعات التى قدمها والتى مر الحديث عنها ، لأن بعضها كان حواراً بينه وبين ممثلى المحاكم .

إن هذا كله إن دل على شيء ، فإنما يدل على قوة شخصية النورسى وغازارة علمه ، وحضور بديهته ، وغيرته الكبيرة على الإسلام ، لدرجة أنه لم يبد بالكبراء من رجالات الحكم والإدارة على عهده ، ولم يعبا بتهديداتهم ، ولم يتأثر بما صنعوه معه من النفي والسجن .

رابعاً : السعي فى إنشاء المدارس والجامعات

المدارس - إن أحسن توجيهها - وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، فهى القلعة العلمية التى ينشأ فى داخلها الجيل المسلم نشأة منهجية تربوية عصرية تناسب ظروف العصر الحاضر ومتطلباته ، على أيدي علماء متخصصين ودعاة إلى الله صادقين . كى يحل النور محل الظلام وينتشر العلم مكان الجهل والإيمان مكان الالحاد ، فرسالتها إذن ذات شقين :

الأول : إعداد الجيل الدعوى إعداداً سليماً .

الثانى : نشر نور المعرفة النافعة بين أوساط الشعب .

(١) صيقل الإسلام ص ٣٩٢-٣٩٣ .

(٢) انظر صيقل الإسلام ص ٣٥٥-٣٧٣ .

عرف النورسي رحمه الله قدر هذه الوسيلة ، فسعى لتحقيقها منذ شبابه وبذل جهوداً مضعية في سبيل تحقيق هذا الأمل .

ققد سبق أنه أثناء إقامته في " وان " قرأ في انصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطانية " غلانسون " للنواب في مجلس العموم البريطاني عن القرآن الكريم ، فصمم بينه وبين نفسه على تكريس حياته لخدمة هذا الكتاب العظيم وربط المسلمين به .. ونهَذَا قال : " لا يرهمن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ، ولا يمكن إطفاء نورها . " (١)

لذلك قرر إنشاء جامعة اسلامية في شرق الأناضول على غرار جامعة الأزهر لنقوم بدورها في خدمة الإسلام ورد هجمات الإلحاد بكل صنوفه في أواسط آسيا ، ولم ينقطع عمله في إنشائها ، بل ظل يطالب بها ، ويسعى في ذلك في الدولة العثمانية وبعد قيام الجمهورية العلمانية حتى وفاته ، على المستوى الرسمي والشعبي على السواء .

قال في رسالته التي بعث بها إلى رئيس الجمهورية " بيار " ورئيس الوزراء " مندريس " : " إن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا ، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرارها ، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا . وذلك لتلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والنقفاس وتركستان وكردستان ، وذلك لأجل انماء الروح الاسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة ، فتتال شرف الامتثال بالدستور القرآني (إنما المؤمنون إخوة) (الحجرات : ١٠) وكذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع

الدين ، وتتصافح الحضارة الأوروبية مع حقائق الاسلام مصالحة تامة . ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول .

لذا بذلت جهدي كله لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والنقفاس وتركستان ، وأسميتها " مدرسة الزهراء " . فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه

(١) بين الثرمال سعيد النورسي . تصالحي ص ٢٥

فمثلما بذلت جهدى فى سبيل إنشاء هذه الجامعة بذلته فى سبيل نشر رسالة النور . هذا وإن السلطان رشاد رحمه الله هو أول من قدر أهمية إنشاء هذه الجامعة ، فخصص عشرين ألف ليرة ذهبية لإنجاز بنائها فقط . وحينما رجعت من الأسر فى الحرب العالمية الأولى وافق ثلاثة وستون ومائة نائباً - من بين مائتين - فى البرلمان ، ووقعوا على تخصيص مائة وخمسين ألف ليرة - بقيمة الليرة الثمينة آنف - للغرض نفسه . وكان مصطفى كمال من ضمنهم . وهذا يعنى أنهم أولوا لإنشاء هذه الجامعة أهمية أكثر من أى شىء آخر ، بل حتى وقّع ذلك القرار المتغربون من النواب الذين لا يهتمهم أمر الدين من قريب أو بعيد والذين قطعوا صلتهم بالأعراف الإسلامية سوى اثنين منهم . " (١)

وقال : " إن هذه الجامعة حجر الأساس لإحلال السلام فى الشرق الأوسط وقلعته الحصينة ، وستثمر فوائد جمة لصالح هذه البلاد والعباد بإذن الله . إن العلوم الإسلامية ستكون أساساً فى هذه الجامعة ، لأن القوى الخارجية المدمرة قوى إحدانية ، تمحى المعنويات ، ولا تقف تجاه تلك القوى المدمرة إلا قوة معنوية عظيمة فيها تتفلق على رأسها كالقنبلة الذرية " (٢) . وكانت له جولاته المتعددة خاصة فى شرق الأناضول داعياً إلى الله تعالى ، ومطالباً مساعدتهم إياه فى إنجاز هذا المشروع الإسلامى العظيم ، ودار بينهم وبينه حوار مطول نقتطف منه ما يتعلق بمدرسة الزهراء .

" س: أفصح عن مقصدك ولا تتركه مبهماً . ماذا تريد ؟ .

ج: نطلب تأسيس " مدرسة الزهراء " - شقيقة الجامع الأزهر - التى تتضمن الجامعة . نطلب تأسيسها فى " بتليس " مع رفيقتها فى كل من " وان " و" ديار بكر " جناحى بتليس ، اطمأنوا إننا - نحن الأكراد - لسنا كالأخرين - فنحن نعلم يقيناً أن حياتنا الاجتماعية تنشأ من حياة الأتراك وسعادتهم .

س: كيف ؟ مثل ماذا ؟ ولم ؟ .

ج : إن لها بعض شرائط تربوية ، ومجارى واردات ، ومحاسن ثمرات ...

(١) الملاحق ص ٤١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٩ .

س: ما شرائطها؟ .

ج: ثمانية :

أولها : التسمية باسم " المدرسة " لأنه مألوف ومأنوس وجذاب ، ومع كونه عنواناً اعتبارياً إلا أنه يتضمن حقيقة عظيمة مما يهيج الأشواق وينبه الرغبات .

ثانيها : مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية مع جعل اللغة العربية واجبة ، والكربية جائزة ، والتركية لازمة .

س: ما الحكمة فى هذا المزج ، حتى تدعو إليه دائماً وتدافع عنه ؟

ج : لتخليص المحاكمة الذهنية (العقلية) من ظلمات السفطة الحاصلة من أربعة أنواع من الأقيسة التمثيلية الفاسدة ، وإزالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي .

س: كيف ؟ مثل ماذا ؟

ج: ضياء القلب هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو العلوم الحديثة ، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ، فتتربى هممة الطالب وتعلو بكلا الجناحين ، وبافتراقهما يتولد التعصب فى الأولى ، والحيل والشبهات فى الثانية .

الشرط الثالث : انتخاب المدرسين فيها ، إما من العلماء الأكراد من ذوى الجناحين أى الموثقين والمعتمدين من قبل الأكراد والأترك ، أو ممن يعرفون اللغة المحلية ليستأنس بهم .

رابعها : الإستشارة باستعداد الأكراد وقابلياتهم ، وجعل صياوتهم وبساطتهم نصب العين ، وكم من لباس يستحسن على قامه ، يستبج على أخرى ، وتعليم الصبيان قد يكون بالقسر أو بمداعبة ميولهم .

الشرط الخامس : تطبيق قاعدة " تقسيم الأعمال " بحذافيرها ، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مهرة مع أنها مداخل ومخارج بعضها ببعض .

الشرط السادس : إيجاد سنبل بعد تخرج المداومين وضمنان تقدمهم واستفاضتهم ، حتى يتسألوا مع خريجي المدارس العليا، ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا والمعاهد الرسمية ، وجعل امتحاناتها كامتحانات تلك المدارس منتجة ، دون تركها عقيمة

الشرط السابع : اتخاذ دار المعلمين - مؤقتاً - ركيزة لهذه المدرسة ودمجها مع ليسرى الانتظام والاستفاضة من العلم من هذه إلى تلك ، والفضلية والتدين من تلك إلى هذه ، حتى يكون كل منها ذا جناحين بالتبادل . " (١) إلى آخر الأسئلة .
وعندما سمع بإنشاء مدرسة للتدريب على الإمامة والخطابة والوعظ بإسبرطة .
حضهم على إنشاء مدرسة نورية شبيهة رسمية بجوارها (٢) ، حتى يجمع الإمام والخطيب مع القول والعمل ، فيكون تأثيره فى الناس أقوى والاستجابة له ستكون أسرع ، وقد قيل : حال رجل فى ألف رجل خير من مقال ألف رجل فى رجل .

خامساً : المساهمة فى نشاطات الجمعيات والمافل

العلمية الخادمة للإسلام

لم يدع الأستاذ النورسى وسيلة تقوم بخدمة للإسلام إلا وكان له دور فيهما
إما بالمساهمة فى الإنشاء أو المشاركة فى أداء الخدمة .

* فقد ساهم فى تكوين جمعية " الاتحاد المحمدى " التى تشكلت - كما سبق - عام ١٩٠٩ م ، وأعلن عنها فى اجتماع حاشد فى جامع " أياصوفيا " وألقى النورسى
خطبة رائعة .

يقول النورسى فى رده على الأوهام التسعة التى ردها بعض الكتاب على
الاتحاد المحمدى :

" عندما نقول الاتحاد المحمدى الذى هو إتحد الاسلام " ، فالمراد هو الاتحاد
الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل . وليس المراد جماعة فى
استانبول أو فى الأناضول ، إذ أن قطرة من ماء تحمل صفوة الماء ، فلا أحد
خارج هذا الاتحاد ، ولا يخصص هذا العنوان بأحد . وتعريفه الحقيقى هو :
إن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال

(١) صيقل الإسلام ص ٤٢٧ - ٤٢٩ .

(٢) أنظر الملاحق ص ٣٨١ .

مركزه : الحرمان الشريفان .. وجهة وحدته : التوحيد الالهي .. عهده وقسمه :
يمان .. نظامه الداخلي : السنة النبوية الشريفة .. قوائمه : الأوامر والنواهي
شريعة .. مقر اجتماعاته : جميع المدارس والمساجد والزوايا .. ناشئ أفكار تلك
جماعة نشراً خالداً إلى الأبد : جميع الكتب الاسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم
تفسيره (ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا) وجميع الصحف الدينية
جرائد التزيهة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله .. ومنتسبوه : جميع المؤمنين ..
رئيسه : فخر العالمين ﷺ . (١)

وقتن : " إن مشربنا : محبة المحبة ، ومخاصمة الخصومة ، أى إمداد جنود المحبة
من المسلمين ، وتشيت عساكر الخصومة فيما بينهم .

- مسلكنا : فهو التخلق بالأخلاق المحمدية ﷺ وإحياء السنة النبوية . ومرشدنا في
هذه الحياة : الشريعة الغراء .
سيفنا : البراهين القاطعة وهدفنا : إعلاء كلمة الله .

إن كل مؤمن هو منتسب - معنى - لجماعتنا ، وصورة هذا الانتساب هو
تخريم القاطع على إحياء السنة النبوية في عالمه الخاص ، فنحن ندعو باسم الشريعة
وتلك المرشدين وهم العلماء والمشايخ من طلاب العلوم إلى الاتحاد قبل
من أحد سواهم . (٢)

يتبين للقارئ أن هذه الجمعية قامت على فكرة الجامعة الاسلامية التي تبناها
سلطان عبد الحميد الثاني والتي كان الغرض منها جمع المسلمين حول كلمة سواء .
* وسبق أنه اشترك قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى في عضوية " الاتحاد
الإسلامي " ضمن مؤسسة " تشكيلات خاصة " التي شكلت بأمر السلطان " رشاد "

١ : صيقل الاسلام ص ٥٣٣-٥٣٤ .

٢ : المصدر السابق ص ٥٣٢ .

وظيفتها المحافظة على وحدة أراضى الامبراطورية ومحاربة أعدائها. وكان -
بين أعضائها كثير من الكتاب ورجال الفكر، وكان النورسى من أنشطهم. (١)

* كما سبق أنه عُين عقب عودته من الأسر فى الحرب العالمية الأولى فى *

الحكمة الإسلامية " باستانبول عام ١٩١٨م ، وكانت العضوية فيها لا توجه
للأشخاص والعلماء البارزين ، ولكنه بعد فترة استعفى من العضوية ، ولأنه كان
بحاجة إلى الراحة بسبب ما قاساه من آلام أيام الأسر . (٢)

سادساً: عقد المؤتمرات والندوات

المؤتمرات والندوات وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، تعرب
بالإسلام ، وتزيل الغبار الذى أثاره الحاقدون حول تعاليمه السمحة ، كما أنها تخدم
أنصاراً جدداً يعملون لصالح الدعوة .
لأجل هذا حرص الأستاذ النورسى على الاستفادة من هذه الوسيلة منذ قده
مبكرة من قيامه بالدعوة .

* فعندما أعلنت المشروطية الثانية فى الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م ، صرف حده
همه - كما سبق - إلى إلقاء الخطب فى المؤتمرات مبيناً فيها مفهوم الحرية فى
الاسلام ، وتأثير الاسلام فى الحياة السياسية والاجتماعية وغيرهما ، ومطبة
بتحكيم الشريعة الغراء ، ومحذراً من التفسير الخاطيء للحرية ، حيث شعر به
هناك محاولات خبيثة وأيد خفية تحاول أن تستفيد من هذه " المشروطية " لخدم
الأغراض المناهضة للإسلام . (٣)

* وتنتقل فى شرق البلاد وغربها خاصة بعد مجيء الحزب الديمقراطى إلى الحكم
فيعقد المؤتمرات للدعوة إلى الله تعالى ، وقد قال عن نفسه :

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورسى ص ٤٥ الصالحى .

(٢) انظر بديع الزمان سيد النورسى . الصالحى . ص ٤٥ .

(٣) انظر بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى . ص ٣٠-٣١ . النورسى متكلم العصر الحديث .

د. محسن عبد الحميد . ص ١٦ .

عن الذين لا يعرفوننى فى أثناء تجوالى بنظرون إلى ملابسى وبحسبوننى تاجرا ،
وسألون .

- أنت تاجر ؟

- نعم ، وكيميائى كذلك !

- كيف ؟

- هناك مادتان ، أمزجهما معا ، فيولدان ترياقاً شافياً ، وضياء كهربائياً .

- ين هما ؟

- فى سوق المدينة والفضيلة ، صندوق يمشى على رجلين مكتوب عليه : الإنسان
فيه جوهر ساطع أو أسود قاتم وهو القلب .

- وما المادتان ؟

- الإيمان والمحبة والوفاء والحمية .^(١)

3: قد سبق أنه سافر الى شرق الأناضول ، فعقد هناك مؤتمراً موسعاً للعشائر
كردية دارت بينه وبينهم فيه حوارات حول أمور شتى فى الإسلام ، واقتطفنا
ضرفاً منه .

سابعاً : كتابة المقالات

إذا كان للمقولة تأثيرها الأنى فى الناس ، فإن للكلمة المكتوبة تأثيرها الباقى
رحيل صاحبها ، وبالكثافة كان هذا التراث العلمى الضخم الذى تركه لنا الآباء
بعده الزمن ، فلا تزال نهل من بحره الزاخر ، وستظل إلى أن تقوم الساعة إن
شاء الله تعالى .

عرف النورسى رحمه الله ذلك ، فاستغل الكتابة لتكون هى الأخرى وسيلته
كلمة للكلمة المقولة فى الدعوة إلى الله تعالى .

فألف لأجل هذا الكتب ، حيث ألف كتاب " إشارات الإعجاز فى مظان
إيحاز " فى التفسير بالعربية أثناء جهاده كما سبق فى الباب الماضى . وألف كتاب
أشوى العربى النورى " بالعربية أيضاً بعدة بمدة وجيزة ، وتوالت كتابة

بقية الرسائل التي أملى كثيراً منها على تلاميذه كي يستسخوا منها سراً نسخاً أخرى لتداولها فيما بينهم ومدارسها . وقد جمعها الأستاذ إحسان قاسم الصالحى بعد ترجمها إلى العربية في ثمانية مجلدات .

ولم يفتح النورسى بهذا ، بل أضاف إلى ذلك كتابة المقالات فى الجرد والمجلات التى تيسرت له ، تعريفاً بالإسلام ورداً لهجوم العلمانيين المتهمين على الإسلام وشريعته .

فإنه عقب إعلان المشروطية الثانية ، كتب المقالات المتعددة عن الشريعة والحرية بجانب إلقاء الخطب . (١)

وكان من أسباب تقديمه للمحاكمة عام ١٩٠٩م فى حادثة العصيان المشهور - والتى سبق الحديث عنها فى الباب الماضى - كتابته فى جريدة " وولقان " - فى البركان - التى نشرت مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقى . (٢)

وقد كتب رداً على هجوم محرر فى جريدة حكومية على شعائر الإسلام أعلم أيها المحرر والخطيب العمومى بلسان الجريدة ! ، لك أن تتواضع وتهض نفسك وتعلن قصورك تنديماً .. ولاحق لك أن تتمرد وبالتجاهر بما يضاد شعيرة الإسلام ، فأين جازلك ذلك ، ومن وكلك ، وبأى حق تتجاسر على إعلان القصور الدينى - أى إشاعة شبهات باطلة حول الدين - بل إشاعة الضلالة بحساب المدة وباسم الأمة ، فتحسب الأمة جميعاً ضالين مثلك؟! .. فلا يجوز لأحد - فضوليد - أن يهضم نفس غيره حتى نفس أخيه ، فمن أين جاز لك أن تزيف عامة الأمة الإسلامية بإساءة الظن بهم بإعراضهم عن الشعائر الإسلامية ... ولاريب أن نشر ما لا يقبله جمهور المؤمنين فى الجرائد العمومية من المستحدثات دعوة إلى الضلالة ، فناشرها داع إلى الضلالة ، فلا يجاب بالضرب على فمه فقط ، بل يعنف بالأحد على يده . (٣)

وكان يقدم لرؤساء تحرير الجرائد النصائح بوضع الضوابط الشرعية

(١) انظر بنوع الزمان سعيد النورسى ص ٣٠-٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٤ .

(٣) المتنوى العربى ص ١٨٠ .

والآداب الإسلامية في الكتابة ، مع عدم الانسياق وراء العاطفة حرصاً على الاستمرار في خدمة الاسلام ، كما فعل مع رئيس تحرير جريدة " وولقان " الذي كان ينشر مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقي مثيراً بذلك عواطف الناس ، فكان الأستاذ نورسي يتردد إليه في إدارة الجريدة وينبئه على تهوره ، إلا أنه لم ينتفع بنصائحه .. فسأقه ذلك إلى الإعدام . (١)

ثامنا : الاشتراك في الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله تعالى أحد الوسائل التي تسير في خط متواز مع الدعوة لتسليمه مع أقوام لا يصلح لهم إلا ذلك ، وهو فريضة ماضية إلى يوم القيامة لا يقطعها أحد كائناً من كان ، لأنه السياج الذي يحمي الدولة المسلمة وقيمها من أي عداء أجنبي عليها . وإذا أهملت هذه الفريضة أو ألغيت كان ذلك إيذاناً بذل الأمة : يسقط هيبتها وتمزقها ، بحيث تصير لقمة سائغة يبتلعها الأعداء وتصير والعياذ بالله تعالى أثراً بعد عين ، وواقع العالم الاسلامي الآن يشهد بهذا .. والحق أن أستاذ النورسي الذي أعد نفسه لذلك في شبابه كما سبق في النشأة ، شارك بطلاً في ميدان الحرب مع الأعداء أيام كان الجهاد قائماً في الدولة العثمانية ، قبل أن تلغى خلافة الإسلامية والشريعة الغراء على يد الجمهوريين العلمانيين بقيادة أتاتورك .

ففي سنة ١٩١٢م قبيل نشوب حرب البلقان عين بديع الزمان قائداً للقوات خدانية - كما سبق - التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول . (٢)

وقد سبق أنه اشترك مع هيئة العلماء في إصدار فتوى الجهاد في سبيل الله عن الأعداء قبيل الحرب العالمية الأولى ، وعندما اندلعت الحرب ، ودخلت فيها دولة العثمانية ، حمل النورسي السلاح ، وأسرع إلى جبهة القتال - كما تقدم -

انظر صيقل الإسلام بهامشه . ص ٥٣٨ .

بديع الزمان سعيد النورسي . الصانحي . ص ٣٧ ، النورسي متكلم العصر الحديث .

د. محسن عبد الحميد . ص ٢١ .

حيث شكل في مدينة "وان" من طلابه ومن المتطوعين المدنيين فرقاً للجهاد وبدء التدريب على القتال ، وقد خاطب طلابه قائلاً لهم:

"تهبوا واستعدوا... إن زلزالاً شديداً أوشك على الأبواب "

وأشتهر طلابه بدقة التصويب والجرأة الكبيرة ،حتى إن عصابات الأرمب المتعاونة مع القوات الروسية كانت تتهيب لقاء هؤلاء المجاهدين .. وبين استطاعت الجيوش الروسية التي بلغت ثلاثة أضعاف الجيش العثماني الدخول في مدينة "أرضروم" ، كان سعيد النورس يقاتل هو وطلابه الجيش الروسى بكل ما أوتي من جهد ، وعندما دخلت القوات الروسية إلى مدينة "بنليس " كان النورسى وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة نادرة ، حيث جرى قتال شديد في شوارع المدينة وأزقبة ، إلا أن القوة الروسية كانت متفوقة إلى درجة كبيرة على القوة الصغيرة المدافع عن البلدة.

وخلال المعركة جرح سعيد النورسى جرحاً بليغاً وسقط في بركة للماء تحت أحد الجسور مع أحد طلابه . وبقي في تلك الحالة ثلاثين ساعة مغشياً عليه نتيجة استمرار النزف ... وعندما رأى تلميذه أن النزف المستمر والبرد الشديد سيقتضيان على الأستاذ ، ذهب وأخبر الجنود بالأمر .. فجاءوا وأخذوه أسيراً ، وأرسل إلى أحد معسكرات الأسرى في " قوصترما " في شرقى روسيا .

وفي أثناء الأسر حدث له موقفه مع خال القيصر الذى أظهر فيه عزيمته المؤمن الداعية المعتر بدينه ... واستمر في الأسر سنتين وأربعة أشهر وأياماً استطاع بعدها الهرب منه إثر حدوث الثورة البلشفية وما تبعها من اضطراب وفوضى . (١)

(١) انظر بديع الزمان . انصالحى ص. ٣٩-٤٢ وهو أمضى على فكر بديع الزمان سعيد النورسى وسيرته الذاتية . أديب إبراهيم الدباغ : ص ١٣ . كتاب المؤتمر انعالمي حول تجديد الفكر الاسلامي . سوزر . للنشر بالقاهرة . ١٩٩٣ م .

تاسعاً : الاتصال الشخصي " الدعوة الفردية "

الاتصال الشخصي أو الدعوة الفردية وسيلة قوية من وسائل الدعوة إلى الله تعالى وقد عرفت بأنّها : " ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص أو إلى فئة قليلة من الناس ، " (١)

وهذا النوع من الدعوة له تأثيره الكبير في المدعو ، إذ بواسطته يكون حوار النهادى البناء ، وتكون المتابعة والتدرج مع المدعو ، حتى ينتقل من حالته إلى هو عليها إلى حالة أفضل ، وربما يصير بالتدرج من الدعاة إلى الله تعالى ، فهذه الوسيلة لها دورها الواضح في التوريت الدعوى الصحيح ، ومن ثم الأنبياء وآبائهم ، ونبينا ﷺ وصحابته الكرام . (٢)

لهذا نرى الأستاذ سعيد النورسى - رحمه الله - يستغلها في دعوته إلى الله تعالى ، فتثمر معه الثمرة المرجوة .

* فقد استعملها مع طالب كردى من أبناء مدينة " وان " ، فحولته من حالته الفكرية المتردية إلى حالة فكرية مرضية .

يقول الأستاذ النورسى : " حينما كنت فى مدينة " وان " قلت لأحد طلاب الأكراد العيورين : لقد خدم الأتراك الإسلام كثيراً ، فكيف تراهم ؟ قال : إنى أفضل تركياً مسلماً على شقيقى الفاسق ، بل أرتبط به أكثر من ارتباطى بوالدى ولخدمته الإيمان حمة فعلية .

ومرت الأيام والسنون ، ودخل ذلك الطالب - أيام أسرى المدرسة الحديثة فى استبول . ثم قابلته بعد عودتى ، فلمست أن عرق القومية الكردية قد تحرك فيه . جراء الدعوى العنصرية التركية لدى بعض معلميه . فقال لى : إننى أفضل الآن كـ...ياً فاسقاً مجاهراً ، بل ملحداً على تركى صالح .. ثم جلست معه بضع جلسات

١ - عدة انداعية المؤلف ص ٢٦٢ مطابع إيك كوى سنتر الأولى . ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٢ - نظر عدة الداعية ص ٢٦٥ - ٢٧٩ .

فأنقذته بإذن الله ، فافتتح أن الأتراك هم جنود أبطال لهذه الأمة . " (١)

* وفي أثناء أسره في روسيا أيام الحرب العالمية الأولى ، أثر بسلوكه الحريص وبكلامه الهادئ الطيب في الضباط التسعين الذين كانوا مأسورين معه ، حتى ألجأهم مع مرور الأيام إلى احترامه وتقدير مبدئه الذي هو عليه . (٢)

* وبينما كان جالساً على حائط قلعة " قسطنوني " الأثرية متأملاً ، مر من هناك شخص سكير يترنح في مشيته ، سالكا الطريق المؤدى إلى بيوت الدعارة - التي أصبحت علنية - فوصل السكير إلى القرب من الحائط الذي يجلس عليه بديع الزمان ، وتسمر في مكانه ، لا يتقدم خطوة إلى الأمام ولا يتأخر خطوة إلى الوراء وهو يتطلع إلى فوق .. إلى العالم الجليل ، المتسربل بالملابس البيضاء فتطلع إليه بديع الزمان لحظة . ثم ابتسم له ، وسلم عليه ، ثم قال له : " ارجع يا أخى .. لا تذهب إلى هناك ! ، بل ارجع واغتسل وتب إلى الله ، وابدأ بالصلاة " نفذ هذا الصوت المملوء محبة وإشفاقاً إلى قلب السكير ، فلم يحس بالدموع تنهال على خديه من شدة البكاء ويرجع إلى بيته تائباً نادماً . (٣)

* وأثناء وضعه في سجن " دنيزلي " أثر بدعوته في من كانوا معه في السجن حتى نبذوا ما كانوا عليه ، وصاروا إخوة متحابين . يقول :

"ولقد حصل هذا فعلاً بين مسجونين يعادى بعضهم بعضاً في سجن " دنيزلي فأصبحوا بفضل الله إخوة متحابين بعد أن تلقوا دروساً من رسائل النور ، يرعدوا سبباً من أسباب براءتنا ، حتى لم يجد الملحدون والسفهاء من الناس بدأماً هذا التحابب الأخرى .. فقالوا مضطرين : ما شاء الله ... بارك الله !! وهكذا انشرفت صدور السجناء جميعاً ، وتنفسوا الصعداء جميعاً . " (٤)

(١) الملاحق ص ٤١٨ .

(٢) انظر للمعات ص ٤٣٢ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ٨٣ ، بديع الزمان سعيد النورسي مصطفى زكي العاشر ص ٧٧ .

(٤) الشعاعات . ص ٥٣٢ .

* وأثناء نفيه إلى مدينة " قسطنطينية " أثر في أفراد الشرطة المسؤولين عن حراسته بسلوكه وأقواله حتى صاروا أصدقاء أو فياء له ، كما أثر في من أتصل بهم من أبناء المدينة حتى غدوا من " طلاب النور " يبذلون ما في وسعهم لخدمة الإسلام

يقول رحمه الله : " فبينما كان اليأس يحيط بي من كل جانب ، إذ بالعناية الإلهية تغيت شيخوختي ، إذ أصبح أفراد الشرطة المسؤولون في ذلك المخفر بمثابة أصدقاء أوفياء ، حتى كانوا يخرجونني متى شئت للاستجمام والتجوال في سياحة حول المدينة ، وقاموا بخدمتي كأى خادم خاص ، فضلاً عن أنهم لم يصروا عليّ بلبس القبة مطلقاً . ثم دخلت المدرسة النورية التي كانت مقابل ذلك " المخفر " في " قسطنطينية " وبدأت بتأليف الرسائل ، وبدأ كل من : " فيضى وأمين وحلمى وصادق ونظيف وصالح الدين " ، وأمثالهم من أبطال النور يداومون في تلك المدرسة لأجل نشر الرسائل وتكثيرها ، وأبدوا في مذاكرتهم العلمية القيمة التي أمضوها هناك جدارة تفوق ماكنت قضيتها أيام شبابي مع طلابي السابقين . (١) لقد كان هذا التأثير السلوكي - الدعوة العملية - ديدنه الذي سلكه ، بل كان ديدنه في كل مكان حل فيه ، إذ كانت دعوته معه يحملها في قلبه وبجميع جوارحه .. يحكى الجندي " شوكت دمير آي " المكلف بنقل الأستاذ من " أسبارطة " إلى " بارالا " بالقارب الشراعى فيقول :

"كان الجو بارداً ، فالفصل شتاء ومياه البحيرة متجمدة هنا وهناك ، وأحد جدافى القارب فى المقدمة يكسر الثلوج بعضاً طويلة فى يده ، ويفتح بذلك طريقاً للقارب الشراعى .

بدأ الشيخ بديع الزمان بتوزيع بعض الزبيب اليابس وبعض الحلوى علينا ، كنت أتفحصه بدقة ، فوجدته هادئاً كل الهدوء إذ كان يتأمل فى البحيرة والجبال المحيطة بنا ... ولكون النهار قصيراً فقد أزف وقت صلاة العصر بسرعة أراد أن يصلّى واقفاً ، فوجهنا القارب باتجاه القلعة . سمعت صوتاً يقول :

(١) اللغات . ص ٤٠٣ .

الله اكبر ! لم أكنُ قد سمعت في حياتي كلها تكبيرة بهذه الرهبة والخشوع . شعرت بأن الشعْرَ في أجسادنا قد وقف . لم تكن حركاته وأطواره تشبه أطوار الشيوخ الذين عرفناهم .. كُنَّا نحاول جهدنا أن نبقى على القارب باتجاه القبلة . وعندما أنهى الشيخ صلاته ، التفت إلينا قائلاً : - شكراً لكم يا أختي ، لقد أتعبتكم!

كان شخصاً متواضعاً ودمت الاخلاق . (١)

لقد أثر الأستاذ النورسي في كل من اتصل بهم فتحولوا بفضل الله على يديه من حالتهم الإيمانية المتردية إلى حالة إيمانية أفضل وأحسن ... حتى أن السجن كان يتحول بعد فترة من وضعه فيه إلى مدرسة للعقيدة والدعوة ، وكان يطلق عليه اسم المدرسة اليوسيفية ، نسبة إلى يوسف عليه السلام . ولا ننسى أن الآلاف من " طلاب النور " الذين أكرمهم الله بنور دعوته على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم ، إنما هم من غرس يده ، وثمره الدعوة الفردية التي مارسها بنفسه أو مارسها بتوجيهه وإرشاده . تلاميذه الخُص الذين ساروا على منهجه .

عاشراً : دعوة غير المسلمين للإسلام .

دعوة غير المسلمين بهدف إدخالهم في دين الله تعالى وسيلة من وسائل الدعوة ، بها تتحقق عالمية هذا الدين الذي جاء نوراً وهدى لكل الناس في كل زمان ومكان كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (٢) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) .

ولهذا وجدنا النورسي - رحمه الله - لا يغفلها ، بل استعملها بغرض دخولهم في الإسلام عن طواعية واختيار ، وإنقاذهم من نار الله الحامية ، وضد عنصر جديد للإسلام ينتفع المسلمون به .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي ص ٥٩-٦٠ ، وانظر مجلة النور ص ١١ من مقالة أديب الدباغ . عند ١٠٠-١٠١ . ١٩٩٤م .

(٢) سبأ : (٢٨)

(٣) الأنبياء : (١٠٧)

* وقد مرّ بنا في فصل الأهداف أنه دعا بطريرك الروم " آثنوكراس " من خلال حوار لطيف دار بينهما إلى الاسلام ، وكان رد الرجل باعثاً على الأمل في هدايته للإسلام .

* ومرّ أيضاً أنه دعا اليهودي " عما نويل قره صو . " إلى الإسلام .. واعترف الرجل ببراعة النورسي وحكمته ، حتى كاد أن يدخله في الإسلام .
* كما مرّ أيضاً أنه دعا اليابانيين إلى الاسلام ، وعرفهم به وبمقاصده .

حادى عشر : مراسلة غير المسلمين

مراسلة غير المسلمين - هيئات وأشخاصاً - للتعريف بالإسلام ، وفتح باب الحوار معهم بما فيه مصلحة المسلمين ، على ألا يمس ذلك مبدئاً من مبادئ الإسلام ، أمر مطلوب .

لهذا وجدنا النورسي يستعمل هذه الوسيلة ، فراسل الأشخاص والهيئات غير الإسلامية للتعريف بالإسلام ، وفتح باب للحوار معهم ، والاتفاق على الأمور المشتركة التي تخدم أبناء الدينين ، لا سيما حول الاحاد الذي رفع عقيرته على زمانه ، ودخل كل مكان ، وهدد أتباع الملتين معاً .

وقد قال مخاطباً المتدينين النصارى الذين لا يظهرون للإسلام ولا للمسلمين عداوة : " لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سينفقون في آخر الزمان ، مستدين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك " - ندقة " ، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق خالص فيما بينهم وحده ، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين متدينين الحقيقيين من النصارى ، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات تبعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدى . " (١)

لهذا أرسل النورسي عام (١٩٥١م) إلى بابا الفاتيكان نسخة من كتاب " ذو نثار " مترجمة إلى الانجليزية وهو يتناول أصول العقيدة الإسلامية ، فرد عليه

البابا بواسطة "سكرتاريته الخاصة" برسالة شكر نصيها : " سيدى !، تلقينا كتابك المخطوط الجميل " ذو الفقار " بواسطة وكالة مقام البابوية باستيبول ، وتم تقديمه إلى حضرة البابا الذى رجانا أن نبلغكم بالغ سروره من هذه الالتفاتة الكريمة منكم . ودعوته من الله عز وجل أن يشملكم بطقه وفضله ، ونحن ننتهز هذه الفرصة لنبلغكم احتراماتنا " . (١)

هذه هى - حسب علمى - الوسائل التى استعملها الأستاذ النورسى فى دعوته ، وهى كما رأيت كثيرة ومتنوعة ، دلت على غزارة علمه وعمق فهمه واتساع أفقه ، وبصره بالواقع المحلى والعالمى الذى كان على زمانه ، كما دلت على غيرته على الدعوة وإحساسه بالمسؤولية تجاهها .

فماذا عن أسلوبه رحمه الله فى دعوته ؟

ذلك ما سنعرفه فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

(١) الملاحق ص ٣٤٦ ، وانظر مجلة النور ص ١١ العدد (١٠٤-١٠٥) ١٩٩٤م-١٩٩٥م .

الأسلوب في دعوة النورسي

سلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - في دعوته أسلوباً حكيماً " ناسب عصره الذي عاش فيه ، وبينته التي عجت بالفساد والشك والإلحاد . يقول :

" أما رسائل النور فهي فهي تعلم الحقائق الإيمانية العميقة جداً بأسلوب يفهمه كثر الناس في أقصر وقت " (١)

وقد أفصح عن مراده بالأسلوب الأمثل الذي يحدث التأثير المطلوب في الناس قدراً :

" مرادى بالأسلوب : قالب الكلام وصورته ، وآخرون يقولون غير هذا . وفادته البلاغية: التمام تفاريق القصة وقطعها المشتتة لتهتز القصة كلها ، بتحريك جزء منها حسب القاعدة : (إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه) . " (٢)

مكانة الأسلوب عند النورسي :

أعطى النورسي للأسلوب مكانة عالية فقال :

قد قيل : انظر إلى القول دون القائل ! ، ولكني أقول : انظر إلى من قال ؟ ولمن قال وفيم قال ؟ ولم قال ؟ ، إذ يلزم مراعاة هذه الأمور كمرعاة القول نفسه في نظر السامع ، بل هذا هو الألزم . " (٣)

١ - ملاحظ ص ٢٢١ .

٢ - سجل الإسلام ص ١٠١ .

٣ - سجل الإسلام ص ١١٥ .

وكان يرى أن الأسلوب ينبغي أن يكون فطرياً طبيعياً ، لا كلفة فيه .
تصنع ، حتى لا يضيع المقصود من الكلام ، كما ينبغي أن يرصع بفنون البلاغ .
على أن يكون ذلك بالقدر المطلوب ، يقول : " ! اللفظ يزين ولكن إذا اقتضته طبيعة
المعنى وحاجته .. وفصورة المعنى تعظم ، وتحظى لها مهابة ، ولكن إذا أذن -
المعنى ... والأسلوب ينور ويلمع ولكن إذا ساعده استعداد المقصود والتعب
يلطف ويجمل ولكن إذا تأسست على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب .. والخير
ينشط ويسيح ولكن إذا لم يؤلم الحقيقة ، ولم يتقل عليها ، وأن يكون مثلاً للحقيقة .
متسنبلاً عليها . " (١)

ويرى أن جمال الكلام إنما يكون بهذا الأسلوب الطبيعي المتنوع الذى يحـ
كوامن الخير فى العقل والقلب والوجدان ، ويستخرج به الداعية ما أراده -
مدعويه . يقول :

" إن حلل الكلام أو جماله وصورته : بأسلوبه ، أى بقالب الكلام .
إذ الأسلوب يتطور ويتشرب ويتشكل باتخاذ تلاحق قطع الاستعارة التمثيلية
المتراكبة من الصور ، الحاصلة بخصوصيات من تمايلات الخيال ، المتولدة بسـ
تلقيح الصنعة البيانية أو المباشرة أو التوغل أو دقة الملاحظة .. فالأسلوب بهذا قد -
الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة .. فكان المتكلم ينادى بإرادته -
تتبه العقل - فيوقظ المعانى الراقدة فى زوايا القلب المظلمة ، فتخرج حفاة عـ
وتدخل الخيال الذى هو محل الصور . فتلبس - المعانى - ما تجده من صور فى
خزينة الخيال تلك ، فتخرج بعلامة مهما قلت ، حتى قد تلف على رأسها منديلاً
تخرج لابسة نعل ، أو تخرج بأزرار أو بكلمة تدل على أنها تربت هناك .
فإذا أنعمت النظر فى أسلوب الكلام - الكلام الطبيعى الفطرى - ترى
المتكلم فى مرآة الأسلوب ، حتى كأن نفسه فى أنفاسه ونبراته ، وماهيته فى نفاثـ
وصنعتة ومزاجه ممتزجان فى كلامه ، فلو تخيلت الأمر هكذا لما عوتبت نـ
مذهب الخاليين . " (٢)

(١) نفس المصدر . ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٠٠ .

ودلل على كلامه من القرآن الكريم فى النبأ الذى أتى بيدهد سليمان عليه السلام من سبأ ، كيف وصف الذى علم القرآن وأبدع السموات والأرض ، إذ يقول الهدهد: (إنى رأيت قوما لا يسجدون لله) (الذى يخرج الخبأ فى السماوات والأرض).^(١)

فانظر كيف اختار من بين الأوصاف الكمالية ما يشير إلى هندسة الهدهد " (٢).

وأبان عن أمر مهم للدعاة ، هو أن العدة التعبيرية بما تشتمل عليه من أسلوب حسن إنما تأتى بالممارسة وكثرة المناظرات والمناقشات الهادفة والخادمة للإسلام ، وكذلك بالسياحات الفكرية التأملية . يقول :

" إن سلامة البيان وصحته : إثبات الحكم بلوازمه ومبادئه وبآلات دفاعه ، كالاتى : يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم ، وعدم إفساد راحته ، مع رعايته ، الرجوع إلى مبادئه لاستمداد الحياة .. وذلك بالتقيد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر فى رد الأوهام ودفع الشبهات .. أى أن الكلام شجرة مثمرة نضدت فيها أشواكها حمايتها من اجتناء ثمراتها والتجنى عليها .. فكان الكلام نتيجة لكثير من المناظرات والمناقشات وزبدة كثير من المحاكمات العقلية .. فلا يسترق منه السمع شياطين الأوهام ، ولا يسعهم النظر إليه نظرة سوء . لأن المتكلم قد أحاط بجهات كلامه الست . وشيد حوله سوراً ، أى جهزه بتقريب الموضوع أو المحمول أو بالتوصيف أو بجهة أخرى دفاعاً عن كل سؤال مقدر ، ووضعها فى نقاط يتوقع هجوم الأوهام . " (٣).

وقد أرشد الدعاة إلى مراعاة مقتضى الحال فى الأسلوب ، حتى يكون خطاب فى موضعه المناسب له ، فلا يبالغوا فى موضع لا يحتاج إلى المبالغة أو عكس ، الأمر الذى يؤدي إلى الإخلال بالموعظة فى النهاية . يقول :

" المبالغة تشوش الأمور وتبليها ، لأن من سجايا البشر : مزج الخيال بالحقيقة ، يحيل إلى الاستزادة فى الكلام فيما التزبه ، والرغبة فى إطلاق الكلام جزافاً فيما

(١) التمل : (٥٢) .

(٢) صيقل الإسلام . ص ١٠١ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٢ - ١١٣ .

يصف ، والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكى .. وبهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد ، ومن حيث لا يعلم يتولد النقصان من حيث يزيد ، وينجم الفساد من حيث يصلح ، وينشأ الذم من حيث يمدح ، ويتولد القبح من حيث يحسن .. وذلك لإخفاء من حيث لا يشعر - بالحسن الناشئ من الانسجام والموازنة (فى المقاصد) .
فكما أن الاستزادة من دواء شاف قلب له إلى داء ، كذلك المبالغة في الترغيب والترهيب ، المستغنى عنهما الحق ، كجعل الغيبة كالثقل أو إظهار السيء وقوفاً بدرجة الزنا أو التصديق بدرهم مكافئ لحجة .. وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يطلقها المبالغون ، إنما يستخفون بالزنا والقتل ، ويهونون شأن الحج فبناء على هذا : لابد أن يكون الواعظ حكيماً ، وذا دراية بالمحاكمات العتبية

نعم إن الواعظ الذين لا يملكون موازين ، ويطلقون كلامهم جزافاً ، قد حجب كثير من حقائق الدين النيرة .. فمثلاً : الزيادة التي زيدت فى معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة فى الكلام ، وهى أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت بعث الرسول ﷺ ثم رجع إلى السماء . هذه الزيادة ، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس ، مخيفة كنجم السهى ، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذى هو كالقمر مخسوفاً ، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين .^(١)
كما أرشدهم إلى عدم التركيز على سلبيات المخاطبين ، حتى لا يجرهم ذلك إلى تعدد والمكابرة ويتركوهم أداة طيعة لشيطان الإنس والجن يزينون له ماشاؤوا .
وبين أن عليهم التركيز على الجانب الإيجابى فيهم ، إذ النفوس تميل إلى هذا .
يقول : " نعم ! إن خدمة الدين وسوق الناس إليه إنما تكون بالحث على الالتزام ، وتذكير أصحابه بوظائفهم الدينية .. وبخلاف ذلك ، فإن مخاطبتهم بتملحدون ، يسوقهم إلى التعدى . " ^(٢)

(١) صيقل الاسلام ص ٤٦ .

(٢) صيقل الاسلام ص ٣٦٢ .

تأثير القرآن الكريم في أسلوب النورسي :

أخذ القرآن الكريم بلب النورسي - رحمه الله - فعاشه معاشة قلبية عقلية روحانية ، وجاءت رسائله كلها تفسيراً له - يقول :

" إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم ، وتفسير قيسم له ، وهى لمعة راقية من لمعات إعجازه المعنوي ، ورشحة .. من رشحات ذلك البحر ، وشعاع من كوكب الشمس ، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة ، وترجمة معنوية نابغة من عيوضاته ... " (١) .

لهذا جاء أسلوب النورسي متأثراً به ، لأنه يرى - وهو الحق - أن أسلوب القرآن الحكيم لا يضاهيه فى عظمته وبلاغته أسلوب آخر . يقول :

" نعم إن أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما هى عجيبة ومقنعة ، لم يقلد حداً قط ولا يستطيع أحد أن يقلده . فلقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوة أساليبه بسببته وغرابتة مثلما نزل أول مرة . " (٢) .

وقال عن بيانه :

" نعم إن بيان القرآن لهو فى أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب وأقسام كلام : كالترغيب والترهيب ، والمدح والذم ، والإثبات والإرشاد ، والإفهام والإفحام .

فمن بين آلاف أمثلة مقام " الترغيب والتشويق " سورة " الإنسان " إذ بيان القرآن فى هذه السورة سلس ينساب كالسلسيل ، ولذيذ كثمار الجنة ، وجميل كحلل تحدر العين .

ومن بين الأمثلة التى لاتحد لمقام " الترهيب والتهديد " مقدمة سورة " الغاشية " - بيان القرآن فى هذه السورة يؤثر تأثير غليان الرصاص فى صماغ الضالين ، ويحجب النار فى عقولهم ، وكالزقوم فى حلوهم ، وكلفح جهنم فى وجوههم ، ويضرب الشائك فى بطونهم .

الملاحق ص ٢٢٠ .

الكلمات ص ٤٣١ .

نعم ، إن كانت مأمورة العذاب جهنم (تكاد تميز من الغيظ) فكيف يشع
تهديد وترهيب أمرها بالعذاب ؟ .

ومن بين آلاف أمثلة " المدح " السور الخمس المستقلة بـ " الحمد لله " .
بيان القرآن في هذه السورة ساطع كالشمس مزين كالنجوم ، مهيب كالسحاب
والأرض ، محبوب مانوس كالملائكة . لطيف رعوف بالرحمة على الصغار في —
، وجميل بهيج كالجنة اللطيفة في الآخرة .

ومن بين آلاف أمثلة مقام " الذم والزرر " الآية الكريمة : (أوجب أهدك —
يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) . (الحجرات : ١٢)

تتهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مراتب وترجر عنه —
وعنف . " (١) وشرح في بيان ما اشتملت عليه الآية من أسلوب حكيم

وقال مبيناً مناسبته لكل عصر ومصر وكل طبقة :

" فإفاضته النورانية حسب درجة فهم كل عصر ، ومستوى أدب كل طبقة —
طبقاته ، وعلى وفق استعدادها ورتب قابليتها .

قبابه مفتوح لكل عصر وكل طبقة من طبقاته ، حتى كأن ذلك الكـ
الرحماني ينزل في كل مكان وفي كل حين ، فكلما شاب الزمان شب القـ
وتوضحت رموزه ، فذلك الخطاب الإلهي يمزق ستار الطبيعة وحجاب الأسبـ
فيفجر نور التوحيد من كل آية ، في كل وقت . رافعاً راية الشهادة : شهادة التوحـ
على الغيب .

إن علو خطابه يلفت نظر الإنسان ويدعوه إلى التدبر ، إذ هو لسان العـ
يتكلم بالذات مع عالم الشهادة . " (٢) وهكذا ..

ويوجه الأستاذ النورسي خطابه إلى الذين أعرضوا عن أدب القرآن التـ
من متقفي عصره ، واستبدلوا به الفلسفة المادية فاقتبسوا أدبهم منها ، محاولين حـ
المجتمع المسلم إلى محاكاة المجتمع الغربي في تفكيره وطرائق معيشته .

(١) الكلمات ص ٣٩ - ٤٤٠ .

(٢) الملاحق ص ١٨٤ .

لهذا وجدناه يعقد مقارنة بين أدب القرآن الذي لم يبرح الرسائل ، وأدب الحضارة الغربية بما فيها من كفر وإلحاد فيقول :

" لا تبلغ يد الأدب الغربي ذى الأهواء والنزوات والندماء ..

شأن أدب القرآن الخالد ذى النور والهدى والشفاء .

إذ الحالة التي ترصى الأنواع الرفيعة لتكاملين من الناس وتطمئنهم ، لا تسر أصحاب الأهواء الصبغانية وذوى الطباع السفهية ولا تسليهم ، فبناء على هذه الحكمة ، فإن ذوقاً سفيهاً سافلاً ، ترعرع في حمأة الشهوة والنفسانية ، لا يستلذ بالذوق لروحي ، ولا يعرفه أصلاً

فالأدب الحاضر ، المترشح من أدب أوروبا ، عاجز عن رؤية ما فى القرآن لكريم من لطائف عالية ومزايا سامية ، من خلال نظراته الروائية ، بل هو عاجز عن تذوقها ، لذا لا يستطيع أن يجعل معياره محكاً له . " (١)

م ذكر الميادين التي يجول الأدب فيها غالباً فقال :

" والأدب يجول في ثلاثة ميادين ، دون أن يحيد عنها :

ميادين الحماسة والشهامة ..

ميادين الحسن والعشق ..

يدان تصوير الحقيقة والواقع .. " (٢)

ما عن الأدب الغربى والميادين التي يتجول فيها ، فقد قال :

"الأدب الأجنبي :

فى ميدان الحماسة ، لا لينشد الحق ، بل يلقن شعور الافتتان بالقوة بتمجيده ور الظالمين وطغيانهم .

وفى ميدان الحسن والعشق ، لا يعرف العشق الحقيقى بل يغرر ذوقاً هوى عارماً فى النفوس . وفى ميدان تصوير الحقيقة والواقع ، لا ينظر إلى الكائنات لى أنها صنعة إلهية ، ولا يراها صبغة رحمانية ، بل يحصر همه فى زاوية طبيعية ويصور الحقيقة فى ضوئها ، ولا يقدر الفكاه منها ، لذا يكون تلقينه عشق طبيعية ، وتأليه المادة ، حتى يمكن حينها فى قرارة القلب ، فلا ينجو المرء

(الملاحق . ص ١٨٦ .

(المصدر السابق . ص ١٨٦ .

منه بسهولة .

ثم إن ذلك الأدب المشوب بالسفه ، لا يغنى شيئاً عن اضطرابات الـ
وقلقها الناشئة من الضلالة والواردة منها أيضاً ، ولربما يهدئها وينميها .

وفى حساباته أنه قد وجد حلاً ، وكان العلاج الوحيد ، وهو رواياته . وهى
فى كتاب .. ذلك الحى الميت .

وفى سينما .. وهى أموات متحركة .

وفى مسرح .. الذى تبعث فيه الأشباح وتخرج سراعاً من تلك المقـ

الواسعة المسماة بالماضي !

هذه هى أنواع رواياته .

وأنى للميت أن يهيب الحياة ! ..

وبلا خجل ولا حياء ! .. وضع الأدب الأجنبى لساننا كاذباً فى فم البشر .

وركب عيناً فاسقة فى وجه الإنسان .. وألبس الدنيا فستان راقصة ساقطة .

فمن أين سيعرف هذا الأدب ، الحسن المجرد .

حتى لو أراد أن يرى القارئ الشمس ، فإنه يذكره بممثلة شقراء حسناء .

وهو فى الظاهر يقول : " السفاهة عاقبتُها وخيمة ، لا تليق بالإنسان " ...

ثم يبين نتائجها المضرة ..

إلا انه يصورها تصويراً مثيراً إلى حد يسيل منه اللعاب ، ويفلت منه زـ

العقل ، إذ يضرم فى الشهوات ، ويهيج النزوات . حتى لا يعود الشعور ينـ

لشئء . " (١)

وأما أدب القرآن الكريم فى مقابل هذا الأدب الغربى الضار ، فيقول عنه :

"أما أدب القرآن الكريم :

فإنه لا يحرك ساكن الهوى ، لا يثيره ، بل يمنح الإنسان الشعور بنشـ

الحق وحيه ، والافتتان بالحسن المجرد وتذوق عشق الجمال ، والشوق إلى محـ

الحقيقة .. ولا يخدع أبداً .

(١) نفس المصدر ص ١٨٨

فهو لا ينظر إلى الكائنات من زاوية الطبيعة ، بل يذكرها صنعة إلهية ،
صبغة رحمانية ، دون أن يحير العقول .
عَن نور معرفة الصانع ..

ويبين آياته في كل شيء ..

والأدبان .. كلاهما يورثان حزناً مؤثراً . إلا أنهما لا يتشابهان .

فما يورثه أدب الغرب هو حزن مهموم ، ناشئ من فقدان الأحباب ، وفقدان
عالمك . ولا يقدر على منح حزن رفيع سام .

إذ استلهم الشعور من طبيعة صماء ، وقوة عمياء يملؤه بالآلام والهموم حتى
غمر العالم مليئاً بالأحزان ، ويلقى الإنسان وسط أجانب وغرباء دون أن يكون له حام
:إمالك فيظل في مأتمه الدائم ..

وهكذا تنطفئ أمامه الآمال .

فهذا الشعور الملىء بالأحزان والآلام يهيمن على كيان الإنسان فيسوقه إلى
ضلال ، وإلى الإلحاد ، وإلى إنكار الخالق .. حتى يصعب عليه العودة إلى الصواب
- بل قد لا يعود أصلاً .

أما أدب القرآن الكريم :

فإنه يمنح حزناً سامياً علوياً ، ذلك هو حزن العشاق ، لا حزن اليتيم .. هذا
حزن نابع من فرزاق الأحباب ، لا من فقدانهم ، ينظر إلى الكائنات ، على أنها
صنعة إلهية ، رحيمة ، بصيرة ، بدلاً من طبيعة عمياء . بل لا يذكرها أصلاً ، وإنما
من القدرة الإلهية الحكيمة ذات العناية الشاملة ، بدلاً من قوة عمياء .

فلا تليس الكائنات صورة مأتم موحش ، بل تتحول - أمام ناظريه - إلى
صدعة متحابة إذ في كل زاوية تجاوب . وفي كل جانب تجانب . وفي كل ناحية
تسر .. لا كدر ولا ضيق .

هذا هو شأن الحزن العاشقي .

وسط هذا المجلس يستلهم الإنسان شعوراً سامياً ، لا حزناً يضيق منه

صدر " (١)

ويضيف : " الأدبان كلاهما يعطيان شوقاً وفرحاً .

فالشوق الذى يعطيه ذلك الأدب الأجنبى ، شوق بهيج النفس ، ويسـ
الهوس .. دون أن يمنح الروح شيئاً من الفرح والسرور .
بينما الشوق الذى يهبه القرآن الكريم ، شوق تهتئز له جنبات الروح ، فتعـ
به إلى المعالى .

وبناء على هذا السر :

فقد نهت الشريعة الغراء عن اللهو ، وما يلهى .. فحرمت بعض آلات اللـ
وأباحت أخرى .
بمعنى :

أن الآلة التى تؤثر تأثيراً حزيناً قرآنياً وشوقاً تنزلياً ، لا تضر . يـ
إن أثرت فى الإنسان تأثيراً يتيماً ، وهيجت شوقاً نفسانياً شهوياً . تحرم الآلة .
تتبدل حسب الأشخاص هذه الآلة ..
والناس ليسوا سواء . " (١)

لهذا وجدنا الأستاذ النورسى متأثراً كل التأثر ، فى دعوته التى عرفناها -
خلال الرسائل بأسلوب القرآن الكريم ، بعيداً عن تأثير الفلسفة الغربية التى هيـ
على عقول معاصريه ، فكان لها تأثيرها الواضح فى قلب وعقل ووجدان المخاطـ
يقول :

" ثم إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء ، تسير على وفق خطى عـ
وأدلتة ونظراته ، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد
القلب وكشوفاته .. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا ، وامتزاجيهـ
وتعاون الروح واللطائف الأخرى ، فتخلق إلى أوج العلا ، وتصل إلى مراق لا يـ
إليها نظر الفلسفة المهاجمة ، فضلاً عن إقدامها وخطواتها ، فتبين أنوار الحـ
الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة . " (٢)

(١) المصدر السابق . ص ١٩٠ .

(٢) الملاحق . ص ١٠٥ .

تنوع الأساليب عند النورسي :

تنوعت الأساليب عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي واختلفت حسب المواقف والموضوعات .

فترى الأسلوب اللين الرقيق جدا ، حتى تكاد تشعر أنه همسات قلب أو أنفاس رقيقة حية ، وترى الأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية الفطرية ، الداعية إلى أعمال الفكر والعقل .

وترى في الدفاع - خاصة - الأسلوب القوي الهادر كالأمواج وكأنه نذير جيش . (١)

يقول : " إن مراتب الأسلوب متفاوتة جدا ، بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السحر ، وبعضها أخفى من دسائس دهاة الحرب في هذا الزمان ، لا يشمه إلا ذوو الدهاء ، كاستشمام الزمخشري من الآية الكريمة (من يحيى العظام وهي رميم) (٢) أسلوب من يبرز للميدان .. نعم - ، إن العاصي لله إنما يبارز خالقه ويحاربه معنى" (٣)

وليست هذه الأساليب والأجواء مفصولا بعضها عن بعض ، وإنما قد تجدها وتتجول فيها - في الرسالة الواحدة - فتستشق نسائم الربيع الإيماني مع إثارة كوامن التفكير وتحفيز قدرة التأمل وإقامة موازين علمية دقيقة ، وسياحات روحانية سامقة . ولكن الأسلوب نفسه يتغير من موضوع إلى آخر أيضا حسب "المخاطب" ، فترى الكلمة الثالثة والثلاثين بنوافذها الثلاث والثلاثين أيضا (٤) تخاطب الملحدين ، والمؤمن عندها موضوع في مقام الاستماع ، بينما رسالة المعراج - وهي الكلمة الحادية والثلاثون - (٥) تخاطب المؤمنين الذين التبس عليهم الأمر فاستبعدوا

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ١٥٨ ، بديع الزمان سعيد النورسي . مصطفى زكي العاشور . ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) يس : (٧٨) .

(٣) صيقل الإسلام ص ١٠١ .

(٤) أنظر صيقل الإسلام ص ٧٨٢ - ٨٣٣ .

(٥) أنظر المصدر السابق ص ٦٦٦ - ٧٠٦ .

المعراج ، والجاهد عندها في مقام الاستماع ، فأسلوب الخطاب في كل منهما قد اختلف .

جاء في مقدمة رسالة المعراج تعليل لهذا النمط من الأسلوب :

" إن رسالة المعراج نتيجة تترتب على أصول الإيمان وأركانه ، فهي لا يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية ، فلا تقام الحجج بإثبات المعراج بل للملحدين المنكرين لأركان الإيمان ، بل لا يذكر أصلا لمن لا يؤمن بالله جل وعز ولا يصدق بالرسول الكريم ﷺ أو ينكر الملائكة والسموات ، إلا بعد إثبات الأركان لهم مقدما ، لذا سنجعل المؤمن الذي ساورته الشكوك والأوهام فاستمع المعراج ، موضع خطابنا ، فنبين له ما يفيد ويشفيه بإذن الله .
ولكن نلاحظ بين آونة وأخرى ذلك الملحد الذي يتربص في موضع الاستماع ونسرد له من الكلام أيضا ما يفيد . " (١)

وقد قسم - بناء على هذا - الأساليب إلى ثلاثة أقسام ، لكل قسم منها طبيعتها ووجهته حتى تلتقى جميعها عند نقطة واحدة ، هي الهدف المراد .

١- الأسلوب المجرد السئس (٢) انبسيط : وهو موجه للقارئ أو المستمع العاقل يقول : " وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية ، فعليك بالأسلوب المجرد وحده ، فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصة ويجري على وفق السليقة حتى أنه يبين جماله الذاتي بسلاسته . " (٣)
وتعد المسألة السادسة من رسالة الثمرة مثالا على ذلك . يقول :

" جاءني فريق من طلاب الثانوية في "قسظموني" قائلين :

" عرفنا بخالفنا ، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا " .

فقلت لهم :

إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما ، ويعرف بالخالق الكريم

(١) الكلمات ص ٦٦٦ ، وانظر بديع الزمان سعيد انورسي . النصالحى . ص ١٥٩ .

(٢) انظر صيقل الإسلام . ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق . ص ١١٤ .

بلغته الخاصة ، فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين ...

فمثلاً لو كانت هناك صيدلية ضخمة ، فى كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية ، وضعت فيها بموازين حساسة ، وبمقايير دقيقة ، فكما أنها ترىنا أن وراءها صيدلياً حكيماً وكيميائياً ماهراً ، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التى تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء - نباتاً وحيواناً - وكل واحد منها فى الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيميائية دقيقة ، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة . فهذه الصيدلية الكبرى ترى حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال ، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها ، وانتظامها ، وعظمتها ، قياساً على تلك الصيدلية التى فى السوق ، على وفق مقاييس علم الطب الذى تقرؤونه .

ومثلاً : كما لو أن مصنعاً خارقاً عجبياً ينسج ألوفاً من أنواع المنسوجات المتنوعة ، والأقمشة المختلفة ، من مادة بسيطة جداً ، يرىنا بلا شك أن وراءه مهندساً ميكانيكياً ماهراً ويعرفه لنا ، كذلك هذه الماكينة الربانية السيارة المسماة بالكرة الأرضية ، وهذا الصنع الإلهى الذى فيه مئات الآلاف من مصانع رئيسية ، وفى كل منها مئات الآلاف من المصانع المتقنة ، يعرف لنا - بلا شك - صانعه ، ومالعه ، وفق مقاييس علم المكنائى الذى تقرؤونه ، يعرفه بدرجة كمال هذا المصنع الإلهى وعظمته قياساً على ذلك المصنع الإنسانى . (١)

إلى آخر الأمثلة الواقعية التى ضربها لهم ، والتى يجدون لها واقعاً ملموساً فى حياتهم . وقد أحدث هذا الأسلوب تأثيره الإيجابى فى نفوس الطلاب فأزاح عنهم غبار الشك الذى أثاره الملحدون فى المناهج الدراسية ، مما دعاهم إلى حمد الله تعالى وتقديم الشكر للأستاذ ، فانتزها فرصة لتثبيت جذور الإيمان فى قلوبهم بالضرب - كما يقال - على الحديد وهو ساخن ، حيث قال :

" قلت : إن الإنسان ماكينة حيوية ، يتألم بآلاف الأنواع من الآلام ، ويتلذذ بآلاف الأنواع من اللذائذ ، ومع أنه فى منتهى العجز ، فإنه له من الأعداء ما لا يحد . سواء الماديين أو المعنويين ، ومع أنه فى غاية الفقر فإن له رغبات باطنية

(١) الشعاعات ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، الكلمات ص ١٧٥ - ١٧٦ .

وظاهرة لا تحصر ، فهو مخلوق مسكين يتجرع آلام صفعات الزوال والفِرار -
 باستمرار .. فرغم كل هذا ، فانه يجد بانتسابه إلى السلطان ذي الجلال - بالإيمـ
 والعبودية - مستنداً قوياً ، ومرتكزاً عظيماً يحتمى إليه في دفع أعدائه كافة . ورحـ
 فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة ، فتـ
 ينتسب كل إلى سيده ويفخر بشرف انتسابه إليه ، ويعتز بمقامه لديه ، كذلك في
 انتساب الإنسان بالإيمان ، إلى التقدير الذي لانهاية لقدرته ، وإلى السلطان الرحيم -
 الرحمة الواسعة ، ودخوله عبوديته بالطاعة والشكران ، يبدل الأجل والموت -
 الإعدام الأبدى إلى تذكرة مرور ورخصة إلى العالم الباقي . فلنكم أن تقدروا كم يكن
 هذا الإنسان متلذذاً بحلاوة العبودية بين يدي سيده .. وممتناً بالإيمان الذي يجده في
 قلبه ، وسعيداً بأنوار الإسلام ، ومفتخراً بسيده التقدير الرحيم شاكراً له نعمة الإيمـ
 والإسلام . " (١) الخ

فبديع الزمان في هذا الكلام يستعمل أسلوباً مجرداً مع طلاب الثانوية بعبارة
 موجزة بعيدة عن التصنع ، وحتى يسهل عليهم فهم ما يريد من قول .

٢- الأسلوب الخطابي (المزین) : وهذا النوع يلجأ إليه النابهون في الإرشـ
 وإقناع الناس بما يقولون :

يقول الأستاذ : " وان كنت في بحث الخطاب والإقناع ، فعليك بالأسلوب
 المزین ذي الحلى ، والحلل والترغيب والترهيب . لا تدع هذا الأسلوب ما استطعت .
 بشرط ألا يدخله التصنع والتظاهر ، وما يثير العوام . " (٢)

فأنت ترى أنه وضع لهذا النوع من الأساليب الميزان الذي يضبطه ، فد
 يصل به الداعية إلى درجة الجمود والجفاف بفعل التكلف للنسنة البلاغية ، ولا يصر
 إلى حد التهور والإثارة لإهاجة العواطف وإلهابها دون حاجة تستدعي ذلك .
 وقد أكثر من هذا النوع في الرسائل ، منها قوله :

قال لي أحدهم يوماً وهو كبير سنّاً وجسماً ورتبة : إن أداء الصلاة حسـ
 وجميل ، ولكن تكررهما كل يوم ، وفي خمسة أوقات كثير جداً فكثرتها هذه تجعلها
 مملة ..

(١)الكلمات ص ١٧٨- ١٧٩ ، الشعاع ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) صيقل الإسلام ص ١١٤ .

وبعد مرور فترة طويلة على هذا القول ، أصغيت إلى نفسي ، فإذا هي أيضا تردد الكلام نفسه . فتأملت فيها ملياً ، وإذا بها قد أخذت بطريق الكسل الدرس نفسه من الشيطان ، فعلمت عندئذ أن ذلك الرجل كأنه قد نطق بتلك الكلمات بلسان جميع النفوس الأمارة بالسوء ، أو أنطق هكذا .. فقلت : مادامت نفسي التي بين جنبي أمارة بالسوء فلا بد أن أبدأ بيها أولاً ، لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز ... فخاطبتها :

يا نفسي .. أسمعها مني " خمسة تنبيهات " مقابل ما تفوهت به ، وأنت منغمسة في الجهل المركب ، سادرة في نوم الغفلة على فراش الكسل ..

التنبيه الأول :

يا نفسي الشقية .. هل إن عمرك أبدى ؟ وهل عندك عهد قطعي بالبقاء إلى السنة المقبلة بل إلى الغد ؟ فالذي جعلك ثمين وتسامين من تكرار الصلاة هو توهمك الأبدية والخلود ، فتظهرين الدلال وكأنك بترفك مخلدة في هذه الدنيا . فان كنت تفهمين أن عمرك قصير ، وأنه يمضي هباء دون فائدة ، فلا ريب أن صرف جزء من أربعة وعشرين منه في أداء خدمة جميلة ووظيفة مريحة لطيفة ، هي رحمة لك ووسيلة لحياة سعيدة خالدة ، لا يكون مدعاة إلى الملل والسأم ، بل وسيلة مثيرة لشوق خالص ولذوق رائع رفيع .

تنبيه الثاني :

يا نفسي الشرهة ... انك يومياً تأكلين الخبز ، وتشربين الماء ، وتتفلسفين بجراء ، أما يورث هذا التكرار مللاً وضجراً ؟ ... كلا .. دون شك .. لأن تكرار حاجة لا يجلب الملل بل يجدد اللذة .. لهذا ، فالصلاة التي تجلب الغذاء لقلبي ، وماء حياة لروحي ، ونسيم الهواء للطيفة الربانية الكامنة في جسمي ، لا بد أنها لا تجعلك حين ولاتسامين أبداً .

نعم ! إن القلب المعترض لأحزان وألام لا حد لها ، المفتون بآمال ولذائد لا غاية لها ، لا يمكنه أن يكسب قوة ولا غذاء إلا بطرق باب الرحيم الكريم ، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل .

وان الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيا تدنية ، ولا تشرب ماء الحياة إلا بالتوجه بالصلاة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي

والمحبوب السرمدى . وان السر الإنسانى الشاعر الرقيق اللطيف ، وهو اللطيفة
الربانية النورانية ، والمخلوق للخلود ، والمشتاق له فطرة والمرآة العاكسة لتجليات
الذات الجلية ... لا بد أنه محتاج أشد الحاجة إلى التنفس ، فى زحمة وقساوة وضغوط
هذه الأحوال الدنيوية الساحقة الخائفة العابرة المظلمة ، وليس له ذلك إلا بالاستغنى
من نافذة الصلاة . " (١)

وهكذا فى سائر التنبيهات ... ونرى بديع الزمان يثبه النفس هنا إلى وسو-
الشيطان ويحفزها إلى المعالى وأداء ما افترض الله عليها مستعملاً الأسلوب المزج-
فى إقناعها .

٣- الأسلوب العلمى (العالى) : وهو أسلوب يستخدم فى توضيح المسائل العلمى-
الدينية ، يقول النورسى :

" إن كنت فى بحث الإلهيات وتصوير الأصول ، فعليك بالأسلوب العالى
ففيه الشدة والقوة والهيبة ، بل عليك ألا تغادر هذا الأسلوب . " (٢)

وهذا النوع أيضاً أكثر منه فى الرسائل خاصة فى هذا العصر الذى جد
الناس فيه ربهم ولجئوا إلى شرائع شيطانية غير شريعته سبحانه باسم العلم .

ففى النافذة الحادية والعشرين من الكلمة الثالثة والثلاثين ، خاطب المنكر-
والمتشككين القائلين بالصدفة وعمل الطبيعة مستدلاً بقانون الجاذبية ، فبدأها بقول ال-
تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) . (٣)

ثم قال :

" إن الشمس التى هى سراج هذه الكائنات ، إنما هى نافذة مضيئة ساطعة
كنورها ، تتطلع منها المخلوقات إلى وجود خالق الكون ووحدانيته .

(١) الكلمات ص ٢٩٧- ٢٩٨ ، حقائق الإيمان ، بديع الزمان سعيد النورسى ص ٢٦-٢٨ استنبول . ١٩٦٠ .

ترجمة إحسان قاسم الصالحى .

(٢) صيقل الإسلام ص ١١٤ .

(٣) يس : (٣٨) .

فالسيارات الاثنتا عشرة - مع كرتتا الأرضية - والتي يطلق عليها اسم
مخطومة الشمسية " تجرى بنظام متقن ، وفق حكمة تامة ، وحسب ميزان دقيق
، ورغم الاختلاف الشديد فيما بينها ، من حيث كتلتها وجرمها ومن حيث صغرها
كبرها ، ورغم التفاوت الواسع فيما بينها من حيث قريها وبعدها من الشمس ، ورغم
توابع الهائل في حركاتها وسرعاتها .

نعم ، فرغم هذا كله تجرى السيارات في أفلاكها سابعة مشدودة الوثاق
-شمس ، مرتبطة معها بقانون إلهي ، هذا القانون هو الذي يطلق عليه علماء الفلك
سم " الجاذبية " .. فهي تجرى بنظام دقيق دون خطأ - ولو بمقدار ثانية واحدة -
بتقاد انقياداً تاماً ، وبطاعة مطلقة لهذا القانون ، كانقياد المصلين المأمومين
بإمامهم ..

وهذا دليل وأى دليل - بأوسع مقياس وأعظمه - على عظمة القدرة الربانية
ووحداية الربوبية .. فإن استطعت أن تقدر عظمة هذا الأمر بنفسك فافعل ، لترى
مدى العظمة والحكمة في جعل تلك الأجرام الجامدة ، وتلك الكتل الهائلة وهي بلا
شعور تجرى في منتهى النظام وكمال الميزان ، وفي غاية الحكمة ، وعلى صور
متباينة ، وضمن مسافات مختلفة ، وبحركات متنوعة ، ومن بعد ذلك تسخيرها جميعاً
وفق نظام بديع رائع !

فلو كان للمصادفة أى تدخل - مهما كان ضئيلاً - في مثل هذه الأمور
تجسام ، لتوقعنا حدوث أخطاء تتجم عنها انفلاقات كونية عظيمة ، واصطدامات
هائلة ، تدمر الكون وتجعله هباءً منثوراً .

لأنه لو سمح للمصادفة أن تلعب لعبتها ، فلربما توقف أحد هذه الأجرام الهائلة
- بلا سبب - وتخرجه عن محوره ، وبذلك تمهد السبيل لاصطدامات لاحد لها بين
جرام لا يحصرها العد . فقدر إذن مدى الهول المرعب الناجم من اصطدام أجرام
ضخم من كرتتا الأرضية بآلاف الأضعاف . " (١) الخ ..

(١) الكلمات . ص ٨٠٨ .

وقد حاج المنكرين لوجود الله تعالى واليوم الآخر بأدلة كثيرة ، وبطرق علمية إيمانية عصرية ، دلت على قدرته الفائقة ، وضلوعه في مناقشة الملحدون - كثروا على زمانه ، ولبسوا على الناس باسم العلم في كل ما هو ديني .. وسيأتي - ذلك قريباً في فصل المناهج إن شاء الله تعالى .

هذا .. وقد تميز أسلوب النورسي - على تنوعه - بميزة أحدثت تآخراً الإيجابي في المدعويين ، ألا وهي ضرب الأمثال .

أسلوب ضرب الأمثال :

لا يخفى ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم وتبسيطها وغرسها في الذاكرة بحيث يمكن تذكر الموضوع بمجرد ذكر المثال ، وكذا صلاحيته لتعدد مع مختلف المستويات العقلية والعلمية فالقرآن الكريم - وكذلك الحديث الشريف - ضرباً أمثالاً كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها .

ولهذا أورد النورسي كثيراً من الأمثال في الرسائل - باعتبارها تفسيراً لتقريب الكريم - حتى يمكن أن يعد ضرب الأمثال طابعها المميز .. من هنا كان إقبال أصحاب على قراءتها والاعتراف من منهلها العذب الصافي .

يقول النورسي مبيناً السبب في إيراد هذا النوع من الأساليب :

" إن سبب إيراد التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل - تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية ، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإلهية ومدى تناسبها ورضانتها من ناحية أخرى ، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق - تنتهي إليها ، والتي تدل عليها كناية . فهي إذن ليست حكايات خالية وإنما صادقة." (١)

كما بين أن الظروف التي مر بها المسلمون آنذاك - ولا تزال - قد أدت إلى ضرب الأمثال فقال : " إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور

(١) الكلمات . ص ٤٧ .

سابقة ، وكان الانقياد تاما .. وحتى لو لم تكن لدى العارفين أدلة - فى الأمور
- عية - فإن توضيحاتهم كانت مقبولة وكافية .

أما فى الوقت الحاضر ، وحيث إن الضلالة العلمية قد مدت يدها إلى الأسس
البدنية وأركانها ، فقد وهنت سبحاته وتعالى وأحسن إلى - وهو الحكيم الرحيم -
- يجب لكل صاحب ذاه نوازه المناسب ، شعرة من " ضرب الأمثال " التى هى من
ضع معجزات القرآن ، رحمة منه جل وعلا لعجزى وضعفى وفقرى ، واضطرارى
ع كتابتى التى تخص خدمة القرآن ، فله الحمد والمنة ، حيث أظهرت بمنظار "
- ضرب الأمثال " الحقائق البعيدة جدا قريبة جدا .

ولوحدة الموضوع فى " ضرب الأمثال " جمعت أكثر المسائل تشنتا وتفرقا .
وبسلم " ضرب الأمثال " أوصلت إلى أسمى الحقائق وأعلاها بسهولة ويسر .
ومن نافذة " ضرب الأمثال " حصل يقين إيمانى بالحقائق الغيبية والأسس
- عمية أقرب إلى الشهوة .

فكما أن العقل والخيال والوهم ، حتى النفس والهوى اضطرت إلى الاستسلام
تلك الشيطان قد ألقى السلاح .

والخلاصة : أنه مهما يظهر من قوة التأثير والجمال فى كتاباتى ، فهى ليست
أ- من لمعات ضرب الأمثال فى القرآن الكريم . " (١)

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره فى الكلمة الثالثة التى بدأها بقول الله تعالى :
- فيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم .. (٢) . فقال : " إن كنت
- أن تفهم كيف أن العبادة تجارة عظمى وسعادة كبرى ، وأن الفسق والسفه خسارة
عسة وهلاك محقق ، فانظر إلى هذه الحكاية التمثيلية وأنصت إليها :

تسلم جنديان اثنان - ذات يوم - أمرا بالذهاب إلى مدينة بعيدة ، فسافرا معا ،
فى ن وصلا مفرق طريقين ، فوجدا هناك رجلا يقول لهما :

سبع الزمان سعيد التورسى . النصاحى ص ١٨٠ - ١٨١ .

- بقرة : (٢١) .

- إن هذا الطريق الأيمن ، مع عدم وجود الضرر فيه ، يجد المسافرون أن
يسلكونه الراحة والاطمئنان والريح مضمونا بنسبة تسعة من عشرة . أما الطريق
الأيسر ، فمع كونه عديم النفع يتضرر تسعة من عشرة من عابريه . علما أن كليب
في الطول سواء ، مع فرق واحد فقط ، هو أن المسافر المتجه نحو الطريق الأيسر
- غير المرتبط بنظام وحكومة - يمضى بلا حقيبة متاع ولا سلاح ، فيجد في تلك
خفة ظاهرة وراحة موهومة ، غير أن المسافر المتجه نحو الطريق الأيمن - المنتد
تحت شرف الجندية - مضطر لحمل حقيبة كاملة من مستلزمات غذائية تزن ربع
(أوقيات) وسلاحا حكوميا يزن (أوقيتين) يستطيع أن يغلب به كل عدو .

وبعد سماع هذين الجنديين كلام ذلك الرجل الدليل ، سلك المحظوظ السب
الطريق الأيمن ، ومضى في دربه حاملا على ظهره وكتفه رطلا من الأتقال ، إلا
قلبه وروحه قد تخلصا من آلاف الأرتال من ثقل المنة والخوف .

بينما الرجل الشقي المنكود الذي ترك الجندية ولم يرد الانتظام والالتز
سلك سبيل الشمال ، فمع أن جسمه قد تخلص من ثقل رطل فقد ظل قلبه يبرزح تحت
الاف الأرتال من المن والأذى ، وانسحقت روحه تحت مخاوف لا يحصرها الحد
فمضى في سبيله مستجديا كل شخص ، وجلا مرتعسا من كل شيء ، خائفا من شر
حادثة ، إلى أن بلغ المحل المقصود ، فلقى هناك جزاء فراره وعصيانه .

أما المسافر امنتوجه نحو الطريق الأيمن - ذلك المحب لنظام الجند
والمحافظ على حقيقته وسلاحه - فقد سار منطلقا مرتاح القلب مطمئن الوجدان
دون أن يلتفت إلى منة أحد أو يطمع فيها أو يخاف من أحد ... إلى أن بلغ المحل
المقصود ، وهناك وجد ثوابه اللائق به كأي جندي شريف أنجز مهمته بالحسن .

فيا أيتها النفس الساردة السارحة !

اعلمي أن ذنبك المسافرين ، أحدهما أولئك المستسلمون المطيعون للقد
الإلهي ، والآخر هم العصاة المتبعون للأهواء ..

وأما ذلك الطريق فهو طريق الحياة الذي يأتي من عالم الأرواح ويمر
القبر مؤديا إلى عالم الآخرة ..

وأما تلك الحقيبة والسلاح فهما العبادة والتقوى ، فمهما يكن للعبادة من حبر
تقيل ظاهرا إلا أن لها في معناها راحة وخفة عظيمتين لا توصفان ، ذلك لأن العبد

يقول في صلاته : (لا اله إلا الله) أى لا خالق ولا رازق إلا هو ، النفع والضرر بيده ، وإبه حكيم لا يعمل عبثاً ، كما أنه رحيم واسع الرحمة والإحسان ... الخ . (١)

أسلوب مخاطبة المعارضين :

لسعيد النورسي - من خلال رسائله - أسلوبه الخاص مع المعارضين ، حيث إن المعارضين عنده قسمان :

قسم هم أهل الضلالة ، وهم الذين يعارضون الحقائق الإيمانية ويرفضونها ، بل يصدونها ويحاربونها بشتى الوسائل والسبل ، سواء بالقوة أو بإثارة التهم ، أو ببث الأفكار المناوئة والدعايات المضللة ، وقسم آخرهم المسلمون إلا أنهم يعترضون على أمور فرعية عنده بدت من خلال الرسائل ، أو طريقته في العمل لخدمة الإسلام . (٢)

(أ) مع أهل الضلالة :

يتصف أسلوب بديع الزمان - كما هو واضح في الرسائل - مع هؤلاء بالهجوم العنيف ، وذلك بدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية ، وتفنيذ اتهاماتهم تظالمة ، مع التركيز المستمر بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا ، كما أن هناك عذاباً جماً في الآخرة . فنرى أن هذا الهجوم لا ينتر أبداً ولا يلين ، ويتصف بصفة مهمة وهي : عدم تحديد الأسماء والأشخاص على الأغلب ويكتفى بالتعبير عن هؤلاء على إطلاق دون التقييد . فمثلاً يقول : أهل الضلالة ، أهل السفاهة ، المنافقون ، أهل كفر ، والزندقة ، وهكذا ...

(١) الكلمات . ص ١٢-١٣ .

(٢) أنظر بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٦١ .

والتقارير اللبيب - للرسائل - يفهم من سياق الموضوع ، ومن خلال مفردات الصفات المذكورة والأعمال والتصرفات التي قاموا بها ، من هم هؤلاء الضعفاء والمنافقون في كل عصر وفي كل مصر ! .

وهو لا يكتفى بالهجوم أو الكشف عن السيئات الظاهرة لأهل الضلالة فحسب ، وإنما يغزو أفكارهم وحججهم الواهية ونقاط استنادهم الفكرى ، فيغزوها في جحورها ، ويشن هجوما شديدا عليها حتى آخر معقل من معاقل الضلالة والأفكار الماثورة للإسلام ، محطما جميع الأسس المتبرنة التي يقوم عليها بناء تصورهم الفكرى وأباطيلهم لتثويبه حقائق الإسلام وجماله المقدس ، كاشفا عن دسائسهم في التفريق بين المسلمين ، وصددهم عن التلذذ بنعمة الإيمان ... والذى يحذر النظر هو أن النورسى مع بيانه - كما هو فى الرسائل - بيانا كافيا لجميع حقائق الإيمان دون كتمان أى جزء منها ، ومع تنفيذها لجميع أباطيل الخصوم ، وإحصاء لصفات أهل النفاق ، ومع تشخيصه الأعداء وكشفه عن هوياتهم ...

مع كل هذا لم يتمكن العدو المتسلط أن يجد ثغرة على دعوته من خلال الرسائل ليدخل منها باسم القانون ، وبالأخص فى مثل تلك الظروف الحرجة .. حب أن القانون ينص على العثمانية .. والأعداء - الداخليين والخارجيين - قد انتفضوا على تركيا وتكالبوا عليها .. فرغم تلك المحاكمات التي زادت على (الألف) لم تتعثر أية هيئة قضائية من تمييز أو جزاء وغيرهما من أن تجد مستمسكا غير قانونى فى رسائل النور ، مع ما لديهم من لجان تدقيق وخبراء علماء محققين ينكبون على دراسة الرسائل - الممثلة لدعوته - أشهرها بل أعواما .^(١) فمثلا لقد اتهم الأستاذ ومعه تلاميذ حين نشر "الشعاع الخامس"^(٢) الذى يبحث عن الدجال بأنه يقصد به "مصطفى كمال وأعوامه" . إلا أن الخبراء تروا فى جميع تلك المحاكمات أن : " الشعاع الخامس ليس فيه ذكر مصطفى كمال ، وإنما هو شرح لبعض الأحاديث

(١) يدعى الزمان سعيد النورسى - نصائحي . ص ١٦١ - ١٦٢ . وبسبع الزمان سعيد النورسى

مصطفى زكى العاشر ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) راجع الشعاع ص ١٠٠ - ١١٦ .

الشريفة الواردة حول النجال وفتنة آخر الزمان^(١).

وهذه بلا شك لباقية انداعية وحكمته في الحفاظ على استمرارية الدعوة بعدم تورطه بالتجريح أو السب المباشر للأشخاص أو الهيئات ، وإنما حسيه أن يذكر الحكم العام ويدع الحكم الخاص لعقل القارئ أو المستمع حتى لا يجهض الدعوة في وقت مبكر من عمرها قبل أن تستوى على سابقها .

وقد غدا هذا الأسلوب خاصة من خصائص دعوة النورسي - كما في الرسائل - أنه مع توضيحه لمفاهيم الإيمان والإسلام لا يمكن أن يصارع ، وذلك لأنه لا يثير حفيظة المخالفين له ، ولا تأخذ قارئ الرسائل العزة بالإثم ، لأنها تذكر تلك المفاهيم دون أن تنقيد بزمان أو مكان معين ، وما هذا إلا توفيق رباني ، قد وهب الله سبحانه هذا الرجل انفيقه الحكيم بمحض فضله ونعمته .

(ب) أما أسلوبه مع الذين احتروضوا عليه من علماء الدين وشيوخ المتصوفة : فهو أسلوب الدفاع ، والدفاع دون الهجوم ودون التهوين من شخصياتهم ورؤسائهم ولا من آرائهم ، مع بيان وجهة النظر الصحيحة ، لذا لا ترى في جميع الرسائل جرحا لهيئة أو جماعة مطلقا لا من تحرييب ولا من بعيد .^(٢)

وقد وضع الأستاذ - رحمه الله - أسسا للتعامل مع هؤلاء يسير عليها طلاب النور سيأتى الحديث عنها في حينها من فضل المناهج إن شاء الله .

أسلوب الاستثناء

إن أسلوب الاستثناء خاصة من خصائص دعوة الأستاذ النورسي - كما هو واضح في الرسائل - مع جميع من له علاقة معه ؛ سواء الأشخاص - مسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات . فهو يهاجم جماعة الاتحاد والترقي الذين يحملون الأفكار المعادية للإسلام ، ويمنتهي ذوى الدين منهم .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٦٢ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٦٢ - ١٦٣ .

ويهاجم الغرب ولكنه ليس كل الغرب ، وإنما يستثنى منه الطيب النافع . -
يشدد الهجوم على القسم الفاسد .

يقول فى الحوار - المعنوى - الذى أجراه مع الغرب :

" ولئلا يساء الفهم لابد أن ننبه : أن أوروبا اثنتان .

إحداها : هى أوروبا النافعة للبشرية ، بما استفادت من النصرانية الحنة .
وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية ، بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تبت
على العدل والإنصاف ، فلا أخاطب - فى هذه المحاوره - هذا القسم من أوروبا .
وإنما أخاطب أوروبا الثانية (الوجه الآخر منها) تلك التى تعفنت بظلمات الفسـ
الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية ، وحسبت سيئات الحضارة حسناً لها ، وتوهم
مساوئها فضائل . فسأقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة .

ولقد خاطبت فى تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوروبية ، بعد -
استثني محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة ، فوجهت خطابى إلى تلك الشخصـ
التي أخذت بيدها الفلسفة المضرة التافهة والحضارة الفاسدة السفيهة . وخاطبتها
قائلاً :

يا أوروبا الثانية ! اعلمى جيداً أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيـ
، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة ، ومن ثم تدعين :

" أن سعادة الإنسان بهما " . ألا شئت يداك ، وبئست الهدية هديتك ، ولتكر
وبالاً عليك وستكون .

أيتها الروح الخبيثة التى تنتشر الكفر وتبث الجحود ، ترى هل يمكن أن يسعد
إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة ، وترفله فى زينة ظاهرة خادعة وهو المصاب فى
روحه وفى وجدانه ، وفى عقله ، وفى قلبه بمصائب هائلة .. وهل يمكن أن نطلق
عليه أنه سعيد ؟! .. ألا ترى أن من يئس من أمر جزئى ، وانقطع رجاؤه من أمر
وهمى ، وخاب ظنه من عمل تأقه ، كيف يتحول خياله العذب مرآة علقما . وكيف
يتعذب مما حوله من أوضاع لطيفة ، فتضيق عليه الدنيا - كالسجن - بما رحبت !.

فكيف بمن أصيب - بشؤمك - بضربات الضلالة في أعماق قلبه . وفي
أغوار روحه ، حتى انقطعت - بتلك الضلالة - جميع آماله ، فانشقت عنها جميع
آلامه ، فأى سعادة يمكنك أن تضمي لمثل هذا المسكين الشقي ؟ وهل يمكن أن يطلق
لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم ، وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة .. أنه سعيد ؟..
لقد أفسدت - أيتها الروح الخبيثة - البشرية حتى طاشت بتعاليمك ، فتقاسى
منك العذاب المرير ، بإذاعتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة .." (١)

إن هذا الأسلوب لا يسرى على الغرب وحده ، وإنما هو قاعدة التخاطب مع
جميع المعارضين . فهو يستشيط الطيبين من مجموع الخبيثاء ، ويستنفذ الفكر الجيد من
بين أنقاض الأفكار المضللة والنظريات الفاسدة ، وينتشل الفلة البريئة من بين
المجموعات والهيئات التي أثير حولها غبار التسيهات ، وهكذا ترى عملية التحليل
والفرز والاستثناء هي في مقدمة أى كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضرار
، والطيب بالخبيث ، مما يجعل الفارئ يشعر في هذا الأسلوب بالتجرد الكامل
والموضوعية انحقة ، والأخذ بالحيطة والحدز ، والاحتراز من توريط من هم خارج
صفوف المعارضين . فلا يلتبس إذن أمر الطيب النافع مسع الخبيث المضر ، ولا
يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم .. فالهجوم إذن لا ينصب إلا على الخبيث من
الغربيين دون الطيبين منهم . وبيدأ عزو حصون الفلسفات المضللة المادية ، بعدما
يفصل من ركامها الفلسفة النافعة المؤدية إلى التقدم العلمي والصناعي . (٢)

هذا ما يتعلق بالأسلوب لدى بديع الزمان سعيد النورسى ، فماذا عن منهجه
في دعوته ؟ هذا ما سنتعرف عليه في الفصل القادم إن شاء الله .

(١) انعمات . ص ١٧٦ - ١٧٧ ، حقائق الإيمان ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى ، الصناعي ، ص ١٦٥ .

منهج النورسي في دعوته

سلك الأستاذ النورسي - رحمه الله - في دعوته متهجاً عاماً يمكن أن نطلق عليه المنهج الاستدلالي إذ لا يذكر شيئاً إلا ومعه - أو قد سبقه - برهان وتأييد حاسم ، سواء كانت الأدلة شرعية نافية أو إثباتية عقلية أو فطرية أو بديهة أحياناً - صفة لها سبق - على كلام المحندين العظام - على أمته مفعلة بحيث تدع المستمع القارئ يضمن دائماً إلى جميع ما يذكره ، ولعن هذا هو السر في إلزامه المعاندين بحججه لهم .

أما طريقته في الاستشهاد بالآيات أو الأحاديث أو أية قاعدة شرعية كانت ، منه يمهّد العقل ويهيئ النفس لقبول تلك الدليل الشرعي على وجهه الصحيح وليس عكس ، كأن يذكر الآية أو الحديث ثم يستظهر في الشرح .

وهذا المنهج العباد للنورسي مناسب للعصر الذي عاش فيه ، إذ أن أغلب العقول في عصره قد اضطربت بأراء الفلاسفة المتأدبين ورأيت على القلوب التسيئات ، مما جعلت الناس عن إدراك مراد الآية أو الحديث أو أي دليل شرعي آخر ، لذا لا ترى مستشهد الكثير عنده بهما ، إلا بعد مقدمات تأخذ بأطراف النفس والعقل والروح . (١) وهو بهذا يربي على المسلم القدرة على معرفة الدليل ، ووزن الكلام المقروء بعينه بعيداً عن الأسلاك ، يقول : « وليس هناك من يوصم نفسه بالفساد ، بل غالباً ما يظهر الفساد نفسه بمظهر التصالح والتصواب .

بعد ، انه متى مشهور ما من أحد يقول لمخبيصه حامض ، فعليكم أن خبروا كثر قول تسمعونه ، ولا تقبلوا أي كلام كان دون اختبار وامتحان ، فنكلام سداً رواج في عصرنا هذا .. حتى كلامي أنا لا تقبلوه على علاته - بناء على رأيكم بي - وإنما دعوا أي كلام كان يظن على هامش تفكيركم ، حتى إذا ما فتح في الاختبار وظهر صدقه وبان معدنه الذهبى ، عند ذلك احفظوه في القلوب ، - إن كان صداً - ومن معتن رخيص - فاطر حوده أرضاً غير

١ - مع الرمان سعيد النورسي ، الصالحى ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

مأسوف عليه . " (١)

والنورسى فى منهجه رجح الاستدلال بالأثر على المؤثر السالم من الشيب - وهو الطريق الأصوب للاستدلال ولا سيما فى عصرنا هذا الذى اتخذ المادة - لكل شىء .. لذا ساق الأمتلة المادية الملموسة كدليل فى المسائل الإيمانية ، بخت علماء الغرب - المتدينين - الذين رجحوا الاستدلال بالمؤثر على الأثر ، حيث - المسائل التى استعصت على العلم الحديث - والتى لم يتمكن من كشف نتج وتوضيحها بعد - كشواهد لإثبات عظمة الخالق ودلائل قدرته سبحانه ، وكأعطوا - بهذا - فضل ما اكتشفه العلم إلى العلم نفسه ، وما عجز عنه إلى سبحانه ! ، ولكن حينما تتوضح المسألة - بعد الكشف العلمى - وتصبح من الأمر البديهية ، فان تلك الأمور الاعتقادية سوف تتضعع وبدورها يضعف الإيمان .. به انهيار الإيمان عند بعضهم فعلا . (٢)

يقول النورسى : " كما أن دلالة النار إلى الدخان - التى هى دلالة المرء على الأثر - تسمى بـ " البرهان اللمى " (٣) كذلك فان دلالة الدخان على النار - هى دلالة الأثر على المؤثر - تسمى بـ " البرهان الآنى " (٤) وإن البرهان الآنى هذا فأسلم من الشبهات . " (٥)

غير أن الأستاذ النورسى الذى رجح الاستدلال التابع من الأثر إلى المؤثر قد وجه الأنتظار إلى " حكمة " كل شىء وكل حادثة من حوادث الكون ، سواء فى نتج علمت نتيجتها أم لم تعلم بعد .. واختار التعريف بالمؤثر الحقيقى بصفاته الجسام وأسمائه الحسنى ، لذا فكلما يتقدم العلم ويعلن للأوساط حكما جديدا يكشفه عن كيب نشوء الحوادث ، يصبح وسيلة لفهم أوضح للمسائل الإيمانية ، وبهذا يصدق ببح النورسى فى دعواه :

(١) صيقل الإسلام . المناظرات ص ٤٣٠ .

(٢) بديع الزمان . الصالحى . ص ٢١٨ .

(٣) اصطلاح فى علم المنطق .

(٤) اصطلاح أيضا فى علم المنطق ،

(٥) إشارات الإعجاز فى مغان الإيجاز .. النورسى ص ١٥٠ ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، دار سرير

للنشر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

" كما يشيب الزمان فن القرآن يزداد شبابا ونضارة أكثر ، وتستبين رموزه " (١)
ويمكن لنا - بعد هذا التقديم - رصد المنهج الذي سلكه النورسي في دعوته
تفصيلا على النحو التالي :

أولاً : المنهج على الكتاب والسنة

اعتمد الأستاذ سعيد النورسي في منهجه الذي سلكه في الدعوة على
مصدرين الدين لا ينضب معينهما مع توالي العصور وكر الدهور ، وهما القرآن
كريم والسنة النبوية الشريفة .

١- فأما القرآن الكريم :

فقد أولاه النورسي عنايته ، فجعله منذ بداية الطريق الدعوى أستاذه
ومرشده وإمامه في التلقى ودعوة الغير إليه ، وقد سبق في فصل الأهداف قوله : "
من بداية هذه الطرق جميعها .. ومنبع هذه الجداول كلها .. وشمس هذه الكواكب
سيارة .. إنما هو " القرآن الكريم " . فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلا في
قرآن الكريم .. فالقرآن هو أسمى مرثد .. وأقدس أستاذ على الإطلاق .. ومنذ ذلك
يوم أقيمت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه .. فـ " الكلمات " (سوزلر)
والأنوار المستفادة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية
فحسب ، وإنما مسائل قلبية ، وروحية ، وأحوال إيمانية .. فهي بمثابة علوم إلهية
خيسة ومعارف ربانية سامية .

كان كتاب " إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز " الذي ألفه في أوائل الحرب
عالمية الأولى على جبهة القتال - كما ذكر - (٢) من باكورات أعماله في خدمة
قرآن الكريم ، وكان منهجه فيه تفسير القرآن على النمط الذي كان متبعاً لدى
تفسيرين القدامى .. لكن لما شاهد بنفسه الهجمة الشرسة لا على بلاغة تناسب سور
القرآن وآيه وكلماته ، ولكن على الإيمان ذاته بمصدره الأساسيين ..

(١) تتبع الزمان سعيد النورسي . انصالحى . ص ٢١٩ .

(٢) إشارات الإعجاز . ص ١٧ .

لما شاهد ذلك ، توقف عن سلوك هذا المنهج ، وسلك منهاجا آخر يتناسب مع عقلية العصر الذى عاش فيه فى مواجهة التيار الإلحادى الماكر الشامل .. فكيف يستلهم من الآية الكريمة معانيها ، ويعيش حالات قلبيه وروحيه خاصة فى أجوائها .. وهذا كان شأنه فى الرسائل التى عدت تفسيرا للقرآن الكريم .

* فعلى سبيل المثال نراه فى الكلمة " الثانية عشرة " يتحدث عن حكمة القرآن الكريم فى مقابل حكمة الفلسفة التى فتن الكثيرون بها ، وركز عليها الإلحاديون تشابها وجعلوا منها منهج حياة للمجتمع التركى ، فيظهر ضحالتها وتهافتها وشرورها التى تعد ولا تحصى ، بينما القرآن : فلأنه من لدن حكيم عليم فهو لا يدانيه فى عظمة ومعطياته كتاب آخر ، ومن ثم فهو أولى بالاتباع (١) .

وقد عدد الفروق بين التربية الأخلاقية التى يربى بها القرآن الكريم أتيت "تلاميذه" ، والدرس الذى تلقته حكمة الفلسفة أتباعها "تلاميذها" فى الأساس الثتى - الكلمة فقال : " للوصول إلى مدى الفرق بين التربية الأخلاقية التى يربى بها القرآن الكريم وتلاميذه ، والدرس الذى تلقته حكمة الفلسفة ، نرى أن نضع تلميذيهما فى العوازنة :

فالتلميذ المخلص للفلسفة "فرعون" ولكنه فرعون ذليل ، إذ يعبد أخسر شيء لأجل منفعة ، ويتخذ كل ما ينفعه ربا له .

ثم إن ذلك التلميذ الجاحد " متمرّد و عنود " ولكنه متمرّد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل فى سبيل الحصول على لذة ، وهو عنود دنيء ، إذ يتذلل ويخضع لأشخاص هم كالشياطين ، بل يقل أقدامهم ! .

ثم إن ذلك التلميذ الملحد " مغرور جبار " ولكنه جبار عاجز لما يشعر بمنتهى العجز فى ذاته ، حيث لا يجد فى قلبه من يستند إليه .

ثم إن ذلك التلميذ " نفعى ومصلحى " لا يرى إلا ذاته . فغاية همته عليه رغبات النفس والبطن والفرج وهو " دساس ماكر " يتحرى عن مصالحه الشخصيه ضمن مصالح الأمة .

(١) أنظر الكلمات . ص ١٤١ - ١٤٩ .

بينما تلميذ القرآن المخلص هو "عبد" ، ولكنه عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق ، ولا يرضى حتى بالجنة ، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله . ثم إنه تلميذ متواضع " لين هين " ، ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ، ولغير أمره وإذنه .

ثم إنه " فقير وضعيف " موقن بفقره وضعفه ، ولكنه مستغن عن كل شيء بما ادخره له مالكة الكريم من خزائن لا تنفذ في الآخرة . وهو "قوى" لاستناده إلى قوة سيده المطلقة .

ثم إنه لا يعمل إلا لوجه الله ، بل لا يسعى إلا ضمن رضاه ، بلوغاً إلى الفضائل ونشرها .

وهكذا تفهم التربية التي تربي بها الحكمتان ، لدى المقارنة بين تلميذيهما.^(١) وفي الأساس الثالث ذكر معطيات حكمة كل منهما للمجتمع الإنساني فقال:

" أما ما تعطيه حكمة الفلسفة وحكمة القرآن من تربية للمجتمع الإنساني فهي :

إن حكمة الفلسفة في "القوة" نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية .

وتهدف "المنفعة" في كل شيء .

وتتخذ "الصراع" دستوراً للحياة .

وتلتزم " بالعنصرية والقومية السلبيّة " رابطة للجماعات .

أما ثمراتها فهي : إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها

تأجيج جموع النفس وإثارة الهوى .

ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "الاعتداء" .. وشأن "المنفعة" هو "التراحم" إذ

لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم .. وشأن "الصراع" هو "النزاع والجدال"

.. وشأن "العنصرية" هو "الاعتداء" إذ تكبر بابتلاع غيرها ، وتتوسع على حساب

عناصر الأخرى .

(١) الكلمات . ص ١٤٤ - ١٤٥ .

ومن هنا تلمس لم سببت سعادة البشرية ، من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة .
أما حكمة القرآن الكريم ، فينبى تقبل "الحق" نقطة استناد فى الحياة الاجتماعى .
، بدلا من "القوة" .. وتجعل "رضى الله سبحانه" ونيل الفضائل هو الغاية ، بدلا من
"المنفعة" .. وتتخذ دستور "التعاون" أساسا فى الحياة ، بدلا من دستور "الصراع"
وتلتزم برابطة "الدين" وانصف وانوطن لربط فئات الجماعات ، بدلا من العنصرى-
والقومىة السلبىة .. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفن الروح فى
معالى الأمور ، وإشباع مشاعرها السامىة لسوق الإنسان نحو الكمال والمثلى-
الإنسانىة .

إن شأن "الحق" هو "الاتفاق" .. وشأن "الفضىلة" هو "التساند" .. وشأن دستور
"التعاون" هو "إغاثة كل لآخر" .. وشأن "الدين" هو الأخوة والتكاتف ..
وشأن "الجم النفس" وكبح جماحها ، وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو السعى-
الدارىن " (١) .

* كما خصص الكلمة الخامسة والعشرين للقرآن الكريم ، وجعل عنوانها "رسد-
المعجزات القرآنىة" ، وهى إظهار لعظمة القرآن الكريم من وجوه عدة ، وإظهار
نفضله على ما سواه ، ووجوب اتخاذه منها للحياة . (٢)
يقول فى بداية الكلمة : " أرى من الفضول التحرى عن برهان وفى اللى
قرآن وهو معجزة خالدة .

أترانى أتضايق من إلزام الجاحدين ، وفى اليد قرآن وهو برهان الحقىة ؟! " (٣)
ويقول فى الجزء الأول والثانى من الكلمة معرفا بالقرآن الكريم ومبينا - لنجى-
الذى حيل بينه وبين وحى الله الصحىح - ماهىته العامة الشاملة :

(١) انمصدر السابق . ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) راجع الكلمات . ص ٤١٩ - ٥٤٠ . والملاحق ص ١٨٣ - ١٩٠ .

(٣) الكلمات . ص ٤١٩ .

" هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبير .. والترجمان الأبدى لألسنتها المتنوعة التالية للآيات التكوينية .. ومفسر كتاب عالم الغيب والشهادة .. وكذا هو كشاف لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المستترة فى صحائف السماوات والأرض .. وكذا هو مفتاح لحقائق الشئون المضمرّة فى سطور الحادثات .. وكذا هو لسان عالم الغيب فى عالم الشهادة .. وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة هذا .. وكذا هو شمس عالم الإسلام المعنوى وأساسه وهندسته .. وكذا هو خريطة مقدسة للعوالم الأخروية .. وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشئونه .. وكذا هو المرئى لهذا العالم الإنسانى .. وكالماء والضيء للإنسانية الكبرى التى هى الإسلام .. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر . وهو المرشد المهدي إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة .. وكذا هو للإنسان : كما أنه كتاب شريعة ، كذلك هو كتاب حكمة ، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية ، كذلك هو كتاب أمر ودعوة ، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر ..

وهو الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكل الكتب التى تحقق جميع حاجات لإنسان المعنوية ، حتى إنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ، لمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء المحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ، ولمساق ذلك المسلك تصويره .

فهذا الكتاب السماوى أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب ... الخ". (١)

وفى "الجولة الثانية" من الشعاع الثالث للكلمة ذاتها ، يناقش أهل الإلحاد تحت عنصر "شبابية القرآن وفتوته" ويرد عليهم شكوكهم وافتراءاتهم ، مبينا أنه لا يزال طوى ، وأن عطاءه مستمر ومتجدد مع الأعوام والدهور وسيظل هكذا

(١) الكلمات . ص ٤٢٢ .

حتى قيام الساعة .

يقول :

" إن القرآن الكريم قد حافظ على شبائبه وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نصرا فتيا .

نعم ! إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا ، يلزم أن تكون له شبائية دائمة كهذه . فلقد ظهر شـ وهو كذلك كما كان . حتى إنه يظهر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتبينة في الطباع نظرا كأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه ملفتا إليها الأنظار .

إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله ، وتتغير وتبدل . إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور . (١)

ويقول في النقطة الرابعة من ذيل خاتمة الكلمة :

" وكذا فقد أظهر القرآن الكريم من الطراوة والفتوة والنضارة والجدة بحيث يحتفظ بها وكأنه قد نزل الآن ، رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان عليه ، ورغد تيسر الحصول عليه للجميع ، فكل عصر قد تلقاه شابا نصرا ، وكأنه يخاطبه . وكل طائفة علمية مع أنهم يجدونه في متناول أيديهم وينهلون منه كل حين . ويقتنون أثر أسلوب بيانه ، يرونه محافظا دائما على الجدة نفسها في أسلوبه والفتوة عينها في طرز بيانه . " . (٢)

هذا بالنسبة للمصدر الأول " القرآن الكريم " الذي اعتمد عليه النورسي في دعوته ، أما المصدر الثاني فهو :

٢- السنة النبوية :

إن اتباع السنة النبوية الشريفة ، هو الطريق الأقوم للوصول إلى روح المعاني السامية للقرآن الكريم ، وبغيرها لا يمكن الوصول إليها بصواب وسلامة.

(١) الكلمات . ص ٤٧١ .

(٢) المصدر السابق . ص ٥٢٠ .

لذا فإنها كانت الأساس الثاني بعد القرآن الذي اعتمد عليه الأستاذ النورسي في دعوته .

والناظر في الرسائل لا يجد منها رسالة إلا وفيها ذكر للرسول ﷺ أو لجانب من جوانب حياته المباركة بأسلوب شائق جدا .. وغالبا ما يسبق الحديث الذي يذكره ما يهيئ القلب والعقل والروح لتقبله ، حتى تشعر بأنك مائل أمام قائله ﷺ ، فيشع ذلك الحديث بنوره في قلبك ويسرى بفعله في أعصابك وجوارحك .. والذي يعمن النظر في الرسائل بصورة عامة والتي تبحث عن السنة بصورة خاصة يكتسب خبرة في كيفية التجوال في كتب الصحاح والسنن ، إذ تدله على تلك الرياض الوارفة ، فتقلبه بين بسائنها المزهرة انفواحة ، فيستشوق غيرها ، مع أخذ القدر الكافي مما يلزم لكل مسلم من معرفة مصطلح الحديث .

وكذلك لا يجد أمرا نوقش - أو يناقش - بين المسلمين في الحديث الشريف أو التهم الموجهة إليه ، إلا ويجد جوابه الشافي المقنع فيها بحيث تطمئن إليه النفس فمسائل الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، والمهدى ، والخضر ، ومسائل حول الملائكة ، وأشرط الساعة ، وثواب الأعمال وغيرها .. قد أشبعت بحثا وتوضيحا بحيث يرتاح إليه القلب وتسكن إليه الجوارح .

وقد تناول النورسي فيها أيضا تلك الأحاديث التي اتخذت ذريعة للهجوم على أمهات كتب الحديث من قبل أهل البدع ، فدافع عن تلك الأحاديث ، وأبرز جوانب خفية منها بما يلجم أي معاند ومكابح كان .

أما الأحاديث التي تضمنتها الرسائل بصورة عامة ، فهي على الأغلب بصيغتها العربية^(١) . وأحيانا يذكرها بالمعنى .

يقول الأستاذ في مقدمة المکتوب التاسع عشر : " لقد أوردت أحاديث شريفة كثيرة في هذه الرسالة ، ولم يكن لدى شيء من كتب الأحاديث السواردة ، فليصح أن ليحمل على الرواية بالمعنى ، إذ القول الراجح : أنه تجوز رواية الحديث الشريف

(١) بديع الزمان . النصالحى . ص ١٩٥ .

بمعناه ، أى أن يذكر الراوى معنى الحديث بلفظ من عنده ، فما وجد فى هذه الرواية من أخطاء فى الألفاظ ، فلينظر إليها باعتبارها رواية بالمعنى. (١)

ومن الرسائل التى عالجت موضوع السنة النبوية الشريفة بصورة مستقلة :

* اللعة الحادية عشرة " مرقاة السنة وتزيق مرض البدعة " : التى حبيب النور - فيها فى السنة الشريفة ، وحذر من البدعة ، وبين مآل الإبتداع والابتداع على - والمجتمع على السواء . (٢)

بدأ اللعة بقول الله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه - عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا - عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .) . (٣)

وقوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)
وتكلم عن إحدى عشرة نكته فى ضوء هذه الآيات ، فقال فى النكته الأولى

قال الرسول ﷺ : " من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد " . (٤)

(١) المكتوبات . ص ١١٢ .

(٢) اللعات . ص ٨٠ - ٩٦ .

(٣) التوبة . (١٢٨ - ١٢٩) .

(٤) آل عمران : (٣١) .

(٥) رواه ابن عدى فى الكامل وابن بشران فى الأمالى ١٩٣/٢ ، ١٤١ ، وعزاه المنذرى فى

الترغيب والترهيب للبيهقى . والثابت فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : " إن من ورائكم زمان ص -
، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم " أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٠٣٩٤ ، والبخارى ٣٧٨/١
وقال الهيئى فى المجمع (٢٨٢/٧) : ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي
وثقه ابن حبان . ١هـ . وفى الصحيح (٤٩٤) قال عن إسناد الطبرانى : وهذا إسناد صحيح ، رجاله -
كلهم ثقات رجال مسلم .

أجل ! إن اتباع السنة المطهرة لهو حتما ذو قيمة عالية ، ولا سيما أتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها ، فإن له قيمة أعلى وأسمى ، وبالأخص عند فساد الأمة ، إذ تشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة وإيمان قوى راسخ ، ذلك لأن الإلتباع المباشر للسنة المطهرة يذكر بالرسول الأعظم ﷺ ، فهذا التذکر الناشئ من ذلك الإلتباع ينقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية ، بل تتحول في الدقائق التي تراعى فيها السنة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية كأداب الأكل والشرب والنوم وغيرها ، إلى عمل شرعي وعبادة مثابة عليها ، لأن الإنسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد إلتباع الرسول ﷺ فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة ، ويتذكر أنه ﷺ صاحب الشريعة ، ومن ثم يتوجه قلبه إلى الشارع الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى فيغنم سكينه واطمئنانا ونوعا من العبادة .

وهكذا في ضوء ما تقدم فإن من يجعل إلتباع السنة السنوية عادته فقد حول عادته إلى عبادات ، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمرا ومثابا عليه . (١)

وفي النقطة الخامسة : علق على قول الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (٢) . مبينا أهمية السنة النبوية فقال :

" تعلن هذه الآية العظيمة إعلانا عن مدى أهمية إلتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها .. نعم ! إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبت من قسم القياس الاستثنائي ، ضمن المقاييس المنطقية ، إذ يرد فيه على وجه المثال : " إذا طلعت الشمس فسيكون النهار " .

ويرد مثلا للنتيجة الإيجابية : " طلعت الشمس فالنهار إذن موجود " . ويرد مثلا للنتيجة السلبية : " لا نهار فالشمس إذن لم تطلع " . فهاتان النتيجتان - الإيجابية والسلبية - ثابتتان وقاطعتان في المنطق .

وكذلك الأمر في الآية الكريمة ، فنقول : إن كان لديك محبة الله ، فلا بد من الإلتباع لـ " حبيب الله " . وإن لم يكن هناك إلتباع ، فليس لديك إذن محبة الله . إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما إلتباع السنة الشريفة لـ " حبيب الله " .

(١) للمعات . ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) آل عمران : (٣١) .

أجل ! إن من يؤمن بآئنه بضعه . ولا ريب أن أقصر طريق إليه وأكثر -
قبولا لديه ، وأزهدا استقامة - ضمن طرق الطاعة المؤدية إليه - لهى الطريق -
سلكيا وبينها حبيب الله ﷺ ، (١)
وفى النكتة السادسة من النعمة نفر من البدعة ، فذكر آثارها المضرة -
على الفرد والمجتمع على السواء . (٢)
وفى نفس النكتة ، ذكر مراتب السنة المطهرة ، وحكم اتباع كل مرتبة منها
فقال :

" إن لسنة المطهرة مراتب :

قسم منها "واجب" لا يمكن تركه ، وهو مبين فى الشريعة الغراء منصبا
وهو من المحكمات أى لا يمكن بأية جهة كانت أن تتبدل .
وقسم منها هو من قبيل "التوافل" وهذا بدوره قسمان :
قسم منه هو السنن التى تخص العبادات ، وهى مبينة أيضا فى كتب الشريعة
، وتغيير هذه السنن بدعة .

أما القسم الآخر فهو الذى خلق عليه "الأداب" ، وهى المذكورة فى كتب
السير الشريفة ، ومخالفتها لا تسمى بدعة ، إلا أنها من نوع مخالفة الآداب النبوية
وعدم الاستفاضة من نورها ، وعدم التأدب بالأدب الحقيقى : فهذا القسم هو : إتباع
أفعال الرسول ﷺ المعلومة بالتواتر فى العرف والعبادات والمعاملات الفطرية
ككثير من السنن التى تبين قواعد أدب المخاطبة وتظهر حالات الأكل والشرب والنوم
أو التى تتعلق بالمعاشرة - فمن يتحرر أمثال هذه السنن التى تطلق عليها "الآداب"
ويتبعها ، فانه يحول عاداته إلى عبادات ، ويستفيض من نور ذلك الأدب النبوى .
مراعاة أبسط الآداب وأصغرها تذكر بالرسول الأعظم ﷺ ، مما يسكب النور فى
القلب .

إن أهم ما فى السنة المطهرة هى تلك السنن التى هى من نوع علامات الإساءة

(١) التلمعات ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) انظر التلمعات ، ص ٨٦ .

والمترتبة بالشعائر ، إذ الشعائر هي عبادة من نوع الحقوق العامة التي تخص المجتمع .

فكما أن قيام فرد بعبادة يؤدي إلى استفادة المجتمع كله ، فإن تركها يجعل الجماعة كلها مسئولة . فمثل هذه الشعائر يعلن عنها وهي أرفع من أن تنالها أيدي الرياء وأهم من الفرائض الشخصية ولو كانت من نوع النوافل . " (١) ... وهكذا .

* وفي الكلمة التاسعة عشرة ، وهي التي تخص الرسالة الأحمدية ، تحدث النورسي عن نبوة النبي ﷺ - الركن الثالث في العقيدة الإسلامية كما سيأتي - مدعماً كلامه ببراهين قوية مفحمة لشبهات الملحدين المنكرين للنبوة المتهولين على النبي ﷺ . (٢)
يقول في مقدمة الكلمة :

" وما مدحت محمدا بمقالتى ، ولكن مدحت مقالتي بمحمد عليه الصلاة والسلام .
نعم ! إن هذه الكلمة جميلة ، ولكن الشوائب المحمدية التي تفوق الحسن هي التي جعلتها . " (٣) .

ويقول :

" إن ما يعرف لنا ربنا هو ثلاثة معرفين أدلاء عظام :
أوله : كتاب التكون ، الذي سمعنا شيئا من شهادته في " ثلاث عشرة لمعة " من لمعات " المثنوى العربي النورى " .

ثانيه : هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم ، وهو خاتم ديوان النبوة ﷺ .
ثالثه : القرآن الحكيم .

فعلينا الآن أن نعرف هذا البرهان الثانى الناطق ، وهو خاتم الأنبياء وسيد

مرسلين ﷺ ، وننصت إليه خاشعين " . (٤)

(١) المصدر السابق . ص ٨٦ - ٨٧ . (٢) راجع الكلمات . ص ٢٥٤ - ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق . ص ٢٥٤ . (٤) الكلمات . ص ٣٥٤ .

ثم شرع في التعريف به صلى الله عليه وسلم ، مقيماً البراهين على نبوته.

* وخصص الكلمة الحادية والثلاثين : للمعراج النبوي الذي أنكره اللادينون بغرض زعزعة العقيدة في أذهان الجيل الجديد في تركيا والذي سيطروا بقوة السلاح والإرهاب على توجييه وتربيته . وتضمنت الكلمة الحديث عن معجزاته صلى الله عليه وسلم وخاصة انشقاق القمر . (١)

* كما جعل الرسالة الثانية للمثنوي العربي أنثوري " رشحات من بحر معرفة النبي صلى الله عليه وسلم " : للحديث عنه وعن نبوته وكيف أنه السبيل إلى الله تعالى من خلال أربع عشرة رشحة . (٢)

* وفي المكتوب التاسع عشر ، تكلم عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وتطرق إلى ما سحر بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من خلاف في رسالة " المعجزات الاحمدية " . (٣)

وتلفت هذه الرسالة نظر القارئ إلى شيء مهم ، وهو أن النورسي - رحمه الله - اتبع في الحديث عن السيرة والتاريخ المنهج القرآني بعدم التمسك بالتسليم الزماني الذي اتبعته كتب السيرة والتاريخ ، فنراه يسلط الأضواء على مواقف معينة لاستخلاص العبر العظيمة التي تكتنفها .

يقول - على سبيل المثال - في الإشارة الخامسة من المكتوب التاسع عشر :
" فان قيل : ما حكمة تلك الفتنة الدموية الرهيبة التي أصابت الأمة الإسلامية في عصر الراشدين وخير القرون ، حيث لا يليق بأولئك الأبرار القدي وتزول المصائب وأين يكمن وجه الرحمة الإلهية فيها ؟ .

الجواب : كما أن الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع تنثر كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكثفها فتنتشر البذور وتطلق النوى .

(١) راجع التكمات . ص ٦٦٦ - ٧٠٦ .

(٢) راجع المثنوي . ص ٥٣ - ٧٩ .

(٣) راجع المكتوبات . ص ١١٧ - ٢٠٧ .

فتفتح أزهارها الخاصة بها ، ويتسلم كل منها مهمته الفطرية ، كذلك الفتنة التي ابتلى بها الصحابة الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين ، آثارت بذور مواهبهم المختلفة ، وحفزت نوى قابلياتهم المتنوعة ، فأندرت كل طائفة منهم وأخافتهم من أن الخطر محقق بالإسلام ، وأن الضرر ستشعب في صفوف المسلمين ، مما جعل كل طائفة تهرع إلى حفظ الدين والأدود عن حياض الإيمان ، فأخذ كل منهم على عهده مهمة من مهمات حفظ الإيمان وشمل الإسلام ، كل حسب قابليته ، فأنطلق بكل جد وإخلاص في هذا السبيل ، فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوي الشريف ، ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء ، ومنهم من قام بحفظ العقائد والحقائق الإيمانية ، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم .. وهكذا انضوت كل طائفة تحت مهمة وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الإيمان وصيانة الإسلام ، وسعت في سبيل أداء مهمتها سعيا حثيثا ، فتفتحت من البذور التي نثرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الأرجاء ، زهور بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الإسلام ، حتى غدا العالم الإسلامي رياضاً يانعاً بالورود والرياحين . إلا أنه - للأسف - زهرت بين تلك الرياض البديعة أشواك أهل البدع أيضا . وكأن يد القدرة الإلهية قد خضت ذلك العصر بجلال وهيبه ، وأدارته بشدة وعنف ، فأثارت الهمم وألهبت المشاعر لدى أهل الهمة والغيرة ، فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز ، كثيرا من أئمة المجتهدين والمحدثين والحفاظ والأصفياء والأقطاب الأولياء إلى أنحاء العالم الإسلامي وأجائهم إلى الهجرة .

وهيجت المسلمين شرقا وغربا وقتحت بصيرتهم ليغنموا من كنوز القرآن

وخزائنه . " (١)

ثانياً : مراعاة العصر في العرض

راعى الأستاذ النورسي العصر الذي عاش فيه ، فعرض دعوته بما يناسب

عقلية الجيل الذي قشى فيه الإلحاد بصورة مخيفة ، وقد شاهد ذلك بصورة واضحة

(١) المكتوبات . ص ١٢٩ .

في نهاية الدولة العثمانية بعد تمكن رجال الاتحاد والترقي من العباد والبلاد ،
واصفا ما شاهده حين زار أنقره : " دعيت لزيارة أنقره سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٢ م)
وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم بانحذار اليونان أمام الجيش الإسلامي ، إلا
أبصرت - خلال موجة الفرح هذه - زندقة رهيبية بخبيث ومكر ، وتتسلل بمفاهيم
الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها .. فتأسفت من أصح
روحي ، وصرخت مستغيثا بالله العليّ القدير ومعتصما بسور هذه الآية الكريمة
من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن يتعرض لأركان الإيمان ، فكتبت برهانا على
حادا يقطع رأس تلك الزندقة ، في رسالة باللغة العربية واستقيت معانيها وأفكارها من
نور هذه الآية الكريمة لإثبات بدهاه وجود الله تعالى سبحانه ووضوح وحدانيته ، وقد
طبعتها في مطبعة "بني كون" في أنقره .. إلا أنني لم ألمس آثار البرهان الرصين في
مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس . وسبب ذلك كونه مختصرا ومحصرا
جدا ، فضلا عن قلة الذين يتقنون العربية في تركيا وندرة المهتمين بها آنذاك ، لذا قد
انتشرت أوهام ذلك الإلحاد وانتشرت في صفوف الناس مع الأسف الشديد ، مما
اضطرنى إلى إعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية ، مع شيء من اليسر
والتوضيح فكانت هذه الرسالة " (٢)

وهذا يريدنا أن منهجه الذي سلكه لم يكن ترفا فكريا ولم يكن من فراغ ، وإنما
نابع من مواجهته لتصورات الفكر الجديد .

ومنهج الأستاذ النورسي في العرض أن يستلهم موضوعه من آية أو حد
آيات تتصدر الموضوع ، ثم يستهله بمقدمة مركزة تلخصه ، ثم يتدرج في الموضوع
توضيحا وتبسيطا مع ضرب الأمثال لعرض الفكرة وتجليتها للمستمع أو للقارئ .
مخالفا بذلك الطرق المعتادة لعرض الموضوع والتي تتدرج من البسيط إلى المعقد .

(١) يشير إلى قول الله تعالى الذي بدأ به كلامه : (قالت رسلهم ألقى الله شك فاطر السموات والأرض

إبراهيم : (١٠) :

(٢) النعمان ص ٢٦٧ .

فهو يبدأ موضوعه بما يصعب فهمه ويستغل على القارئ أو المستمع أمره فيثير عنده الانتباه ، ويشركه في فهم جوانب الموضوع وحل مغاليقه . فلا يدعه في موقف المتفرج أو المشاهد ، وإنما يرغمه على التتبع الجدى له ، كي يصل إلى الفهم المطلوب .

فالموضوع يتدرج بالوضوح رويدا رويدا ، فلا يشعر القارئ أو المستمع إلا وقد توصل إلى تذوق لذة تلك الآيات التي تصدرت الموضوع دون أن يجد في نفسه جائلا بينه وبينه ودون أن يشعر بملل أو ضجر ، وكأن الموضوع يأخذه في نزهة بين بساطين الإيمان ورياضه لاستشاق نسائمه فيشعر بالمعاني الدقيقة في القرآن الكريم ، ويعيش في أجولته المباركة ، فضلا عن أن كل موضوع يقيم عند القارئ أو المستمع أيضا بصورة متدرجة بناء تصوريا جديدا نابعا من القرآن الكريم ، بعد أن يهدم كثيرا مما بنته جاهلية الفلسفات أو الخرافات أو الأفكار والتصورات الخاطئة والتأفية في المجتمع ، ووسيلته في ذلك هي إقامة الحجج النظرية والبراهين الدامغة بحيث يسلم بها الإنسان حتى ولو كان من أعنى المعاندين .

كل هذا مع إشباع للروح وشفافية في اختيار الكلمات والتعبيرات ، وإطلاق للخيال في مجالاته ، وإشراق لروح الأمل ، وإثارة لكوامن التأمل والتفكير .^(١)
وقد قال : " إن رسائل النور درس قرآني يوافق أفيام هذا العصر . " ^(٢)
والحق أن هذا المنهج الذي سلكه النورسي ظهر عنده في كل جوانب المعرفة . وتجلى بوضوح في العقيدة ، بحيث يصح القول بأن النورسي صاغ نظرية جديدة في علم الكلام .

فكان حديثه عن أركان العقيدة الإسلامية قائما على المنهج التفصيلي الذي يدخل قارئه إلى جذور القضايا ، ويقدم خريطة كونية دقيقة تظهر عليها الكائنات إلى حد الخلايا البعيدة .. بعكس علماء الكلام السابقين الذين كانوا يخاطبون الفلاسفة وتلامذة العلم العقلي التجريدي ، فكانوا يعتمدون على الإيجاز الشديد ، والمقدمات

(١) أنظر يدع الزمان ، الصالحى ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الكلمات ، ص ٨٩٧ .

العقلية المصاغة ، والمصطلحات العلمية المعروفة ، لا يتجاوزونها .
بينما النورسي كان يخاطب أمة كاملة بخواصها وعوامها وكبارها وصغارها ورجل
ونسائها ، وقعت في برائن خدعة حضارية مادية شاملة ، فتكت بعقول
أبنائها وقلوبهم وسلوكهم ودخلت في تفاصيل حياتهم بطرائق مغرية . فكان متبحر
يعتمد على المخطط الشامل المتنوع الدقيق الذى قد يكون مملا عند من لا علم له
بحقيقة ما كان يعانيه من الصراع فى المعركة ذات الوجوه المتعددة بين الأمة
الإسلامية والحضارة المادية الحديثة . (١)

والدارس لحياة النورسي يجده ، قد درس فى ظل منهجية التعليم فى زمانه
علوما شتى ، وهى مسالك متنوعة لإيصال الإنسان إلى الله الخالق سبحانه وتعالى .
فهو قد درس الكتب الكلامية المعروفة فى زمانه كعقائد "الجرجاني" ، و "التفتازاني" و
"النسفي" التى تثبت وجود الله عبر مقدمات مطولة مخلوطة بنقولات فلسفية معقدة .
تجريدية ، لا تورث اليقين الكامل ، وإنما قد يدفع شغف المتفلسفة عن العامة .

وكذلك كتب الفلسفة التى تعرض دليل الوجوب والإمكان ، الذى لا يقل تعقيد
وتجريدا عن دليل الحدوث الكلامي ، وكذلك درس كتب التصوف التى تسلك مسلك
وجوديا أو شهوديا فى الوصول إلى الله .

غير أنه لم يقتنع بأى طريق من تلك الطرق فى دعوته لإنقاذ الإيمان ، وبع
اتبع طريق القرآن وحده للوصول إلى الله ، لأنه أقرب الطرق إلى إثارة الفطرة
الإنسانية ، وتحريك العقول الباحثة عن الحق ، والقلوب العامرة بالتوثب الدائم وأكث
الطرق انطباقا على آيات الأنفس والآفاق . (٢)

وقد حدد طريقه فى هذا المجال منذ أن ألف رسالة : " نقطة من نور معرفة
الله جل جلاله " (٣) فى أوائل حياته الفكرية والدعوية .

(١) النورسي متكلم العصر . د/ محسن عبد الحميد ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٣) راجع المشوى العربى . ص ٤١٩ - ٤٣٤ .

يقول :

" وهناك أصول أربعة للعروج إلى عرش الكمالات ، وهو " معرفة الله " جل

جلاله :

أولها : منهج الصوفية ، المورس على تركية النفس والسلوك الإشرافي ،
ثانيها : منهج علماء الكلام المبني على " الحدوث والإمكان " في إثبات
واجب الوجود .

ومع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم ، إلا أن البشر قد أفرغهما
في صور شتى ، لذا أصبحا منيجين طويلين ، وذوى مشاكل ، فلم يبقيا مصانين من
الأوهام والشكوك .

ثالثها : مسلك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام .

رابعها وأولها : طريق القرآن الكريم الذى يعلنه ببلاغته المعجزة ، وبجزالته
أساطعة ، فلا يواريه طريق فى الاستقامة والشمول ، فهو أقصر طريق إلى الله ،
وأقرب إلى الله ، وأشمله لنبى الإنسان .^(١)

انه بذلك لم ينقص علم الكلام والتصوف - الصحيح - كمصادر للمعرفة ،
إلا أنه عدلها قاصرين وتاقصين إذا ما عرضا أمام المنهج القرآنى الحكيم .. يقول فى
المنهج الرابع من " المکتوب السادس والعشرين " :

" حقا ! إن معرفة الله المستنبطة بدلائل " علم الكلام " ليست هى المعرفة
كاملة ، ولا تورث الاطمئنان التلبى ، فى حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على
سبيل القرآن الكريم المعجزة فإنها تصحح معرفة تامة ، وتسكب الاطمئنان الكامل فى
قلب ...

وكما أن معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة ... فإن
معرفة الناجحة عن طريق المتصوف أيضا ناقصة ومبتورة بالنسبة لنفسها أمام
معرفة المستقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل " ورثة الأنبياء " .

(١) تحوى العربى ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

وقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين --
يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال :
إنه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي بواسطة أنابيب من مكان يحفره في أسفل الجبل ، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا ، ويفجرونه أينما كانوا .
فالأول : سير في طريق وعر وطويل والماء معرض فيه للانقطاع والسـ...
... وهذا هو مسلك علماء الكلام ، إذ يثبتون واجب الوجود باستحالة الدور والتسلسل
غير المتناهي للأسباب .

أما منهج القرآن الحكيم ، فهو يجد الماء ويفجره في كل مكان ، ويبسر كـ -
فكل آية من آياته الجليلة تفجر الماء أينما ضربت - كعصا موسى - وتستقرئ
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

... ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم فحسب ، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان
لها حظها من الإيمان ، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف
العروق حسب كل عضو من الأعضاء ، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق
العلم ، إذا ما دخلت معدة العقل والفهم ، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح
والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ حصتها منها ، وتمصها حسب درجتها .
فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذائها المناسب ، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة
وتظل تلك اللطيفة محرومة منها . (١)

وانطلاقاً من هذا المنهج كان حديثه عن أصول الإيمان ولا سيما وجوده -
تعالى ، وقد أرحى لنفسه العنان في الحديث عنها لصد الهجمة الإلحادية المنتشرة في
زمانه ، وخاصة حول هذا الموضوع الخطير .

فنراه يتحدث عن الإيمان بأسلوب مشرق في مقدمة "المكتوب العشرين"

(١) المكتوبات . ٤٢٤ - ٤٢٦ ، بديع الزمان . الصالحى ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

فيقول :

" اعلم يقينا أن أسمى غاية للخلق ، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية .. هو الإيمان بالله " .. واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية ، وأفضل مقام للبشرية .. هو معرفة الله " التي في ذلك الإيمان .. واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن ، وأعلى نعمة .. هو "محبة الله" النابعة من تلك المعرفة .. واعلم أن أسمى سرور لروح الإنسان ، وأبقى بيجة لقلبه .. هو "اللذة الروحية" المترشحة من تلك المحبة .

أجل إن جميع أنواع السعادة الحقة ، والسرور الخالص ، والنعمة التي ما بعدها نعمة ، واللذة التي لا تفوقها لذة ، إنما هي في "معرفة الله" .. في "محبة الله" .. فلا سعادة ولا مسرة ، ولا نعمة حقا بدونها .

فكل من عرف الله تعالى حق المعرفة ، وملاً قلبه من نور محبته ، سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي ، ولنعمة لا تنتضب ، ولأنوار وأسرار لا تتفد ، وسينالها إما فعلاً وواقعاً أو استعداداً وقابلية . بينما الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة ، ولا يكن له ما يليق من حب وود ، يصاب بسقاء مادي ومعنوي دائمين ، ويظل يعاني من الآلام والأوهام مالا يحصر ، (١)

كما نراه يقيم الأدلة المتنوعة على وجود الله سبحانه وتعالى الذي شهد هجمة شرسة خاصة من الملحدين الشيوعيين الذين راح باطلهم على زمانه ، وذلك بأسلوب عصري يفهمه بيسر وسهولة أبناء عصره ، ومن الأدلة التي سأقيا :

(أ) الدليل العلمي :

عاش النورسي في عصر غدا العلم فيه أبرز مظهر من مظاهر الحضارة الحديثة ، حيث اقتحم مجالات الحياة كلها ، محاولاً اكتشاف قوانينها من الذرة إلى المجرة ، ولم يكن يعيش ككثير من العلماء بمعزل عن تلك التطورات والإنجازات الرائعة ، فاطلع عليها وقرأها قراءة متفحصة ، فاستعمل نتائجها وقوانينها أدلة معجزة على وجود الخالق العظيم .. يظهر ذلك في كل صفحة من صفحات

(١) المكتوبات . ص ٢٨٩ .

فنجده - مثلا - في الموقف الأول من الكلمة الثانية والثلاثين ، يوجه خطب للمسلمين مقيما الحججة على الملحدين من عبدة الطبيعة والمعتقدين بتأثير الأرواح والمشركين .. فيفترض شخصا يمثل الشركاء الذين يتوهمهم هؤلاء ، وينير حربه بينه وبين الذرة ، وكرات الدم ، والخلية ، والجسم الإنساني ، والزهور ، والنبات الأرضية ، والشمس ، والنجوم ، وكلها في هذا الحوار تنطق بالحق المبين ، ويحذرونهم ويفهم ويخرس أسنتهم .

فمن ذلك قوله في الحوار الذي تم مع كرات الدم الحمراء والخلية في الجسد " وعندما يتس داعية الشرك من الذرة ، قابل كرية حمراء من الدم ، عليه يظفر - بشيء . فقال لها بلسان الأسباب ولغة الطبيعة ومنطق الفلسفة :

- أنا لك رب ومالك ! .

فردت عليه الكرية الحمراء بلسان الحقيقة وبلغة الحكمة الربانية : إنني - وحيدة منفردة ، فأنا وأمثالي جميعا في جيش الدم الكثيف ، نظامنا واحد ، ووظائفنا موحدة ، نسير تحت إمرة أمر واحد . فإن كنت تقدر على أن تملك زمام جميع ما في الدم من أمثالي ، ولك حكمة دقيقة وقدرة عظيمة تحكمان سيطرتهما على جميع خدات الجسم التي نجول فيها ونستخدم لإنجاز مهمات فيها بكل حكمة وانتظام ، فيجاب فربما يكون عندئذ لدعواك معنى ، ولكنك أيها المدعى لا تملك سوى قوة عبث وطبيعة صماء ، فلا تقدر على أن تتدخل في شؤوننا ولو بمقدار ذرة ، فضلا عن ادعاء التملك علينا ، لأن النظام الذي يهيمن علينا دقيق وصارم إلى حد لا يمكن يحكمنا إلا من يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويعلم كل شيء ويفعل ما يشاء . ولهذا فاسكت . إذ لا تدع وظائفنا الجلييلة ودقتها ونظامها مجالا لنا لنسمع هذرك هكذا تطرده الكرية الحمراء . " (١)

ويقول : " ولما لم يجد ذلك المدعى بغيته فيها . ذهب فقابل خلية في الجسم فقال لها بمنطق الفلسفة ولسان الطبيعة :

(١) الكلمات ص ٧٠٩ - ٧١٠ .

لم أتمكن من أن أسمع دعواى إلى الذرة ، ولا إلى الكرية الحمراء ، فلعلى أجد منك أذنا صاغية ، لأنك لست إلا حجيرة صغيرة حاوية على أشياء متفرقة !
ولهذا فإننى قادر على صنعك . فكونى مصنوعتى ومملوكتى حقاً !
فقالته له الخلية بلغة الحكمة والحقيقة :

إننى صغيرة جداً حقاً ، ولكن لى وظائف جليلة وجسيمة ، ولى علاقات وروابط وثيقة ودقيقة جداً مع جميع خلايا الجسم . فلى وظائف متقنة مع جميع الأوعية الدموية من شرايين وأوردة وأعصاب محركة وحسية ، ومع جميع القوى التى تنظم الجسم كالقوة الجاذبة والدافعة والمولدة والمصورة وأمثالها ، فإن كان لك أيها المدعى علم واسع وقدرة شاملة تنشئ تلك العروق والأعصاب والقوى المودعة فى الجسم ، وتتسقها وتستخدمها فى مهماتها .. وكذا إن كانت لديك حكمة شاملة وقدرة نافذة تستطيع أن تتصرف فى شئون أخواتى من خلايا الجسم كلها ، والتى تتشابه فى الإتقان والروعة النوعية ، فهيا أظهرها ، ثم ادع بأنك تتمكن من صنعى . وإلا فأغرب عنا ، فإن الكريات الحمر تزودنى بالأرزاق ، والكريات البيضاء تدافع عنى تجاه الأمراض المهاجمة . فلى أعمال جسام ، لا تشغلنى عنها ، فإن عاجزا قاصرا أعمى مثلك ليس له حق التدخل فى شئوننا الدقيقة أبداً ، لأن فىنا من النظام المحكم الكامل مالو يحكمنا غير الحكيم المطلق والتقدير المطلق والعليم المطلق ، لفسد نظامنا وانفرط عقدنا " (١) .. وهكذا ...

(ب) دليل الحدوث :

يعرض النورسى هذا الدليل بأسلوب مناسب لعقلية عصره ، يبعد به عن المصطلحات التجريدية القديمة " الجوهر والعرض " وينزل به إلى مستوى الدليل المحسوس ، لإيصال الناس إلى معرفة الله تعالى .

فمن ذلك قوله فى النافذة الثلاثين من الكلمة الثالثة والثلاثين :

" أما بصدد "الحدوث" فقد قال علماء الكلام : إن العالم متغير ، وكل متغير حادث ، وكل محدث لا بد له من محدث ، أى : موجد ، لذا فالكون لا بد له من موجد قديم " .

(١) المصدر السابق . ص ٧١٠ - ٧١١ .

وتحنّ نقول :

نعم ، إن الكون حادث ، حيث تشاهد في كل عصر وفي كل سنة بل في كل موسم عالما يرحل ويحط آخر مكانه ، ثمضى كائنات ، وتأتى أخرى . فالتدوير الجلال هو الذى يوجد هذا العالم من العدم في كل سنة ، بل في كل موسم ، بل في كل يوم ، ويعرضه أمام أرباب الشعور ثم يأخذه إلى الغيب ، ويأتى مكانه يبتدئ وهكذا ينشر الواحد تلو الآخر في تعاقب مستمر ، معلقا تلك العوالم بشكل مأسس على شريط الزمان .

فترى الربيع معجزة باهرة من معجزات التقدير الجليل ، يوجد فيه الأشياء من "العدم" ويجدد تلك العوالم الشاسعة من غير شيء مذكور . فالذى يبذل تلك العوالم ويجدها ضمن العالم الأكبر ، ليس إلا رب العالمين الذى بسط سطح الأرض من عامرة لضيوفه الكرام . (١)

(ج) دليل الضرورة الكونية :

يحتاج هذا الكون إلى قيوم قائما بذاته ، دائما بذاته ، باقيا بذاته ، وتكفى الأشياء والموجودات قائمة به ، تدوم به ، تبقى في الوجود به .

فلو انقطع هذا الانتساب للقيومية من الكون بأقل من طرفة عين يمحي تكامله .. هذه الضرورة الكونية المتلازمة تأتي عند النورسى من أن عدم الإيمان بالخالق يستلزم منطقيا الإيمان بمليارات المليارات من الخالقين في الوجود كله . وما محال ولا ضرورة عقلية تستدعيه ، لأن الإيمان به ينتهى إلى فساد عظيم فى نفسى والى اضطراب عظيم فى الكون . (٢)

وهو ينسج هذا الدليل شيئا فشيئا عبر حديث رائع عن مشاهد الكون وعجب المعجز فيقول :

" فلا بد لهذا الكون العظيم من خالق حكيم عليم قدير مطلق ، لأن هذا الكون إنما هو كالفصل البديع ، الشمس والقمر مصابيحها ، والنجوم شموعه وقناديلها . والزمّن شريط يعلق عليه الخالق ذو الجلال - فى كل سنة - عالما آخر يبرهن للوجود ، مجددا فيه صورة منتظمة فى ثلاثمائة وستين شكلا

(١) الكلمات . ص ٨٢٥ .

(٢) النورسى متكلم العصر الحديث . ص ١١٧ .

وطرازاً ، مبدلاً إياه بانتظام تام ، وحكمة كاملة ، جاعلاً سطح الأرض مائدة نعم ، يزيناها في كل ربيع بثلاثمائة ألف نوع من أنواع مخلوقاته ، ويملؤها بما لا يعد ولا يحصى من آلائه ، مع تمييز كل منها تمييزاً كاملاً ، على الرغم من تداخلها وتشابكها ... وقس على هذه الأشياء الأمور الأخرى .. فكيف يمكن التغافل عن صانع مثل هذا القصر المنيف ؟

ثم ، ما أعظم بلاهة من ينكر الشمس في رابعة النهار ، وفي صحوة السماء ! في الوقت الذي يرى تلالؤ أشعتها ، وانعكاس ضوءها ، على زبد البحر وحبابه ، وعلى مواد البر اللامعة ، وعلى بلورات الثلج الناصعة ، لأن إنكار الشمس الواحدة ورفضها - في هذه الحالة - يستلزم قبول شمسيات حقيقية أصيلة ، بعدد قطرات البحر ، وبعدهد الزبد والحباب ، وبعدهد بلورات الثلج ! ومثلما يكون قبول وجود شمس عظيمة في كل جزيرة - وهي تسع ذرة واحدة - بلاهة ، فان عدم الإيمان بالخالق ذي الجلال ورفض التصديق بأوصاف كماله سبحانه ، مع رؤية هذه الكائنات المنتظمة المتبدلة ، والمتعاقبة بحكمة في كل آن ، والمتجددة بتناسق وانتظام في كل وقت - ضلالة أدهى ولاشك ، بل هذيان ، وجنون . لأنه يلزم إذ ذلك قبول ألوهية مطلقة في كل شيء حتى في كل ذرة ! . " (١)

إلى أن يقول :

" واعلم أن عدم الاعتقاد بالإله الواحد يستلزم الاعتقاد بألهة عدة ، بعدم الموجودات ! . " (٢)

(د) دليل الحياة :

حاول العلماء في العصر الحديث أن يصلوا إلى سر الحياة ، وكيفية تحرك الخلية ، فلم يستطيعوا ، فحارت عقولهم ، وانكست محاولاتهم المخبرية في الوصول إلى أي بصيص يدلهم على كيفية بدء الحركة في الكون .

(١) الكلمات . ص ٦١

(٢) المصدر السابق . ص ٦٢ .

وبما أن الكثيرين منهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، فهم لم يعتبروا بظاهر حركة الحياة ، ولم يستعملوا عقولهم فى الوصول إلى من حركها ورجح حركتها على عدمها .. ولكن النورسى الذكى اللماح يلتقط هذه الحركة ، فيستدل بها على الخلق العظيم ، فيقول فى القطعة الثانية من ذيل الكلمة العاشرة .

" ثم ، إن تالؤ المواد اللماعة على سطح الأرض ، وتلمع الفقاعات والحب والزبد على سطح البحر ، ثم انطفاء ذلك التالؤ والبريق بزوال الفقاعات ولمع تعقبها كأنها مرايا لشميسات خيالية ، يظهر لنا بداهة أن تلك اللمعات ما هى إلا تجلى انعكاس شمس واحدة عالية . وتذكر بمختلف الأسننة وجود الشمس ، وتشير إليـب بأصابع من نور .. وكذلك الأمر فى تالؤ ذوى الحياة على سطح الأرض وفى البحر ، بالقدرة الإلهية ، وتجلى اسم "المحى" للحى القيوم جل جلاله ، واختفائها من وراء ستار الغيب لفسح المجال للذى يخلفها - بعد أن رددت "ياحى" - ما هى إلا شهادات وإشارات للحياة السرمدية ، ولوجوب وجود الحى القيوم سبحانه وتعالى .

وكذا ، فإن جميع الدلائل التى تشهد على العلم الإلهى الذى تشاهد آثاره من تنظيم الموجودات ، وجميع البراهين التى تثبت القدرة المتصرفة فى الكون ، وجميع الحجج التى تثبت الإرادة والمشينة المهيمنة على إدارة الكون وتنظيمه ، وجميع العلامات والمعجزات التى تثبت الرسالات التى هى مدار الكلام الربانى والوحى الإلهى .. جميع هذه الدلائل التى تشهد وتدل على الصفات الإلهية انسبع الجليلة ، تشهد أيضا بالاتفاق على حياة " الحى القيوم " سبحانه ، لأنه لو وجدت الرؤية فى شىء فلا بد أن له حياة أيضا ، ولو كان له سمع فذلك علامة الحياة ، ولو وجد الكبد فهو إشارة إلى وجود الحياة ، ولو كان هناك الاختيار والإرادة فتلك مظاهر الحياة . وهكذا فإن جميع دلائل الصفات الجليلة التى تشاهد آثارها ويعلم بداهة وجود الحقيقى ، أمثال القدرة المطلقة ، والإرادة الشاملة ، والعلم المحيط ، تدل على حية الحى القيوم " ووجوب وجوده ، وتشهد على حياته السرمدية التى نورت بشعاع منب جميع الكون وأحييت بتجل منها الدار الآخرة كلها بذراتها معا .. " (١) ... الخ

(١) الكلمات . ص ١١٧ - ١١٨ .

(هـ) دليل الإمكان :

يقول النورسي رحمه الله في هذا الدليل : أما جهة " الإمكان " فهو الآخر قد استولى على الكون وأحاط به ، إذ نشاهد أن كل شيء سواء أكان كليا أم جزئيا أم كبيرا أم صغيرا ، وكل موجود من العرش إلى الفرش ، ومن الذرات إلى السيارات ، إنما يرسل إلى الدنيا ، بذاتية خاصة ، وبصورة معينة ، وبشخصية متميزة ، وبصفات خاصة ، وبكيفيات حكيمة ، وبأجهزة ذات مصالح وفوائد ، والحال أن إعطاء تلك الخصوصية ، لتلك الذات الخاصة ولتلك انماهية ، من بين إمكانات غير محدودة .. وكذا إكساء تلك الصورة المعينة ذات النقوش والعلامات الفارقة المتناسبة من بين إمكانات واحتمالات عديدة ، بعدد الصور .. وكذا تخصيص تلك الشخصية اللابئة بانتقاء متميز لذلك الموجود المضطرب بين إمكانات بقدر أشخاص بنى جنسه .

وكذا تمكن صفات خاصة ملائمة ذات مصالح في ذلك المصنوع الذي ليس له شكل ، والمتعدد ضمن إمكانات واحتمالات بعدد أنواع الصفات ومراتبها .. وكذا تجهيز ذلك المخلوق بتلك الكيفيات ذات الحكمة ، وتقليده بتلك الأجهزة ذات العناية التي من الممكن أن تكون في طرق شتى وطرز غير محدودة ، وهو المتحير السائب بلا هدف ضمن ما لا يحد من الإمكانات والاحتمالات .. إن جميع هذه الإشارات والدلالات والشهادات ، الصادرة من حقيقة " الإمكان " تشكل بلا شك أحد جناحي هذه الشهادة العظمى للكون ، لأنه بعدد جميع الممكنات الكلية والجزئية ، وبعدد إمكانات كل ممكن - مما ذكر - من ماهية وهوية ، وماله من هيئة وصورة ، وما يتميز به من صفة ووضعية ، هناك إشارات ودلالات وشهادات على وجود واجب الوجود سبحانه ، الذي يخصص ويرجح ويعين ويحدث ، ولا حد لقدراته ، ولا نهاية لحكمته ، ولا يخفى عليه شيء ولا شأن ، ولا يعجزه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، فأكبر شيء عنده يسير كأصغره . وهو القادر على إيجاد ربيع يبسر إيجاد شجرة ، وعلى إيجاد شجرة بسهولة إيجاد ذرة . " (١) إنخ ...

(١) الشعاعات . ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(و) دليل العناية والغاية :

لو نظرنا في الكون نظرة دقيقة عميقة وجدنا عناية فائقة تظهر على كل شيء من ذراته وكل حركة من حركاته . وبجانب ذلك فان كل شيء ينتهي إلى شيء واضحه ، وجد لأجلها ، وهي ملاحظة مستقرأة في مجالات الوجود كلها .

يقول النورسي : " إن جميع الآيات الكريمة التي تعد منافع الأشياء ، وتتكبر

حكمها ، هي نساجة لهذا الدليل ، ومظاهر لتجلي هذا البرهان .

وزبدة هذا الدليل هي : إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات ، وما في

من رعاية المصالح والحكم ، إذ النظام المندمج في الكائنات ، وما فيه من رعاية المصالح والحكم ، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة ، وينفي نفياً قاطعاً وهم المصادفة والاتفاق الأعمى . لأن الإتقان لا يكون دون اختبار . فكل علم من العلوم الكونية شاهد صدق على النظام ، ويشير إلى المصالح والثمرات المتنبئة كالعناقيد في أغصان الموجودات ، ويلوح في الوقت نفسه إلى الحكم والفوائد المستترة في ثنايا انقلاب الأحوال وتغير الأطوار .

فان شئت فانظر إلى علم الحيوان والنبات . فقد ثبت فيهما أن الأنواع التي

يزيد عددها على مائتي ألف نوع ، كل له أصل معين ، وجد أكبر - مثلما الإنسان له أصل وهو آدم عليه السلام - وكل فرد من هذه الأنواع الوفيرة كأنه ماكينة بديعة عجيبة تبهر الأفهام . فلا يمكن أن تكون القوانين الموهومة الاعتبارية والأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة ، موجدة لهذه السلاسل العجيبة من الأفراد والأنواع . أي أن كل فرد ، وكل نوع ، يعلن بذاته أنه صادر مباشر من يد القدرة الإلهية الحكيمة .

ويذكرنا القرآن الكريم بهذا الدليل ، في قوله تعالى : (فارجع البصر هل ترى

من فطور) (الملك : ٣) بل يبينه على أفضل وأكمل وجه ، إذ كما أنه يأمرنا بالتفكير

في المخلوقات ، فانه يقرر في الأذهان هذا الدليل - دليل العناية -

بتعداده الفوائد والنعم ، ومن بعد ذلك الإحالة إلى العقل في خواتيم الآيات وفواصلها

فيتنبه العقل ويحرك الوجدان في أمثال هذه الآيات :

(.. أولا يعلمون) (.. أفلا تتذكرون) (فاعتبروا) (١) " ... الخ ...

(١) المثنوى العربي . ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(ز) دليل الاختراع :

يقول النورسي فيه :

" إن الله تعالى أعطى لكل فرد ، ولكل نوع ، وجودا خاصا ، هو متشأ آثاره المخصوصة ، ومنبع كمالاته اللائقة ، إذ لا نوع يتسلسل من الأزل . لأنه من الممكنات ولبطان التسلسل . وأن الحقائق لا تتقلب بل ثابتة ، والأنواع المتوسطة لا تدوم سلاسا ، أما تحول الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق ، إذ ما يسمونه من تغيير صور المادة ما هو إلا حادث ، لأن حدوث بعضها مشهود ، وبعضها الآخر يثبت بالضرورة العقلية . فالقوى والصور من حيث إنها عرضية لا تشكل التباين الجوهرى الموجود فى الأنواع . فلا يكون العرض جوهرًا ، ففصائل الأنواع إذا وميزات عموم الأعراض وخواصها قد أبدع واخترع من العدم البحث ، أما التناسل فى السلسلة فهو من الشرائط الاعتبارية الاعتيادية . فإيا عجبًا كيف تستوعب أذهان الضلالة أزلية المادة - وهى تنافى الأزلية قطعًا - بينما تعجز تلك الأذهان عن إدراك أزلية الخالق الجليل التى هى من ألزم صفاته الضرورية ؟

ثم كيف وجدت الذرات المتناهية فى الصغر قوة وثباتًا بحيث تقاوم أوامر القدرة الإلهية ، وتبقى أزلية ، بينما الكون بعظمته منقاد إلى تلك الأوامر انقياد طاعة وخضوع ؟ وكيف يسند الإبداع والإيجاد - وهما من خواص القدرة الإلهية - إلى أعجز شئ وأهونه وهو الأسباب ؟ .. " (١)

(ح) الوجدان الحى " الفطرة الشاعرة " :

فى الوجدان البشرى ينبعث صوت يشد الإنسان شدا قويا إلى الله تعالى ، ويكاد كل صاحب وجدان شاعر يتدفق منه هذا الشعور ، لا سيما فى أوقات الصفاء والتأمل والتفكير .

ويلفت النورسي من خلال تجاربه العميقة إلى هذه الحقيقة ، ويجعلها دليلا

على وجود الله تعالى ، يقول :

" فلكى تحيط بهذا البرهان أمعن النظر فى النكات الدقيقة الآتية :

(١) المشوى العربى . ص ٤٢٩ .

أولاًها : أن الفطرة لا تكذب ، ففي البذرة ميلان للنمو ، إذا قال : سأنتب ، سأثمر .
فهو صادق . وفي البيضة ميلان للحياة ، إذا قال : سأكون فرخاً ، فيكون بإذن الله .
وهو صادق . وفي البيضة ميلان للحياة ، إذا قال : سأكون فرخاً ، فيكون بإذن الله .
وهو صادق . وإذا قال ميلان التجمد في غرفة من ماء : سأحتل مكاناً أوسع ، فلا
يستطيع الحديد - رغم صلابته - أن يكذبه ، بل صدق قوله يفتت الحديد . فيذهب
الميول إنما هي تجليات الأوامر التكوينية الصادرة من الإرادة الإلهية .

النكتة الثانية : لا تقتصر حواس الإنسان الظاهرة والباطنة على الحواس
الخمسة المعروفة ، حاسة السمع والذوق والبصر .. الخ ، وإنما له نوافذ كثيرة مقلية
إلى عالم الغيب ، فله حواس كثيرة غير معلومة . فحاسة السوق وحاسة الشوق لديه
حواس لا تكذب ولا تنزل .

النكتة الثالثة : لا يمكن أن يكون شيء موهوم مبدءاً لحقيقة خارجية . فنقطة
الاستدراك والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزان في الفطرة والوجدان ، حيث يت
الإنسان مكرم وهو صفوة المخلوقات ، فلولاها لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين .
بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يرد هذا الاحتمال .

النكتة الرابعة : أن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمز
عمله ، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه ، ويتأمل فيه ويتوجه إليه
والحدس - الذي هو سرعة انتقال في الفهم - يحركه دائماً . وكذا الإلهام - الذي
هو الحدس المضاعف - ينوره دوماً . والعشق الإلهي يسوقه ويدفعه دوماً إلى معرفة
الله تعالى ، ذلك العشق المنبعث من تضاعف الشوق المتولد من تضاعف الرغبة
الناشئة من تضاعف الميلان المغروز في الفطرة . فالانجذاب والجذبة المغروز في
الفطرة ليس إلا من جاذب حقيقي . " (١)

إلى أن يقول : " وهكذا فشهادة هذه البراهين الأربعة العظيمة القاطعة تكلمت
على : أن الخالق الجليل كما أنه واجب الوجود ، أزلي ، واحد ، أحد ، فرد صمد .
عليم ، قدير ، مرید ، سميع ، بصير ، متكلم ، حي ، قيوم ، فهو متصف كذلك بجميع

(١) المشوى العربي . ص ٣٠ - ٣١ .

الأوصاف الجلالية والجمالية ، لأن ما في المخلوقات من فيض الكمال إنما هو مقتبس من ظل تجلى كمال خالقه الجليل ، فبالضرورة يوجد في الخالق سبحانه من الحسن والجمال والكمال ما هو أعلى بدرجات غير متناهية وبمراتب مطلقة من عموم ما في الكائنات من الحسن والكمال والجمال . ثم إن الخالق سبحانه منزّه عن كل النقائص ، لأن النقائص إنما تنشأ عن افتقار استعداد ماهيات الماديات وقابلياتها ، وهو سبحانه وتعالى منزّه عن الماديات ، مقدس متعال عن لوازم وأوصاف نشأت عن إمكان ماهيات الكائنات . (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى : ١١) . (١)

وهكذا نرى الأستاذ النورسي ينطلق من الحديث عن واجب الوجود جل وعلا والأدلة المتنوعة على ذلك ، إلى الحديث عن أسمائه وصفاته سبحانه المتجلية في الوجود كله ، لأن حقائق الموجودات تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى . (٢)

وهو في هذا قد نهج منهج الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله في بيان حقائق هذه الأسماء وتصيب الإنسان من كل اسم . وإن كان النورسي من منظور عصره انطلق بهذه الأسماء الحسنى إلى فتوحات ربانية ، ألهمه الله تعالى فيها إلى فتح مغاليق أسرار كونية وإنسانية واجتماعية في تلك الأسماء المقدسة ، ذات الصلة الوثيقة بصفات الله سبحانه وتعالى التي أشرقت على الكون ، فأنارته بعد ظلمة وأخرجته إلى الوجود بعد عدم . (٣)

وقد حظيت بقية أركان العقيدة باهتمام النورسي ، حيث سار على نفس المنهج الذي سلكه في الركن الأول منها .

✽ فنراه يتحدث عن اليوم الآخر ويوليه عنايته ، لأنه من ناحية :

موضوع الذي أولاه القرآن الكريم عنايته بعد وجود الله ووحدانيته .. ومن ناحية ثانية : لأن عصره عصر شك مخيف في غيبات الإسلام كلها ، ومنها الآخرة ، فقد ظهر الإنكار والاستهزاء بآيات الله في أمور الدنيا والآخرة .. ومن ناحية ثالثة : فإن دُعاة الإسلام على الجملة قد يرد إيمانها بالآخرة ، فلم يعد أبنائها يهزهم خبر اليوم

(١) المثوى العربي . ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٢) أنظر الكلمات . ص ٧٤٩ .

(٣) النورسي متكلم العصر . ص ١٣٣ .

الآخر ، ولم يعودوا يعملون لذلك اليوم العظيم ، فابتعدت حياتهم عن أن توزن بميزان الإسلام الحق .. فأراد النورسي أن يرجعهم إلى الحق ويثبت لهم وجود ذلك الله كأنهم يرونه ، كي يهز أعماقهم ، ويحرك وجدانهم ، من أجل العودة إلى الله تعالى والتحضير ليوم الطامة الكبرى . (١)

لهذا خصص فصلا عما هو ميثوث في بقية الرسائل رسالة أسعد "رسالة الحشر" (٢) جعلها للحديث عن اليوم الآخر وما فيه .. ولجأ فيها إلى استقرارات تفصيلية من حياة الناس اليومية ، ومشاهد الطبيعة المنظورة والتحليلات الفكرية التجريدية لينسج منها بلغة العصر ومصطلحاتها دليل ضرورة يوم الحساب . وهو يكتب بتفاصيل تحيط بجوانب القضية كلها ، بحيث يفهمها كل ذي عقل سليم ، وكل ذي فكر ثاقب ، سواء أكان فيلسوفاً أو متقفاً أو أمياً ، كل بقدر ما أتاه من العقل والفضل والحكمة ، وهو لا يكتفي بالأدلة العقلية وإنما يلجأ إلى استقرارات قانون الهدم والبناء في حياتنا كلها ، ليستخلص منها الدليل العلمي القاطع على أن المجتمع الإنساني يستحيل أن يشذ عن القاعدة ، لأنه جزء من الوجود الذي حوله . *

كما نراه يتحدث عن الركن الثالث للعقيدة الإسلامية " النبوة " الذي أنكرته الفلسفة المادية المعاصرة أيضاً .. وقد سرى هذا الداء الخطير إلى بعض أبناء الملة الإسلامية الذين تأثروا بتلك الفلسفات ، فنشروها بين المسلمين ، ولاسيما في عهد الانقلابات الكمالية . ولذلك اهتم " النورسي " ببيان هذا الركن من أركان العقيدة الإسلامية وناقشها مناقشة عقلية وعلمية في غاية القوة والإقناع ، في أكثر من رسالة ، ولاسيما الكلمة التاسعة عشرة " التي تخص " الرسالة الأحمديّة " والتي سبق الحديث عنها وينفس منهجه في الركنين السابقين .

* وخصص " للقدر " الركن الرابع من أركان العقيدة ، الكلمة السادسة والعشرين .

(١) المرجع السابق . ص ١٤٤ .

(٢) راجع الكلمات . ص ٤٧ - ١٢٨ .

(٣) النورسي متكلم العصر . ص ١٤٥ .

وهي رسالة القدر " (١) .

والنورسى عندما يتحدث عن القدر لا يخالف المعنى المتفق عليه بين المدارس الإسلامية . غير أن معالجاته للقدر عليها مسحته الخاصة في تناول الأمور الفكرية بتعمق وشمولية ، وإخراجها من برجها العاجى التجريدي ، والنزول بها إلى أفهام الناس والربط بينها وبين الحياة كى يعالج بها الأم المجتمع .

يقول : " فان قال : إن القدر قد كبلنا وسلب حريتنا ! ألا ترى أن الإيمان بالقدر يورث ثقلاً على القلب ويولد ضيقاً في الروح ، وهما المشتاقان إلى الانبساط والجولان ؟ .

والجواب : كلا . حاش لله فكما أن القدر لا يورث ضيقاً ، فانه يمنح خفة بلا نهاية وراحة بلا غاية وسروراً ونوراً يحقق الأمن والأمان ، والروح والريحان ، لأن الإنسان إن لم يؤمن بالقدر ، يضطر لأن يدخل ثقلاً بقدر الدنيا على كاهل روحه الضعيف ضمن دائرة ضيقة وحرية جزئية وتحرر مؤقت ، لأن الإنسان له علاقات مع الكائنات قاطبة ، وله مقاصد ومطالب لا تنتهيان ، إلا أن قدرته وإرادته وحرية لا تكفى لإيفاء واحد من مليون من تلك المطالب والمقاصد ، ومن هنا يفهم مدى ما يقاسيه الإنسان من ثقل معنوى في عدم الإيمان بالقدر ، وكم هو مخيف وموحش .

بينما الإيمان بالقدر يحمل الإنسان على أن يضع جميع تلك الأثقال فى سفينة القدر مما يمنحه راحة تامة ، إذ يفتح أمام الروح والقلب ميدان تجوال واسع ، فيسيران فى طريق كمالتهما بحرية تامة . بيد أن هذا الإيمان يسلب من النفس الأمانة بالسوء حريتها الجزئية ، ويكسر فرعونيتها ، ويحطم ربوبيتها ، ويحد من حركاتها السائبة : " (٢)

ولم يقتصر النورسى فى العرض على موضوعات علم الكلام القديم التى كانت تشمل الإلهيات والنبوات واليوم الآخر والقضاء والقدر بكل تفاصيلها المصطلحية ، وإنما تجاوزها إلى بيان المذهبية الإسلامية الشاملة فى الوجود حسب متطلبات العصر . فتحدث عن التكون والإنسان فى مواجهة المخطط الغربى الأيديولوجى فى اقتحام الموضوعات المذكورة من وجهة النظر الفلسفية المادية .

(١) راجع الكلمات . ص ٥٤١ - ٥٦١

(٢) الكلمات ص ٥٥١ - ٥٥٢ .

* يتحدث عن الكون والكائنات والطبيعة في رسائل النور كثيراً ، ولكنه لا يتحدث عنه حديثاً جامداً وكأنه يقوم وحده ، مقطوعاً عن خالقه ، بل يربطه بالله الخالق ويعدّه أحد الأدلاء الثلاثة في الوصول إلى الله تعالى كما مر .. بل " إن الكون بجميع حقائقه ينادى ويقول :

أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره ، وأبعث بعد الموت حق ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ﷺ ، وعلى آله وصحبه وإخوانه وسلم آمين . " (١)

وهذا على عكس الماديين الذين جعلوا من منهجهم الحديث عن الكون وكأنه قائم وحده أو خالق نفسه ، إما قصداً أو مصادفةً ، فعاب التورسي ذلك المنهج الإلحادي ورده بأدلة عملية عقلية .

يقول : " يأتى ملحد إلى هذا العلم الذى هو معسكر مهيب رائع . لجنود السلطان الجليل ، وهو مسجد عظيم بارع يعظم فيه ذلك المعبود الأزلى ويقدم ، يأتيه وهو يحمل فكرة " الطبيعة " الجاحدة ذلك الجهل المطبق ..

فيتصور " القوانين المعنوية " التى يشاهد أثارها فى ربط أنظمة الكون البديع ، والنابعة من " الحكمة " البالغة للبارئ المصور سبحانه ، يتصورها كأنها قوانين مادية ، فيتعامل معها فى أبحاثه كما يتعامل مع المواد ، والأشياء الجامدة..

ويتخيل أحكام قوانين الربوبية التى هى قوانين اعتبارية ودينامية الشرعية الفطرية الكونية للمعبود الأزلى ، والتى هى مجموعها معنوية بحتة ، وليس لى وجود سوى وجود علمى ، يتخيلها وكأنها موجودات خارجية ومواد مادية ..

ويقيم تلك القوانين الصادرة من العلم الإلهى والكلام الربانى التى لى وجود علمى فقد مقام القدرة الإلهية ، ويملكها الخلق والإيجاد ، ويطلق عليها اسم " الطبيعة " ، متصوراً القوة التى تجل من تجليات القدرة الربانية ، إنها صاحب قدرة فاعلة ، وقديراً مستقلاً بذاته : أبعده هذا جهالة وغباء ؟ أوليس هذا جهلاً بأضعاف أضعاف المثال ؟! " (٢)

(١) الشعاعات - ص ٤٦ .

(٢) النعمات ص ٢٨٢ .

ويربط النورسى الكون بما فيه بالقرآن ورسالة النبي ﷺ ريبضاً قوياً فيقول :

" فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره ، مات الكون وتوفيت الكائنات ، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون جن جنونه ، وفقدت الكرة الأرضية صوابها ، وزلزل عقلها ، وظلت بلا شعور ، واصطدمت بإحدى سيارات انفضاء ، وقامت القيامة . " (١)

* وبمثل ذلك كان حديثه عن الإنسان الذى فتنت الحضارة المادية المعاصرة كيانه ، ومزقت حقيقته ، وضيعت مركزه ، وقضت على مهمته الحقيقية فى الوجود . ولذلك تاه الإنسان تيهاناً مروعاً فى ظلمات جاهليتها ، وعبر هذا التيه إلى الإنسان المسلم فأفسده وجعله ريشة فى مهب ريح القيم الحضارية المادية ، ولذلك فان النورسى وجه معالجاته لقضية الإنسان عامة والإنسان المسلم خاصة.

وقد اعتبر الإنسان حقيقة كونية ضخمة ، لأن الإنسان كما يرى هو الصنعة الإلهية للخالق سبحانه وتعالى . وهو أرقى معجزة من معجزات قدرته وألطفها ، حيث خلقه البارئ مظهراً لتجليات أسمائه الحسنى ، وجعله مداراً لجميع نقوشه البديعة جلت عظمته ، فصيره مثلاً مصغراً ونموذجاً للكائنات بأسرها . " (٢)

موقف النورسى من الفلسفة المادية

وعلى ضوء ما تقدم من حديث عن أركان العقيدة وما يتبعها ومنهج النورسى فى عرضها ، فقد وقف رحمه الله من الفلسفة المادية الملحدة التى أخذت اتجاهها كلياً مغايراً تماماً للدين موقف الرفض لها ولمناهجها واتجاهاتها التى أثمرت فى الحياة البشرية ثمرات خبيثة عانت منها كثيراً .

يقول :

" أما الثمرات التى قدمتها تلك الشجرة الخبيثة شجرة زقوم ، إلى أنظار البشر فى الأصنام والآلهة فى غصن القوة البهيمية الشهوية ، إذ الفلسفة تحبذ أصلاً القوة ، وتتخذها أساساً وقاعدة مقررة لنهجها ، حتى أن مبدأ " الحكم للغالب " دستور

(١) الكلمات ص ٥٣٨ .

(٢) الكلمات ص ٣٤٩ وأنظر النورسى متكلم انعصر ص ١٧٨ .

من دساتير وتأخذ بمبدأ " الحق في القوة " فأعجبت ضمناً بالظلم والعدوان ، وخص
الطغاة والظلمة والجبايرة العتاة حتى ساقتهم إلى دعوى الألوهية . ثم إننا نكت
الجمال في المخلوقات ، والحسن في صورها ، إلى المخلوق نفسه ، وإلى الصيغ
نفسها ، متناسية نسبة ذلك الجمال إلى تجلى الجمال المقدس للخالق الجميل والحس
المنزه للمصور البديع ، فتقول " ما أجمل هذا " بدلاً من أن تقول:

" ما أجمل خلق هذا " ! أي : جعلت ذلك الجمال في حكم صنم جدير بالعبادة !
ثم إنها استحسنّت مظاهر الشهرة ، والحسن الظاهر للرياء والسمة . لذا حث
المرأتين ، ودفعتهن إلى التماذى في غيهم ، جاعله من أمثال الأصنام عابدة لعبادتهم
وربت في غصن القوة العصبية على رؤوس البشر المساكين الفراعنة والنفس
والطغاة : صغاراً وكباراً .

أما في غصن القوة العقلية ، فقد وضعت الدهريين والماديين والطبيعيين .
وأمثالهم من الثمرات الخبيثة في عقل الإنسانية ، فشتت عقل الإنسان في
تشتيت .^(١)

وعلى النقيض من ذلك أثمرت الشجرة النبوة ثمرات يانعة سحبت بها البشرية
دهوراً .

يقول : " وبجانب هذه الشجرة الخبيثة ، شجرة زقوم ، نشأت شجرة طوبى
العبودية لله . تلك هي سلسلة النبوة ، فأثمرت ثمرات يانعة طيبة في بستان الكرامة
الأرضية ، ومدتها إلى البشرية ، فتدلّت قطوفاً دانية من غصن القوة العقلية أتية
ومرسلون وصديقون وأولياء صالحون ، كما أثمرت في غصن القوة الدافعة حكماء
عادلين ، وملوكاً طاهرين ظهر الملائكة . وأثمرت في غصن القوة الجاذبة كرماء
وأسخياء ذوي مروءة وشهامة ، في حسن سيرة ، وجمال صورة ذات عفة وبراعة
حتى أظهرت تلك الشجرة المباركة : إن الإنسان هو حقاً أكرم ثمرة لشجرة
الكون .^(٢)

ويعقد مقارنة بين الناتج المتولدة عن الأسس الفاسدة لمسار الفلسفة ، والأمر
الصحيحة لمسار النبوة من خلال أربعة أمثلة ، فيقول في المثاليين الأول والثاني .

(١) الكلمات ص ٦٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٤٠ .

" المثال الأول :

من القواعد المقررة للتبوة في حياة الإنسان الشخصية التخلق بأخلاق الله أي كونوا عباد الله المخلصين ، متحلين بأخلاق الله ، محتمين بحماه ، معترفين في قرارة أنفسكم بعجزكم وفقركم وقصوركم .

فأين هذه القاعدة الجليلة من قول الفيلسفة : " تشبهوا بالواجب " ! التي تقرها غاية قصوى للإنسانية !

أين ماهية الإنسان التي عجت بالعجز والضعف والفقر والحاجة غير المحددة من ماهية واجب الوجود ، وهو الله القدير القوي الغني المتعال .

المثال الثاني :

من القواعد الثابتة للتبوة في الحياة الاجتماعية أن " التعاون " دستور مهين على الكون ، ابتداء من الشمس والقمر إلى النباتات والحيوانات ، فترى النباتات تمد الحيوانات ، والحيوانات تمد الإنسان ، بل ذرات الطعام تمد خلايا الجسم وتعاونها .

فأين هذا الدستور القويم دستور التعاون وقانون الكرم وناموس الإكرام من دستور " الصراع " الذي تقول به الفيلسفة : من أنه الحاكم على الحياة الاجتماعية ، علماً أن " الصراع " ناشئ فقط لدى بعض الظلمة والوحوش الكاسرة من جراء سوء استعمال فطرتهم ، بل أوغلت الفيلسفة في ضلالها حتى اتخذت دستور " الصراع " هذا حاكماً مهيمناً على الموجودات كافة ، فقررت ببلاهة متناهية : " أن الحياة جدال وصراع " .^(١) وهكذا في المثالين الثالث والرابع .

ولأجل هذا عاب على الفيلسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا والمعري تأثرهم بالفيلسفة اليونانية - أصل الفيلسفة الغربية المعاصرة - وأنهم لأجل هذا لم ينالوا إلا أدنى درجات الإيمان ، لأنهم اتخذوا الفيلسفة اليونانية أستاذاً لهم ، وهي أدنى بدرجات لأحد لها من أستاذه الذي هو " القرآن الكريم " .^(٢)

على النورسي لا يرفض الفيلسفة المؤمنة الخادمة للدين ، لأنها في هذه الحالة سبب سعادة الإنسان وانتعاشه^(٣).

(١) الكلمات ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .

(٢) انظر الكلمات ص ٦٤٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٦٣٩ .

ونظرياتها ، ومن ثم الوصول إلى الحكيم المدبر في جميع هذه الآثار الموثقة أمام عين الإنسان . (١)

وأما هو من الناحية العملية ، فقد سبق أنه بذل مساعيه المضنية من أجل إنشاء جامعة " الزهراء " على غرار جامعة الأزهر ، تجمع في مناهجها الدراسية بين العلوم الشرعية الثابتة ، حفاظاً على هوية الأمة والعلوم العصرية ليأخذ المسلمون بزمام المدنية الحديثة ، وقد قال في إجابته عن أسئلة العشائر الكردية عن شروط هذه المدرسة :

" مزج العلوم الكونية الحديثة ، ودرجها مع العلوم الدينية ، مع جعل اللغة العربية واجبة ، والكردية جائزة ، والتركية لازمة . " (٢)

وقال مبيناً أهمية هذا المزج :

" ضياء القلب هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجها تتجلى الحقيقة ، فنتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين ، وباقتراحهما يتولد التعصب في الأولى ، والحيل والشبهات في الثانية . " (٣)

أما عن ثمرات هذه الجامعة ، فقد قال :

الأول : توحيد المدارس وإصلاحها ..

الثاني : إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات ، والتعصب الممقوت ، تلك صدأت سيف الإسلام المهند .

نعم إن شأن الإسلام الصلابة في الدين ، وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق ، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية ، وفي نظري أن أخطر أنواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدى أوروبا وملحديها ، لما يصرون بعناد على شبهاتهم السطحية ، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان . (٤)

(١) المصدر السابق . ص ٢١١ .

(٢) صيقل الاسلام . ص ٤٢٨ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤٢٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٤٣٠ .

ثم قال : الرابع : " فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية ، بفتح نبع صاف لتلك العلوم ، بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية ، ولقد قلت مراراً : بأن فهماً خطأً وتوهماً مشؤماً قد أقاما - لحد الآن - سدين أما جريان العلوم .
الخامس : أكرر مقلته مراراً - بل مائة مرة - أن هذه المدرسة تصالح بين أهل المدرسة " الدينية " والمدرسة " الحديثة " وأهل الزوايا " التكايا " وتجعلهم يتحدون - في الأقل - في المقصد و ذلك بما تحدث فيما بينهم من الميل وتبادل الأفكار ."^(١) ولم يكتب لهذا المشروع الإتمام بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى - كما تقدم - ولما آلت إليه الظروف بعد ذلك في عهد الكماليين .

ومن الناحية النظرية فقد حث الأمة في كثير من رسائله على الأخذ بأسباب النهوض والتقدم استهداء بمعجزات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم ، يقول في الخطبة الشامية :

" نعم نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه : أن القرآن يذكره معجزات الأنبياء ، إنما يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي ، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له :

هيا اعمل وابدل الوسع لتتجز ما يقارب هذه المعجزات .. هيا اقطع مسافة شهرين في يوم واحد كسليمان عليه السلام ، واعملى على مداواة أشد الأمراض استعصاء كعيسى عليه السلام .. استخرج الماء الذى يبعث الحياة من الصخور وأنقذ البشرية من العطش كعصى موسى عليه السلام .. ابحث عن المواد التى تقيك شر الحرق بالنار والبسها كإبراهيم عليه السلام ، النقطة أبعد الأصوات والصور من أقصى المشرق والمغرب لتسمع وترى كما فعل بعض الأنبياء .. ألن الحديد كالعجين مثل داود عليه السلام ، واجعله كالشمع حتى يكون أساساً لجميع الصناعات البشرية ، فكما تستفيدون - تلك الفوائد الجمّة - من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٤٠

يوسف ونوح عليهما السلام .. استفيدوا كذلك من دروس معجزات الأنبياء استفادتنا من الساعة والسفينة .. اعملوا على محاكاتها وتقليدهما.. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقى المادى والمعنوى ، ويلقى علينا الدروس ويثبت أنه أستاذ الجميع . " (١)

إن هذا - كما تصورها - مدينة القرآن الكريم التي تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية هي :

١- نقطة استنادها : الحق بدل القوة ، ومن شأن الحق دائماً العدالة والتوازن . ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء .

٢- هدفها : الفضيلة بدل المنفعة ، وشأن الفضيلة : المحبة والتقارب ، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة .

٣- دستورها فى الحياة : التعاون بدل الخصام والقتال ، وشأن هذا الدستور : الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات .

٤- وخدمتها للمجتمع : بالهدى بدل الأهواء والنوازع ، وشأن الهدى : الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به من تنوير الروح ومدها بما يلزم .

٥- رابطتها بين المجموعات البشرية : رابطة الدين والانتساب الوطنى وعلاقة الصنف والهنة وأخوة الإيمان .. وشأن هذه الرابطة : أخوة خالصة ، وطر العنصرية والقومية السلبية .

وبهذه المدينة يعم السلام الشامل ، إذ هو فى موقف الدفاع ضد أى عدو خارجى . " (٢)

وفى المقابل حذر الأمة من الانخداع ببريق المدينة الغربية الزائفة والسير فى ركابها ، لأنها تعتمد على أسس سلبية خمسة - أيضاً - تكون مصدر شقاء البشرية . يقول :

" إن أسس المدينة الحاضرة سلبية ، وهى خمسة تدور عليها رحاها . فنقطة استنادها : القوة بدل الحق ، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض ، ومن هذا تنشأ الخيانة .

(١) صيقل الإسلام ص - ٤٩٩ ، وانظر إشارات الإعجاز ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) الكلمات ص ٨٥٥ - ٨٥٦ .

هدفها وقصدها : منفعة خسيصة بدل الفضيلة وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم
والتخاصم ، ومن هذا تنشأ الجناية .

دستورها فى الحياة : الجدل والخصام بدل التعاون ، وشأن الخصام :
التزاع والتدافع و من هذا تنشأ السفالة .

رابطتها الأساس بين الناس : العنصرية التى تنمو على حساب غيرها ،
وتتقوى بابتلاع الآخرين ، وشأن القومية السلبية والعنصرية : التصادم المريع ، وهو
المشاهد . ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك .

وخامستها : هى أن خدمتها الجذابة تشجع الأهواء والنوازع ، وتذليل
العقبات أمامها ، وإشباع الشهوات والرغبات . وشأن الأهواء والنوازع دائماً : مسخ
الإنسان ، وتغيير سيرته ، فتتغير بدورها الإنسانية ، وتمسخ مسخاً معنوياً .. إن معظم
هؤلاء المدنيين ، لو قلبت باطنهم على ظاهرهم ، لرأيت فى صورتهم سيرة الفرد
والثعلب والثعبان والدب والخنزير .

نعم إن خيالك ليمس قراء تلك الحيوانات وجلودها .. وأثارهم تدل عليهم.
انه لا ميزان فى الأرض غير ميزان الشريعة . إنها رحمة مهداة نزلت من
سماء القرآن العظيم . " (١)

ورغم ذلك فقد وقف الأستاذ النورسى موقفاً متزناً منصفاً ، حيث دعا إلى
الاستفادة من الجانب الإيجابى فى المدنية الغربية لأنها نتاج العقول البشرية التى
تعاملت مع سنن الله فى الكون ، على مدى قرون عديدة ، إذ محاسن هذه المدنية
ترجع فى أصلها إلى الوحي الإلهى الصحيح . يقول :

" فما ينبغى : ألا ننكر أن فى المدنية محاسن كثيرة ، إلا أنها ليست من صنع
هذا العصر ، بل هى نتاج العالم وملك الجميع إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها ،
وحت الشرائع السماوية - ولاسيما الشريعة المحمدية - وحاجة الفطرة البشرية ، فهى
بضاعة نشأت من الانقلاب الذى أحدثه الإسلام . لذا لا يملكها أحد من الناس . " (٢)

(١) الكلمات . ص ٨٥٥ .

(٢) الكلمات ص ٨٥٨ - ٨٥٩ .

وضرب باليابان التي أخذت محاسن المدنية الغربية وتركت ما عداها من
فوصلت إلى ما وصلت إليه من رقى وتقدم ، مع الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها . يقول :
" ستمنع بسيف الشريعة مساوى المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا
، حفاظا على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة .

ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين فى المدنية ، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية
التي هى قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا .. وحيث إن عادات
القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به ، فالضرورة تقتضى الاعتصام
بالإسلام. " (١)

كما ضرب المثل بعصر عظماء الأمة فى الماضى وكيف أنهم بالمدنية
الشرعية سادوا وقادوا ، بخلاف حال المسلمين اليوم الذين تخلوا عن مركز السيادة
والقيادة ، وأرجع ذلك إلى عدة أسباب ، يقول :

" إن سبب تأخرنا وتدنينا ، وسوء أحوالنا إلى الآن ناتج مما يأتى :

١- عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء .

٢- تصرفات بعض المدهانين تصرفا عفويا .

٣- التعصب المقيت فى غير محله ، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل عالم .

٤- تقليد مساوى المدنية التي تستحصل بيغائيا - بسوء حظنا أو سوء اختيارنا -
ولد تركنا لمحاسن المدنية الأوروبية تقليدا بمشكلات ومصاعب . " (٢)

كما أرجع تأخر الأمة فى مضمار المدنية أيضا إلى الطريقة التي يتعامل بها
القائمون على التدريس فى المدارس الدينية والحديثة مع بعضهم : من الفرقة والى
الأفكار وطبيعة المناهج التي تدرس ، فضلا عن أسلوب التدريس نفسه ، فقال :

" إن من أهم أسباب تأخرنا فى مضمار المدنية - بعد الاستبداد - هو

الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبى ثلاث شعب كبيرة ، يعدون مرشدين عمرىين
للجميع ، وهم منتسبوا المدارس الحديثة ، والمدارس الدينية ، والتكاييا ،

(١) صيقل الإسلام . ص ٤٦٨ .

(٢) صيقل الإسلام . ص ٤٧١ .

والذين يمثلون مصداقا لقول الشاعر :

عبارتنا شتى وحسبك واحد
وكل إلى ذلك الجمال يشير

إن تباين الأفكار هذا قد هز أساس الأخلاق الإسلامية وفرق اتحاد الأمة ،
وأخرنا عن ركب الحضارة ، لأن أحدهم يكفر الآخر ويضلله ، بينما الآخر يعد الأول
جاهلا لا يوثق به . وهكذا ساد الإفراط والتفريط . وعلاج هذا الداء هو الصلح النابع
من توحيد الأفكار ، وربط العلاقات ووصلها حتى يوصل إلى نقطة الاعتدال ،
فيتصافح الجميع ، ويتفقوا جميعا لئلا يخلوا بنظام الرقى . " (١)

وأضاف إلى ما تقدم أسبابا أخرى قوية ، كلها تعود على الطريقة التي
انتهجها المرشدون في عظيم الأمة وإرشادهم إياها فقال :

" إننى استمعت إلى الوعاظ ، فلم تؤثر في نصائحهم ووعظهم . فتأملت في
السبب ، فرأيت أنه فضلا عن قساوة قلبى ، هناك ثلاثة أسباب :

١- إنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضى ، فيبالغون كثيرا في تصوير دعاويهم
محاولين ترويقها دون إيراد الأدلة الكافية التي لا بد منها للتأثير وإقناع الباحث عن
الحقيقة ، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة .

٢- إنهم عند ترغيبهم بأمر ما وترهيبهم منه يسقطون قيمة ما هو أهم منه ، فيفقدون
بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة ، أى لا يميزون بين المهم
والأهم .

٣- إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هى أرقى أنواع البلاغة ، فلا بد أن يكون الكلام
موافقا لحاجات العصر ، إلا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر ،
وكانهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر ، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان .

فعلى الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين ليتكمنوا من الإثبات
الإقناع . وأن يكتسبوا أيضا مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة . وأن

(١) نفس المصدر السابق . ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

يكونوا بلغاء مقنعين كى يوافق كلامهم حاجات العصر . وعليهم أيضاً -
يزنوا الأمور بموازين الشريعة . " (١)

وهكذا نرى الأستاذ النورسى فى دعوته - قولاً وعملاً - يستند إلى الأصل وينظر
منه إلى الحاضر والمستقبل ، جمعاً بين الأصالة والمعاصرة .

رابعاً : التدرج والبدء بسلم الأولويات فى الدعوة :

نظر الأستاذ سعيد النورسى - رحمه الله - فى المجتمع حوله قرأى هـ
إيمانية عيفة أصابت المجتمع التركى ، فضلاً عن إقصاء الشريعة والتحلل الأخلاقى
الذى ساد الحياة التركىة كما مر سابقاً ، فجعل من منهجه التدرج فى الدعوة ، للتغيير
والبدء أولاً بالأهم فالأهم وهكذا ، إتباعاً لمنهج الأنبياء وفى مقدمتهم النبى ﷺ
والدعاة من بعده .

لقد كانت دعوته إلى التغيير استناداً إلى قانون التطور الفطرى التدرجى
الذى يوجب البدء من القاعدة والصعود إلى القمة ، لا العكس ، لأن العكس سيؤدى
إلى زعزعة الحياة الاجتماعية ويحصل منه شر مستطير وتخريب كبير .
اقرأ له ما يأتى .

" إن من يشق طريقاً فى الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة ، لا يستثمر
مساعيه ولن يكون النجاح حليفه ، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية
التي تحكم الكون ، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر " (٢)

" لقد وضع الله سبحانه وتعالى فى وجود الأشياء تدرجاً وترتيباً أشبه به
يكون بدرجات السلم ، وذلك بمقتضى اسمه الحكيم ، فالذى لا يتأنى فى حركاته ، إم
أنه يظفر الدرجات فيسقط أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود .
ولهذا فالحرص سبب الحرمان ، والصبر يحل المشاكل ، حتى غداً من

(١) صيقل الإسلام ص ٤٧٣ .

(٢) اللغات ص ١٦٠ .

مضرب الأمثال : " الحريص خائب خاسر " و " الصبر مفتاح الفرج " . بمعنى :
عنايته سبحانه وتوفيقه مع الصابرين " (١)

مثلاً هو محال لجسم الإنسان تجديد جميع ذراته دفعة واحدة ، وإنشاء ذرات
جديدة بدلا منها ، كذلك يتعذر على الدولة - إن لم يكن محالا - تغيير جميع موظفيها
دفعة واحدة ، وإقامة موظفين جدد بدلا عنهم " . (٢)

" فى العالم ميل للاستكمال ، وبه يتبع العالم قانون التكمال ، ولأن الإنسان من
ثمرات العالم وأجزائه ، ففيه كذلك ميل الترقى المستمد من الميل والنزوع إلى
الاستكمال . وميل الترقى هذا ينمو ويتراعى مستمداً من تلاحق الأفكار الذى ينبسط
بتكامل المبادئ ، واستكمال الوسائل " (٣)

إذن فلا بد أن يكون قانون التغيير فى حياته هو التغيير التدريجى ، حتى لا
يختل توازن الحياة فيؤدى إلى نتائج عكسية .

وقد مر منذ قليل انتقاده لمرشدى زمانه لعدم سلوكهم المنهج القويم فى الدعوة
، ومما قاله فى ذلك : " أنهم عند ترغيبهم بأمر ما ، وترهييبهم منه يسقطون قيمة ما
هو أهم منه ، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة فى الشريعة أى
لا يميزون بين المهم والأهم . " (٤)

ولأجل هذا وجدناه يركز فى صميم دعوته على الإيمان فيبدأ به ، ويفرد له
حيزاً كبيراً فى دعوته ، ويجعله هدفه الكلى العام وما عداه ، متفرع عنه - كما مر
فى فصل الأهداف - لأن دعاة الفلسفة المادية الإلحادية كانوا مركزين عليه ، وجعلوه
هدفهم الأول .

يقول : " نعم انه ينبغى لهذا العصر من مجدد له شأنه ، ليقوم بتحديد الدين
والإيمان ، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة ، وتجديد الحقوق العامة والسياسة
الإسلامية . ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد فى مجال المحافظة على الحقائق

(١) صيقل الاسلام . المحكمة العسكرية .

(٢) صيقل الاسلام . المحكمة العسكرية .

(٣) المصدر السابق . المحاكمات ص ٢٧

(٤) صيقل الاسلام ص ٤٧٣ .

الإيمانية ، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث . لذا تبقى دوائر "الشريعة
"الحياة الاجتماعية والسياسية " في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدرجة
الإيمان . " (١)

كما وجدناه يتدرج في دعوته فيبدأ بالفرد ويمر بالبيت وبالمجتمع ، ويصل إلى
الأمة الإسلامية جمعاء - وقد مر كل هذا في فصل الأهداف أيضاً .
ولئن كان النورسي قد خصص رسائله لإنقاذ الإيمان وشرح أصول العقيدة
وسعى إلى تجديد علم الكلام ، وتربية النشء ، والدعوة إلى تمثل الأخلاق الإسلامية
الفاضلة ، فإنه لم ينس أن ينبه على كثير من مسائل الشريعة ، ولكنه لم يكثر الحديث
في تفاصيلها ، لأن المجتمع الذي يفقد أسس الإيمان وحرارة الانتماء ، لا فائدة -
تحدثه عن تفاصيل الشريعة . فالقاعدة الإيمانية إذا تكونت ، فحينئذ يأتي تطبيق شرع
الله خطوة طبيعية نحو الوصول إلى المجتمع بحكمة نظام الإسلام ، أي أن الأسس
كان يريد أن يبداً من الإيمان إلى التربية إلى الشريعة . ولكن ليس معنى ذلك -
طبق تلك الخطوات منفصلة دون ترابط جامع . ولذلك فإنه - رحمه الله - كان يدر
المسلمين بين الحين والآخر إلى عظمة الشريعة الإسلامية في مصادرها وحكمتها
وشمولها لحياة الإنسان . (٢)

استمع إليه وهو يتحدث عن كمال الشريعة وانتظامها فيقول :

" فكمال انتظام هذه الشريعة الغراء وجمال توازنها الدقيق ، وحسن تناسب أحكامها
ورصانتها ، كل منها شاهد عدل لا يجرح وبرهان قاطع باهر لا يدنو منه الريب -
على أحقية القرآن الكريم ، بمعنى أن البيانات القرآنية لا يمكن أن تستند إلى حد
واسع محيط بكل شيء والبصير بجميع الأشياء معاً . " (٣)

ويقول :

" لأن الشريعة التي تجلت من أمي ﷺ ، وأدارت خمس البشرية على
اختلافها ، منذ أربعة عشر قرناً إدارة قائمة على الحق والعلم -

(١) الملاحق . ص ١٩٦ .

(٢) النورسي متكلم العصر - ص ٢٢٨

(٣) الكلمات . ص ١٥٤

بقوانينها الدقيقة الغزيرة ، لا تقبل مثيلاً أبداً . " (١)

ودعا قومه إلى تطبيقها ، لأنها أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية والقلبية ، ولاسيما الاجتماعية منها . ولا يمكن أن تقوم مقام حلول الشريعة أية فلسفة ولا أية مسألة حكيمة . (٢)

ولابد هنا من الإشارة إلى موقفه من حركة الاجتهاد فى العصر الذى عاش فيه ، باعتبار أنه كان من الموضوعات التشرىعية التى شغلت يال العلماء فى ذلك العصر . والحق أن موقف النورسى من حركة الاجتهاد كان رد فعل واقعى على حركة التغريب التى أرادت أن تصبغ المجتمع الإسلامى التركى بصبغة الحياة الأوربية جملة وتفصيلاً .

لقد رأى أن الدعوة إلى الاجتهاد فى مثل هذا الجو الذى لم يبق لضوابط الإسلام فيه أية قيمة أمر لا معنى له ، لأن أى نوع من أنواع الاجتهاد سيجرى فى داخل ضوابط الحياة الغربية الحديثة . إن من المنطقى أن كل فلسفة لها أسسها وقواعدها ، ومعالجة أية قضية تتفرع منها لا يمكن أن تتم إلا فى إطارها .

لقد رأى النورسى أن بعض العلماء الذين لا يحملون أى شرط من شروط الاجتهاد يسوغون التطورات اللادينية كلها ، التى جرت فى تركيا باسم الاجتهاد . انه يؤمن أن باب الاجتهاد مفتوح ؛ ولكنه يعتقد أن هنالك موانع تحول دون الدخول فيه فى الوقت الحاضر :

أولها :

إن فتح أبواب جديدة فى قصر الإسلام المنيف ، أو فتح الثغرات التى هى وسيلة لتسلل المخربين ، وبالأخص فى زمن المنكرات التى غلبت عليه العادات الأجنبية والبدع ، وفى عصر تخريبات الضلالة الرهيبة فانه جناية فى حق الإسلام .

ثانيها :

إن الانتشغال بتقوية أصول الإيمان وما هو قطعى ثابت بالنصوص التى تحرضنا إلى التشكيك والتخريب ، أفضل من الانتشغال بأمور نظرية جزئية ، لأن

(١) اللغات . ص ٨٩ .

(٢) المکتوبات . ص ٢٨١ .

العقائد الإسلامية وأصولها التشريعية غدت في خطر كبير . فما فائدة الحديث عن الفروع ؟

ثالثها :

إن تحكّم الفلسفة المادية ومظاهر الحضارة الغربية في حياة المسلمين اليوم أفرحتهم في هذه الحياة الدنيا ، وأنستهم رضى الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فإن أى حديث عن الاجتهاد فى مثل هذا الجو لا يكون مبنياً إلا على أسس بعيدة عن النور والتقى .

رابعها :

إن حركة الاجتهاد فى هذا العصر ليست ناشئة عن رغبة داخلية أو حاجة اجتماعية منسجمة مع التطور الطبيعى ، وإنما متأثرة بمشكلات الحضارة الغربية التى تضغط على مجتمعنا ، ولذلك فهى لا تكون إلا وسيلة لتخريب المجتمع الإسلامى .

خامسها :

إن الاجتهاد لا بد أن يجرى فى إطار أصول الشريعة ، مهما تغيرت الحياة أى أن تطور الحياة لا بد أن ينضبط بضوابط الشريعة ، ولكن تطور الحياة فى عصرنا تطور مقلد ، يمشى بمعزل عن ضوابط الشريعة . ومن هنا فإن الاجتهاد سوف يكون فى إطار ضوابط الشريعة ، بل فى إطار غير منضبط بضوابط الشرع . ولذلك تكون هذه الاجتهادات أرضية وليست سماوية

سادسها :

إن قرب المجتهدين العظام من عهد عصر الصحابة الكرام الذى هو عصر الحقيقة وعصر النور ، يسر لهم أن يأخذوا النور الصافى من أقرب مصادره فتمكنوا من القيام باجتهاداتهم الخاصة ، فى حين أن مجتهدى العصر الحديث ينظرون إلى كتاب الحقيقة ، من مسافة بعيدة جداً ، ومن وراء كثير جداً من الأستار والحجب،

حتى ليصعب عليهم رؤية أوضح حرف فيه (١) .

ولإيمان الأستاذ بالتغيير في إطار انتشار الوعي الاجتماعي والدعوة السلمية فإنه لا يبيح الجهاد المسلح الداخلي الموجه إلى حكام المسلمين ، لأن ذلك لا يخدم من وجهة نظره إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الإسلامي من حيث هو ككل .
فهو يقول :

" إن الجهاد المسلح لا يحشد كلياً إلا ضد العدو الخارجي ، فالصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية هو ما يصبو إليه العدو الخارجي ، إذ أن سفك دماء المسلمين فيما بينهم ، أمر يهيمهم " .
ويريد :

إن الجهاد في أي مجتمع مسلم إنما هو جهاد معنوي ، يوصل إليه عن طريق تنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح . ويكون جهاداً إيجابياً بناءً ، لصد التخريبات المعنوية ويتصرف فيه وفق سر " الإخلاص " ، فهناك بون شاسع بين الجهاد في الخارج والجهاد في الداخل . فنحن نبذل قصارى جهدنا للحفاظ على استقرار البلاد وأمنها وفق العمل الإيجابي البناء . في هذا الوقت ، الفرق عظيم جداً بين الجهاد الداخلي والخارجي " (٢) .

وقد طبق النورسي رأيه هذا عملياً في أثناء ثورة الشيخ سعيد بيران ضد سياسة مصطفى كمال الذي أثار نغمة الشعب باتجاهه المعادي للدين الإسلامي ، فأجاب على رسالته في ذلك الشأن . وقد سبق الحوار الذي دار بينه وبين حسين باشا بهذا الصدد .

وكما توقع النورسي ، فقد أضعفت حركة الشيخ سعيد ، لأنها لم تتطرق من الوعي الإسلامي الشامل والإعداد الكامل . وكانت نتائجها وخيمة ، فقد اشتدت الحملة على الإسلام وأهله أكثر من ذي قبل . وانتهاك اللادنيون فيها كرامة الشعب

(١) انظر الكلمات . ص ٢٦٧ ، ص ٥٦٢ ، المثنوى العربي . ص ١٨٢ - ١٨٣ ، النورسي متكلم

العصر ص ٢٣١ - ٢٣٢ والتلخيص من عنده .

(٢) الملاحق : ملحق أميرداغ ، النورسي متكلم العصر ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

المسام تدميراً وقتلاً وإفساداً وإبعاداً له عن كل ما يمت إلى الإسلام بصلة . -
استمر النورسى فى تطبيق نظريته التغييرية ، عن طريق نشر حقائق الإسلام بـ
والبرهان ، وتكوين الجيل المؤمن الصالح ، وبث الوعى الإسلامى بخطورة الحـ
الشرسة على الإسلام والمسلمين ، وتهيئة صفوف الأمة للوقوف أمام الموجة اللـ
الطاغية ، ونقل التربية الإسلامية إلى داخل البيوت . كما سيأتى .

وعلى الرغم من* أنه لم ينجح - كما سبق - من السجن والتشريد والنفى ، إلا
منهجه قد نجح إلى حد بعيد .. ولو أن باحثاً منصفاً تابع تطور الحياة فى تركيا -
النصف الأخير من هذا القرن ، وجد كيف أن خطة النورسى أنتت ثمرتها الياينة، فـ
على الرغم من العقبات الكنود مدرسة إسلامية روحية ثقافية كبيرة وارثـ
الظلال، انتهت إلى إحداث وعى إسلامى قوى وقف أمام الكفر ، وأهوى بمعدـ
التوحيد الحق على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التى تفرغت من المدارـ
المادية التى سادت فى القرن الأخير، الأمر الذى ظهرت نتائجها فى انتخابات حـ
(١٩٥٠م) المشهور وما تبعها من الصحوة الإسلامية العامة ، وبدء عودة المجتمع تـ
كثير من مظاهر حياة أفرادها إلى عقيدته وحضارته الإسلامية. (١)

خامساً : الشمول للاجتزاء فى الدعوة

بما أن الإسلام منهج متكامل الجوانب شامل النظرة ، فيه تنظيم علاقة الفرد
بنفسه ، وعلاقته بأسرته ، وعلاقته بمجتمعه ، وعلاقة مجتمعه به .. وفيه بيـ
للأصول والقواعد التى تقوم عليها النظم والقوانين التى تحكم سير المجتمع والنـ
وفق نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة .. بما أن الإسلام كذلك ، فإن الأسـ
سعيد النورسى جاءت دعوته عامة شاملة دون اجتزاء فيها ، ودون أن تكون مجرـ
علاجات وصفية مؤقتة تنتهى بانتهاء الوقت ، وقد سبق فى فصل الأهمـداف أن

(١) النورسى متكلم العصر ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

الإلحاد قد ضرب بأطنابه في أنحاء المجتمع التركي وصار له دعاة يدعون إليه علناً في كل المجالات ، بل وصار المتمكنون من العباد والبلاد هم المسئولين على نشره بين الناس بكل ما أوتوا من وسائل وأساليب .

وقد عبر النورسى عن ذلك فقال :

" إن أنواع الضلالة الناشئة من الإلحاد والعلوم الطبيعية ، والتمرد المتولد من الكفر العنادى فى الماضى ليعتبران من الضلالة بحيث لا يذكران إذا ما قيسا بما عليه الوضع فى وقتنا الراهن ، لذا فقد كانت أدلة علماء الإسلام ودراساتهم كافية لسد حاجات عصرهم ، إذ كان كفر عصرهم مبنياً على الشك ، فكانوا يزيلونه بسرعة ، حيث كان الإيمان بالله يسود أوساط الناس ، وكان من اليسير إرشاد الكثيرين إلى طريق الهداية والصراط السوى ، وإنقاذهم من السفاهة والضلال ، وذلك بالتذكير بالله سبحانه والتخويف من عذابه . فكان الكثيرون يتخلون عن غيهم . أما اليوم فقد تغير الحال ، إذ بينما كان يوجد - فى الماضى - ملحد واحد فى بلد ، يمكن العثور الآن على مائة كافر فى قسبة واحدة . وقد زاد عدد الذين يضلون بسبب افتتانهم بالعلوم والفنون الحديثة ، ويقفون بعناد وتمرد فى وجه حقائق الإيمان أضعاف أضعاف الماضى بمائة مرة .. ولما كان هؤلاء المعاندون يعارضون الحقائق الإيمانية بخرور قرعونى وبتضليلات رهيبية ، فلا مناص من أن يجابهوا بحقائق قدسية فى قوة القنبلة الذرية ، لتحطم مبادئهم وأسهم فى هذه الدنيا وتقف زحفهم وتجاوزهم ، بل تحمل قسماً منهم على التسليم والإيمان . " (١)

وكانت مجابهة هذا الإلحاد العام الشامل مجابهة كلية شاملة أيضاً لإزالة الدمار الذى أحدثه الماديون فى حياة المجتمع ، وتعمير التخريب الذى أصاب المجتمع التركى بلغة العصر كما سبق . بقول :

" إن رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئية ، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً ، بل تعمر أيضاً تخريبات عامة كلية ، وترمم قلعة عظيمة - صخورها كالجبال -

(١) صيقل الإسلام ص ٤٨٧ .

تحتضن الإسلام وتحيط به .. وهى لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين ، -
تسعى أيضاً - وببديها إعجاز القرآن - لمداواة القلب العام المجروح ، وضمان الأفك
العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التى هيئت لها وركمت منذ ألف سنة ، وتتس
لمداواة الوجدان العام الذى توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتيار
وشعائره التى هى المستند العظيم للجميع ، ولاسيما عوام المؤمنين .. نعم إنها تسعى
لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة ، والشكوك الواسعة ، والجروح الغائرة
ينبغى وجود حجج دامغة وأعتدة مجهزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخ
وجود أدوية مجربة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق (مضاد للسموم
ولها من المزايا ما يضاهاى علاجات لا حد لها . " (١)

ولأجل هذا وجه دعوته - كما سبق - إلى الشباب والشيوخ والنساء والأغبياء
والفقراء والموظفين ، والحكام والمسئولين فى الدولة ، والعلماء والعامة على السواء
الكل اغتراف من منهلها القرأنى العذب ، ووجدوا فيها بغيتهم بلا صعوبة.

وانطلاقاً من هذا الشمول فقد سار فى الخطوط العامة المتوازية فى دعوات
- كما مر فى الأهداف - حيث إصلاح الفرد ، وإصلاح البيت ، وإصلاح المجتمع
وإظهار الحقائق بإزالة اللبس لدى طلاب النور ، وتفنيد شبه العلمانيين الملحدين
وشبه غير المسلمين ، وكشف الحقيقة حول دعوته لدى المسئولين وفى دفاعاته فى
المحاكم ، وإظهار الحقائق حول الأفكار السائدة فى تركيا على زمانه ، وبذل مساهمة
المضنية لأجل عودة الخلافة الإسلامية .

وحشد كل طاقات طلابه لصالح الدعوة ، واستعمل كل الوسائل الممكنة فى
التبليغ كما مر فى فصل الوسائل .. كل هذا بأسلوب متنوع خاطب به المؤمن
والملحدين والحائرين ، ووجه خطابه إلى العقل والقلب والوجدان ك-

(١) الملاحق ص ١١٨ ، العاعات ص ٢٢٥ ، بديع الزمان سعيد النورسى . الصالحى ص ٢٥٥ -

سبق في فصل الأساليب .

ولم يقصر الدعوة على جانب معرفي معين ، بل كانت شاملة لجميع العلوم والمعارف التي شملها الإسلام . يقول عن الرسائل التي هي مرآة دعوته :

" إن رسائل النور تسد الحاجة التي تخص الحقائق الإسلامية ، فلا تدع حاجة إلى مراجعة مؤلفات أخرى .

ولقد علم بتجارب كثيرة قاطعة : إن أقصر طريق وأسهله لإنقاذ الإيمان وتقويته وجعله تحقيقاً هو في رسائل النور " (١)

وهناك أمران مهمان يتعلقان بموضوع الشمول ، لابد من الإشارة إليهما ، هما السياسة والتصوف وموقف الأستاذ النورسي منهما .

الأمر الأول : السياسة :

إن مقولة " لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين " لا مكان لها في ديار المسلمين المحكومين بشريعة الله تعالى التي تناولت مظاهر الحياة جميعها ، فهي قد وفدت علينا من أوروبا التي فصلت الدين عن الحياة بسبب موقف الكنيسة ورجالها المعادي للعلم والمتسلط على رقاب الناس ، في فترة من فترات التاريخ .

والمقولة تعنى بمفهومها الاجتزاء في الدين ، وبقاؤها تحية الإسلام من الساحة كما حدث على يد الكماليين ، وكما حدث في البلدان الإسلامية التي سلكت طريقهم ، والإسلام دين الله الشامل كما تقدم . فهم الأستاذ النورسي رحمه الله ذلك في إطار فهمه الشمولي للإسلام ، ورد منذ نهاية الدولة العثمانية على ادعاءات رجال تركيا الفتاة " (٢) لتحية الإسلام عن واقع الناس والتمهيد لشناعاتهم بعد ذلك فقال :

" إن خطأ تركيا الفتاة نابع من عدم معرفتهم أن الدين أساس الحياة ، فظنوا أن لأمة شيء والإسلام شيء آخر ، وهما متميزان ، ذلك لأن المدنية الحاضرة

(١) تركيا الفتاة أو "جون ترك" يطلق هذا الاسم على الجماعات والأفراد المعارضين للحكم في دولة العثمانية منذ عهد السلطان عبد العزيز وحتى عزل السلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٩م) حيث تطاعت جمعية الاتحاد والترقي أن تحل محلها .. وأصبح تعبير " تركيا الفتاة " علماً للمعارضة السياسية ذلك ، لذا قد يطلق على منتسبي الاتحاد والترقي كذلك . (المترجم) .

(٢) الكلمات . ص ٨٦١ .

أوحى بذلك واستولت على الأفكار بقولها : إن السعادة هي في الحياة نفسها .
ألا إن الزمان أظهر الآن أن نظام المدنية فاسد ومضر .
والتجارب القاطعة أظهرت لنا : أن الدين حياة للحياة ، ونورها وأساسه
إحياء الدين إحياء لهذه الأمة . والإسلام هو الذي أدرك هذا .
إن رقي أمتنا هو بنسبة تمسكها بالدين ، وتدينها هو بمقدار إهمالها له .
بخلاف الدين الآخر ، هذه حقيقة تاريخية قد تتوسيت . " (١)

وخاض غمار السياسة منذ فترة مبكرة من دعوته كما سبقت الإشارة تحث
لشمولية الإسلام من ناحية ، وتليغا لدعوة الله تعالى عن طريقها من ناحية ثانية .
وكثير من الذين لا يقرؤون النورسى قراءة شمولية متفحصة ، يععون في
خطأ كبير ، إذ يبنون قراءاتهم المبتورة أن النورسى ترك السياسة العامة وانسحب من
الحياة ، ولم يهتم بأخطر شئون المسلمين ، ولم يواجه الحكام بكلمة الحق والدفاع عن
دين الله ورد كيد الأعداء في محاولتهم القضاء على الإسلام العظيم .
وقد يندعون بما قاله النورسى " أعوذ بالله من الشيطان والسياسة " أو
يقوله من أنه قسم حياته إلى " سعيد القديم " و " سعيد الجديد " و " سعيد الثالث "
وكل ذلك خطأ جسيم ، وقلب للحقائق في حياة الرجل المجدد ، والداعية الصادق
نعم ، إن النورسى لم يخالط الحكام ، ولم يدخل في أتون السياسة الميكانيكية
التي تجسد فيها التزلف والنفاق يومئذ ، ولم يطلب الدنيا وبهرجتها ، من المال والحد
والمنصب ، والمصطلحات المتغيرة كل يوم . فلعن تلك المظاهر مع إبليس واستعد
منها . (٢)

ولكنه مع ذلك دخل السياسة الحقيقية من أوسع أبوابها ، ولم يترك الأمة تعس
القهر وحدها في الميدان ، ولم يلق سلاح فضح الزندقة القادمة ، حيث واجه

(١) الكلمات . ص ٨٦١ .

(٢) النورسى متكلم العصر ص ٥١ ، وراجع كلامه حول هذا في الملاحق ص ٢١٢ ، ٣١٧ ، المكتوب
ص ٣٤٦ .

الكفر بالإيمان والقانون الغربي بـشريعة الإسلام ، والمخطط العلماني بالمخطط الإسلامي .

نزل إلى الميدان مدافعا عن دين الله ، مجاهدا في سبيله ، ضحى في سبيل إنقاذ الإيمان وإيقاظ الأمة بكل شيء بالدنيا كلها راحة ومالا ومنصبا ، قفى كما ينفى المجاهد الصلب ، والداعية الثبت والعالم العامل ، وسجن وشرذ ولوحق ، حتى آخر لحظة من لحظات حياته المثمرة المباركة وهو على فراش الموت .

وكان يحسب له حساب جيش عرمرم يزحف لإنقاذ المواقع ، وإلحاق الهزيمة بصنوف الغافلين والمنافقين والملحدين والمتاجرين بالشعارات . (١)

أبعد هذا كله يقال ، إن سعيدا الجديد ترك السياسة ؟ .

فإن كنت في ريب من كل ذلك تعال لنقم بجولة ممتعة في رياض رسائل النور نتفحصها ، لنجد ماذا يقول النورسى . وهل في شيء في السياسة والمواجهة الصامدة لم يقله ، ولم يفعله ، ولم يخطط لمواجهته .

* ينتقد الحكام بأنهم يدفعون الأمة إلى هاوية المدنية الدنية فيقول :

" إن كانت غايتكم من سوق المؤمنين قسرا إلى المدنية التي هي الدنية تسهيلا لإدارة دفة النظام وبسط الأمن في ربوع المملكة ، فاعلموا جيدا أنكم على خطأ جسيم ، إذ تسوقون الأمة إلى هاوية طريق فاسد ، لأن إدارة مائة من الفاسقين الفاسدين أخلاقيا والمرتابين في اعتقادهم وإيمانهم ، وجعل الأمن والنظام يسود فيما بينهم ، لهو أصعب بكثير من إدارة ألوف من الصالحين المتقين ونشر الأمن فيما بينهم " . (٢)

* اللمة الثانية والعشرون كلها سياسة وأجوبة عن أسئلة سياسية . كان يثيرها المسئولون أو غيرهم عن عمله لأجل الإسلام وخدماته الإيمانية لسعادة الأمة . ويبين في هذه اللمة استهانة الدولة ورجالها بالحق ، وظلمهم للدعاة وكذبهم على الإنسان وعدم تطبيقهم للقوانين التي يصدرونها ، ويصفهم بأنهم

(١) النورسى متكلم العصر . ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) اللمعات . ص ١٨٨ .

طغاة متجبرون متكبرون ، بلغوا الفرعونية في نقض القانون . (١)

* يصف الطاغية " في زمانه " بالمبتدع والملحد والمفسد والضال ، والرؤساء النير يأترون بأمره بالمنافقين ، ويقول : " إن زمان التمسك بالهراوة لم يأت بعد ، لآت مشغول بإنقاذ الإيمان وإحداث الوعي أولا . وهذا واضح جدا في ما يقول ويخاطب ، ولو لم يذكر الاسم مباشرة . (٢)

* وفي اللمعة الثالثة عشرة ، يجيب على سؤال حول الصراع بين أهل الضلالة وأهل الباطل ، ولماذا يتغلب أهل الضلالة على أهل الحق ، لا لأنهم أقوىاء أو يمتلكون قدرة أصيلة ، وإنما تغلبوا - وهو يقصد الوضع القائم آنذاك - لطريقتهم الفاسدة وسفالتهم ودناءتهم وعملهم التخريبي واغترابهم اختلاف أهل الحق وإلقاء الخلافات فيما بينهم ، واستغلال نقاط الضعف فيهم ، والنفت فيها ، وإثارة الغرائز الحيوانية والنفسانية ، والأعراض الشخصية عندهم ، واستخدامهم الاستعدادات المضرة التي هي كالمعادن الفاسدة الكامنة في سبيكة فطرة الإنسان ، والتربيت على فرعونية النفس باسم الشهرة والرتبة والنفوذ ، وخوف الناس من تخريباتهم الظالمة المدمرة .. وأمثال هذه الدسائس الشيطانية التي يتغلبون بها على أهل الحق تغلبا مؤقتا .

* ولكن - يقول النورسى - هذا الانتصار الوقتي لا قيمة له ، ولا أهمية له أمام بشرى قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) (٣) .. وقد سبق نص حديثه في ذلك .

* وفي اللمعة الرابعة ، يدعو طوائف الأمة إلى الائتلاف ، فيقول : " وإن لم تزيلوا هذا النزاع ، فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا ، تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر " . (٤)

(١) الشعاعات . ص ٤٢١ .

(٢) اللمعات . ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣) اللمعات . ص ١٣٠ .

(٤) اللمعات . ص ٣٨ .

* يتحدث في " الكلمات " عن رسائل النور فيقول : " فمن الضروري إذن للدولة ألا تتعرض لها بسوء ، بل تسعى جادة إلى نشرها وتسجيع الناس على قراءتها ، ليكون عملها هذا كفارة عما اقترفت من سيئات فاحشة سابقة ، وسدا منيعا في وجه ما سيقبل من ويلات ومصائب وفوضى وإرهاب " . (١)

* يصرح بأن القومية التي تتبناها الدولة سم قاتل ومرض أوربي خبيث ، ويقول : بأن أوروبا ألقت بذلك المرض الويل بين المسلمين ، لتفريقهم شذر مذر ، وليسهل عليها ابتلاعهم قطعا متناثرة . وبهذه المناسبة يشمكو من تضيق الدولة عليه في مجالات كثيرة . (٢)

* وفي المبحث الثالث من المکتوب السادس والعشرين ، هاجم الفكر القومي العلماني مهاجمة شديدة وبين جذوره الأوروبية وأخطاره الاجتماعية ورفض - تلميحا - سياسة الحكومة التركية تجاه الأكراد في الشرق وتجاه العرب في الجنوب (٣) - وقد سبق كلامه في ذلك .

* يصرح بأن المستولنين في الدولة يعذبونه إرضاء للزندقة (٤)

* لقد اعتدت السلطات على المسجد الذي كان يصلى فيه . فقال جوابا على سؤال سائل : إن ماهية تلك الحادثة دسيسة شيطانية ، وتعرض نفاقي في سبيل إرضاء الزندقة التي كانت الدولة تتبناها .

يقول النورسي : " وها أنذا لا أخاطب هؤلاء السفلة الدنيئين الذين حرموا من الضمير وليسوا أهلا للخطاب ، بل أخاطب أولئك الرؤساء المتفرعين في القيادة الذين يلعبون بمقدرات الأمة حسب أهوائهم فأقول : يا أهل الإلحاد والبدعة ! إنى أظالكم بالإجابة عن ستة أسئلة .. " (٥)

(١) اللغات . ص ١٧٤ .

(٢) المکتوبات . ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) المکتوبات . ص ٤١٥ .

(٤) المکتوبات . ص ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٥) المکتوبات . ص ٥٥٣ .

وسبق في فصل الوسائل بقية نص كلامه .

* يهاجم علماء السوء الذين يصدرون فتاوى لتسويغ أعمال الدولة في تغيير مظاهر الشعائر الإسلامية . (١)

* يوجه خطابه إلى تلامذته فاضحا موقف المسئولين :

" فيا أخوتى إذا ما هجم عليكم مهرجوا أهل الضلالة والمتزلفون لأهل الإلحاد ليرهبوكم ويجعلوكم تتخلون عن جهادكم المعنوى المقدس ، قولوا لهم : نحن حذب القرآن ، نحتمى بقلعة القرآن العظيمة الحصينة " . (٢)

* يشن هجوما عنيفا على الدولة ورجالها بوضوح ، لأنهم يثيرون النزعة القومية ، وهى ضد مصالح الوطن والمسلمين جميعا ، وينقد أفعالهم التى هى سقوط وترد معنوى ، رغم ما يطلق عليها من رقى فى الظاهر ، ويتساءل فيقول : " وهل إن نور الآخرة فى السينما ؟ وهل السلوان الحقيقى فى المسرح ؟ " ثم ينقد بشدة تدريس الفلسفة المادية الإلحادية للشباب . حتى تنقض قواهم المعنوية وتطفئ نور أرواحهم . (٣)

ويقول :

" وهل حظهم هو فى الأعمال التى يرتكبونها تحت ستار التفرنج والتمدن بمدنية فرعونية تزيل حجاب الحياء ، وتشبع نزوات أغنياء سفهاء ، وتكون وسيلة لشهرة طغاة أقوياء ظلمة ، والتى تزيد يأس هؤلاء اليائسين وألمهم ؟ " (٤)

ينفعل النورسى انفعالا شديدا ، عندما يرى الظالمين من الحكام العلمانيين يحاربونه ، ويحاربون دعوته ، والمنتمين إليها من الدعاة المؤمنين الصادقين ، فيخاطبهم بقوله :

" فيا أيها الملحدون المتفرتجون الذين يسعون لصرف إخوانى الحقيقيين

(١) المکتوبات . ص ٥١٠ ، ٥١١ .

(٢) المکتوبات . ص ٥٣٧ .

(٣) المکتوبات ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(٤) المکتوبات . ص ٥٤٦ .

عنى بدعاياتهم ! أى نفع تسدون له هذه الأمة ؟ إنكم تطفنون نور أهل التقوى
والصلاح " .. (١)

وإذا عدنا إلى حياته المباركة ودفاعاته أمام المحاكم كما سبق ، وما كان يكتب
فى سبيل نصرة الإيمان ونشر الإسلام وبيان أحقية الشريعة كما مر أيضا . وما كان
يعد من الدعاة إلى الله تعالى كما سيأتى ، ظهر لنا جليا أنه وقف بقوة وصلابة أمام
مخططات الدولة فى تغيير الدين والأخلاق وإفساد الجيل بالكلية .
فإن لم تكن هذه سياسة وتدخل فى شئون الدنيا والسياسة ، فإنا ترى كيف
تكون السياسة ؟ .

إن ترك السياسة عند النورسى يعنى عدم الاتصال بالحكام ، وعدم ذكر
أسمائهم ، وعدم الولوج فى الدائرة التى يتحركون فيها ، والابتعاد عن الصدام معهم
صداما حركيا مباشرا ، والامتناع عن الكتابة فى صحفهم وترويجها والنأى عن
التهريج بكلمات جوفاء لا تفيد قضيته وخطته ، ومعرفة الحجم الحقيقى لحركته ،
وإدراك ممالك العمل ، ومسارات التفكير والبداية الصحيحة للمخطط الإسلامى
المعاكس المقاوم بهدوء وعمق للمخطط العلمانى .

كل ذلك كان مسلكا لسعيد القديم الذى يصارع الأمواج المضطربة ، غير
الواضحة ، فى ظل خلافة بدأت تنهرا ، وفى إطار صدمات غير جلية الأعماق بين
التيارات المتضاربة .

أما وقد سقطت الخلافة وظهرت الأعماق الخفية ، وتوضحت الصورة
الحقيقية ، وظهر الأعداء علنا ويدهم القوة الغاشمة ، فسفكوا الدماء وانتهكوا
الأعراض ، وغيروا قوانين البلاد ، وأظهروا الفساد فى الأرض ، واحتل الوطن ،
وتحرك النفاق فى كل صقع ، وانتهزت النفوس الضعيفة فرصتها لإصدار الفتاوى
الباطلة والتسويغات للهزيمة ، فكان على النورسى والحالة تلك ، أن يدخل السياسة من
باب آخر . يعتمد على التوثب الحذر ، والتخطيط الهادئ ، والمواجهة للذكية ،
ومعالجة أنواء الأمة فى جذورها البعيدة ، ومظاهر الحياة الاجتماعية فى قواعدها

(١) المكتوبات - ص ٥٤٨ وراجع النورسى منكم العصر ص ٥٤ - ٥٧ . وقد استندت من التلخيص
الذى نقله عن النورسى بعد الرجوع إلى الأصل لإيفائه بالغرض .

التحتية ، وتحويل المعركة من أسلوب إعلامى فاضح إلى مخطط فكرى عميق ،
ينظف الأذهان ويعالج الأدران ويشخص الأعداء ، ويهيئ لصياغة الأمة
المنكوبة من جديد . (١)

يقول الدكتور محسن عبد الحميد :

" وظل النورسى بين عهده القديم وعهده الجديد ، هو هو لم يتغير ، ولكنه
أدخل التغيير فى خطته التغييرية وأسلوبه السياسى فى كتابة رسائله ، بحيث استطاع
أن يضعها فى الإطار الكامل لصراعات عصره العالمى والفطرى . بل إننى أزعم أن
رسائل النور ، لو قرأها سياسى مفكر عريق ، لعداها من أرقى الكتابات السياسية .
لأن السياسة فى تعريفها العلمى الشامل هى قيادة الأمة وصيغها بأسلوب معين يحقق
مقاصد السياسى القائد .

ورسائل النور كتبت لصياغة الأمة وقيادتها بأسلوب معين فى إطار ظروف معينة .
وهناك قضية جديرة بالانتباه ، وهى أن النورسى فى عهده الجديد لم يستطع
أن يتخلص من عهده القديم ومن أسلوبه ، ولذلك نجده من خلال هيجاناته الإيمانية ،
يخرج من أعماقه سعيد القديم بكامل شخصيته وأفكاره ، فيتكلم وينقد بصراحة تامة
فى أمر السياسة اللادينية كلها . ويسوغ هو نفسه ذلك بأنه يستعير شخصية سعيد
القديم . " (٢)

ويضيف :

" فإذاً لقد ظل النورسى محتفظا بشخصيته العنيفة على الرغم من مخططه الجديد .
وكان أعداؤه وأعداء الإسلام يدركون هذا منه تماما ، وإلا فقل لى بريك ، لو
لم يكن النورسى شخصية سياسية خطيرة ، فلم يكبلونه ربع قرن ، نفيا وسجنا وتعذيبا
وتشريدا ، من سجن إلى سجن ومن محكمة إلى أخرى ، ومن نفى إلى نفى ، ومن
تعذيب إلى تعذيب أشد منه .

(١) أنظر النورسى متكلم العصر . ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) النورسى متكلم العصر . ص ٥٩ .

ومن هنا ، فإن فكره جاء فكرا جامعا ، أقرب إلى الصواب ، وأقدر في التعبير عن مذهبية الإسلام في الوجود . (١)

وصحيح أنه كان زاهدا ورعا بعيدا عن بهارج الدنيا وزخارفها ، متواضعا ذا نزعة صوفية في مناه ، غير أنه لم يكن صوفيا بأى معنى من معانيه الاصطلاحية ، سواء أكان فيلسوفا يتكلم في الروحانيات من برج إشراقى عاجى ، أم شيخ طريقة يحيط نفسه بالادعاءات الضخمة ، والهالات البراقة ، والمظاهر البديعة الخرافية .

لا ، لم يكن واحدا من هؤلاء ، ولكنه كان مجددا عالما مفكرا إسلاميا وداعية إلى الله ورسوله ، يعتقد أن عصره هو عصر إظهار حقائق الإسلام ، وتقوية الإيمان ، وإثبات حكمة الشريعة ، وتربية الأمة من جديد على الأخلاق الإسلامية أمام الغزو الثقافي المركز الذى شنته الدوائر الاستعمارية فى ظل حراب جيوشها على الأمة الإسلامية . (٢)

وقد أكد على نفي كونه صوفيا فى أكثر من مناسبة . منها :

" فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال : الفناء فى الشيخ : الفناء فى رسول .. وأنا لست صوفيا " . (٣)

" وحيث أن مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية ، فلا نرى أنفسنا منطرين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال . فضلا عن أن هذا أسلوب لا يلائم منهج الحقيقة . إذ التفكير بالعقبى ليس هو بجلب المستقبل إلى الحاضر خيالا ، بل الذهاب فكرا من الحاضر إلى المستقبل ، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو الحقيقة ، فلا حاجة إلى الخيال ، ولا يلزم الافتراض . " (٤)

" إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة ، وهى تور مفاض من الآيات القرآنية . ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب ، بل هى

(١) النورسى متكلم العصر . ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) المصدر السابق . ص ٢٠٤ .

(٣) اللمعات . ص ٢٤٥ .

(٤) اللمعات . ص ٢٤٦ .

معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان : " (١)

" كنت أرفض قبول أموال الناس وهداياهم منذ نعومة أظفاري . فما كنت أتنازل لإظهار حاجتي للآخرين ، رغم أنني كنت فقير الحال وفي حاجة إلى المال وما كنت زاهدا ولا صوفيا ولا صاحب رياضة روحية ، فضلا عن أنني ما كنت من ذوى الحسب والنسب والشهرة . " (٢)

" ثم إن مسلك رسائل النور ليس مسلك الطريقة الصوفية ، بل هو مسلك الحقيقة ، فهو مسلك مقتبس من نور مسلك الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية ، بل زمان إنقاذ الإيمان . (٣)

" إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان ، أما الطريقة والمشيخة فهي تكلم المرء مراتب الولاية . وإن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم بكثير وأجزل ثوابا من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية ، حيث أن الإيمان . بمنحه الإنسان السعادة الأبدية ، يضمن له ملكا أوسع من الأرض كلها . أما الولاية فإنها توسع من حجة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر . وكما أن رفع مرتبة إنسان اعتيادي إلى سلطان أعظم من رفع عشرة من الجنود إلى مرتبة القائد ، كذلك الثواب أعظم وأجزل في إنقاذ إيمان إنسان من الضلالة ، من رفع عشرة من الناس إلى مرتبة أولياء صالحين . (٤)

" أيها السادة إنني لست شيئا صوفيا ، وإنما أنا عالم ديني . والدليل على هذا ، أنني لو كنت قد علمت أحدا من الناس الطريقة الصوفية ، طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا . لكان لكم الحق في الارتباب والوقوع في الشكوك ، ولكني لم أقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة . الإيمان ضروري ، والإسلام ضروري . " (٥)

(١) الملاحق . ص ٢٠٢ .

(٢) الملاحق . ص ٢٥٦ .

(٣) الملاحق . ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٤) الملاحق . ص ١٣٣ .

(٥) المكتوبات . ص ٧٩ .

لم لم يفعلوا ذلك بالعلماء المساومين والمشايخ المهاندين والأساتذة الممائلين .
نعم فعلوا ذلك بالنورسى وحده ، لأنهم كانوا يعلمون أنه بصدد مشروع نهضوى
حضارى شامل ، سيقفلح إن عاجلا أو آجلا جذور اللادينية فى نفوس الأجيال الجديدة
فى تركيا بإذن الله .

ولذلك فهم كانوا يخافون من كل كلمة تصدر منه ، ومن كل حركة يتحركها ،
كانوا يخافون من اجتماعه بتلامذته ، وكانوا يخافون من تنقلاته ، ولذلك فهم كانوا
يلحقونه ، كانوا يعلمون جيدا ماذا كان يريد أن يفعل ، ولأى شىء يريد أن يعمل .
ومن هنا فانهم عدوه سياسيا خطيرا بمواجهتهم ، يمثل بقوة وإصرار روح
المقاومة الإسلامية ضد المخطط العلمانى الاستبدادى الفاجر .

إن كل ما يقوله النورسى فى تركه السياسة ، إنما يعنى به السياسة بجانب
الدولة وتأييدها أو السير فى ركابها . وهو تغطية لموقفه السياسى الأصيل . ولذلك لم
يقنع الحكام بموقفه ، وعرفوا أنه يستعمل معهم مبدأ " الحرب خدعة " . (١)

ولأجل هذا تكلم فى أكثر من موضع فى رسائله عن السياسة المبتغاة فقال:
" إننا سعيينا لأجل إسعاد هذه الأمة والبلاد يجعل السياسة أداة للدين ، وفى
وئام معه تجاه أولئك الذين جعلوا السياسة المستبدة آلة للإلحاد ، وعذبونا . " (٢)
وقال فى الخطبة الشامية :

" أرجو ألا يذهب بكم الظن بأننى بكلامى هذا أستتهض هممكم للاشتغال
بالسياسة - حاش لله - فان حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة ، بل جميع أصناف
السياسة وأشكالها يمكن أن تسير فى ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له ، وليس لأية
سياسة كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها . " (٣)

(١) النورسى متكلم العصر . ص ٥٩ - ٦٠ ، وانظر الامام بديع الزمان سعيد النورسى المصلح الذى
تجدت فى دعوته كل حركات التجديد والاصلاح . د / عبد الودود شلى ص ١١٣ - ١١٤ . كتاب
مؤتمر تجديد الفكر الإسلامى .

(٢) الملاحق . ص ٣٣٤ .

(٣) صيقل الإسلام . ص ٥١٢ .

وفي أثناء حديثه عن الأحزاب التركية التي كانت سائدة على زمانه قال:
" في غضون يوم أو يومين نظرت إلى الأمور السياسية رغم أني تركتها منذ
خمس وثلاثين سنة ، وذلك لأجل الديمقراطيين المتدينين ولا سيما للأفاضل من أمثال
عدنان مندريس . " (١)

فهو إذن يصرح بأنه باشرها بما يناسب الظروف الراهنة التي هيأت له ذلك
.. أما في الفترة التي ذكرها فكان بعيدا عن السياسة الميكافيلية كما سبق .. وبناء
على ما تقدم فليست مع الكاتب الكبير الأستاذ فتحي يكن في قوله :

" وكان مسار جماعة النور مخالفا لمسار كل الحركات الإسلامية حيث بدأت
عملها بالسياسة ثم تركتها وطلقتها واعتبرتها من عمل الشيطان ، وانتهت إلى التربية
، في حين بدأت الأخرى بالتربية ، ثم انتقلت إلى النطاق السياسي ، وهذا هو
الأصوب - والله أعلم - شريطة أن لا يكون انتقالها إلى العمل السياسي باعثا على
إهمال الجوانب الفكرية والتربوية . " (٢)

فقد كان مسار الجماعة في حياة بديع الزمان سعيد النورسي من أول أمرها
جامعا بين الأمرين دون فصل بينهما ، والذي حدث من تلاميذه فيما بعد - كما سيأتي
في الفصل القادم - يتحملون هم الوزر الكبير فيه ، وكان عليهم أن يتعاملوا بعقلية
واعية معاصرة مع الأحداث الراهنة .

هذا ما يتعلق بالأمر الأول " السياسة "

الأمر الثاني : التصوف .

لم ينتسب الأستاذ النورسي لمدرسة إسلامية فكرية محددة الزمان والمكان ..
فجاء لأجل هذا فكره شموليا قرانيا ، وظل متوازنا في أوسع دائرة تأملية منضبطة ..
دون أن يجازف في تأويل النصوص تأويلا متعسفا بعيدا خاضعا لضغط معارك
الإقدام والإحجام من الصراع الحضاري المعاصر ، بين الحضارة الإسلامية
والحضارة الغربية الغازية .

(١) الملاحق . ص ٣٩٣

(٢) حركات إسلامية في القرن الرابع عشر الهجري " جماعة النور - تركيا " . مقال للأستاذ فتحي يكن
في مجلة الأمة القطرية . ص ٧٦ - ٧٧ . جمادى الآخرة ١٤٠١هـ / إبريل ١٩٨١م .

إن الأستاذ النورسي كان يريد أن يجمع الناس على أصول الإيمان ، لا أن يكون صاحب طريقة صوفية معينة ، تسليخ جماعة من المؤمنين من ميدان الصراع الإسلامي مع الجاهلية الغربية الحديثة التي خططت للقضاء على الإسلام والأمة الإسلامية .

وكان يعتقد أن الطرق الصوفية في هذا العصر ، لا تستطيع الوقوف أمام الهجوم المشكك في الإسلام ، لأنها تعتمد التجربة الذاتية ، ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر ، وما يموج فيه من تيارات وفلسفات . (١)

وكان يرى أن رجالات التصوف ، لو كانوا موجودين على عصره لسلكوا

طريقاً آخر لمواجهة هذه الموجة الإلحادية العامة . يقول :

" فمادامت الحقيقة هكذا : فإني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني (٢) والشاه النقشبندی (٣) والإمام الرباني (٤) وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا ، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية ، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية ، وإن أي تقصير فيهما يعنى الشقاء الأبدى .

نعم ، لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان ، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز ، بينما يمكنه العيش دون فاكهة . فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز . " (٥)

وفي رسالته حول " الولاية والتصوف " عالج موضوع التصوف ، وانتهى

إلى أن هذه الدنيا هي دار حركة وعمل وسعي وليست دار جزاء وثواب .

(١) النورسي متكلم العصر - ص ٢٠٥ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هم محمد بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ، ولد في قرية قرب بخارى ، ودرس في سمرقند وعات ببخارى (٧٩١هـ - ١٣٨٩م) عن (٧٣) سنة (المترجم) .

(٤) سبقت الإشارة إلى ترجمته .

(٥) المكتوبات . ص ٢٧ .

لذا فلا تتطلب فيها اللذائذ والأذواق ولا تقصد فيها الكرامات ، وإنما ينبغي في الالتزام بالشرعية ، لأن الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة .
يقول :

" إن الولاية حجة الرسالة ، وإن الطريقة برهان الشريعة ، ذلك لأن ما بلغت الرسالة من الحقائق الإيمانية تراها " الولاية " بدرجة " عين اليقين " بشهود قبي وتذوق روحاني فتصدقها ، وتصديقها هذا حجة قاطعة لأحقية الرسالة . وإن ما جاءت به " الشريعة من حقائق الأحكام ، فإن " الطريقة " برهان على أحقية تلك الأحكام وعلى صدورها من الحق تبارك وتعالى بما استفاضت منها واستفادت بكشوفها وأذواقها " . (١)

ويقول :

" إن الشريعة هي نتيجة الخطاب الإلهي الصادر مباشرة - دون حاجز ستار - من الربوبية المطلقة المتفردة بالأحادية .

لذا فإن أعلى مراتب الطريقة وأسمى درجات الحقيقة لا يعدوان كونهما أجزء من كلية الشريعة . أما نتائجهما وما يؤولان إليه فهي الأوامر الشرعية المحكمة فهما دائما وأبدا يظلان بحكم الخادم للشريعة ووسيلة إليها ومقدمة لها .
فالسالك في الطريقة يرتفع تدريجياً إلى أعلى المراتب التي ينال فيها ما في الشريعة نفسها من معنى الحقيقة وسر الطريقة ، وعندئذ تكون الطريقة والحقيقة أجزاء الشريعة الكبرى .

لذا فليس صحيحاً ما يتصوره قسم من المتصوفة من أن الشريعة قشر ظاهري ، وحقيقتها هي لبها ونتيجتها وغايتها .

نعم ، يتنوع اكتشاف الأحكام الشرعية ويختلف بالنسبة لمستويات النامى وفهمهم وطبقات مداركهم ، فما يظهر منها وينكشف للعوام هو غير ما يظهر وينكشف للخواص ..

إنه من الخطأ توهم ما يظهر من الشريعة للعوام هو حقيقة الشريعة

(١) المكتوبات . ص ٥٧٣ .

وإطلاق اسم " الحقيقة " و " الطريقة " على مرتبة الشريعة المنكشفة للخواص ،
فالشريعة لها مراتب متوجهة إلى جميع طبقات البشر .

وبناء على هذا السر ، فإن أهل الطريقة ، وأصحاب الحقيقة كلما تقدموا في
مسلكهم وارتقوا في معارجهم وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية ،
متبعين لها ، مندرجين ضمن غاياتها ومقاصدها . حتى أنهم يتخذون أبسط أنواع السنة
النبوية الشريفة كأعظم مقصد وغاية ، ويسعون إلى اتباعها وتقليدها .

لأنه بمقدار سمو الوحي وعلوه على الإلهام ، فالآداب الشرعية التي هي ثمرة
الوحي ، هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام ، لذا فإن أهم
أساس للطريقة هو اتباع السنة النبوية المطهرة (١) .

ويعنى هذا أن النورسي يحذر من انفصال الطريقة عن الشريعة ، لأنه يعنى
تمزيق المنهج الشمولي لفهم الإسلام الكامل الموحد الذي نحتاج إليه خاصة في
عصرنا هذا ، عصر إنقاذ الإيمان .
ويقول النورسي من جهة أخرى :

" إن سلوك طريق الولاية مع سهولته هو ذو مصاعب ، ومع قصره فهو
طويل جدا . ومع نفاسته وعلوه فهو محفوف بالمخاطر ، ومع سعته فهو ضيق جدا
- فلأجل هذه الأسرار الدقيقة قد يغرق السالكون في هذه السبيل وقد يتعشرون
ويتأذون ، بل قد ينكصون على أعقابهم ويضلون الآخريين " . (٢)

وبعد بيان بعض الأمراض النفسية التي يمكن أن يقع فيها السالك ، مثل :
الفخر والتردى والغرور والشطحات التي يمكن أن يقع فيها السالك ، مثل الفخر
والتردى والغرور والشطحات والادعاءات الفارغة والأنانية والجنون والضلالة .
يقول :

" فيجب على هؤلاء المتلبسين أن يمسكوا ميزان الشريعة بأيديهم ليزنوا
أعمالهم ، ويقفوا عند حدود ما حدده علماء أصول الدين من دساتير ، ويسترشدوا

(١) المكتوبات . ص ٥٨٣ .

(٢) المكتوبات . ص ٥٧٥ .

بتعليمات الإمام الغزالي والإمام الرباني وأمثالهم من الأولياء المحققين العلماء ، ولا يضعوا أنفسهم دائما موضع التهمة ، ويعرفوا أن التصور والعجز والفقر مدخرا للنفوس مهما ارتقت وتسامت " . (١)

وفي التلويح الثامن من المکتوب التاسع والعشرين أشار إلى ثمانية من طرق وورطات يسقط فيها بعض سالكي الطرق الصوفية فقال :

" الأولى :

أن الورطة التي يسقط فيها سالكون من الطرق الصوفية - ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح - هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة ؟؟ وقد أثبتنا مدى سمو النبوة على الولاية وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة الساطع في الكلمة الرابعة والعشرين والكلمة الحادية والثلاثين من كتاب " الكلمات " .

الثانية :

وهي تفضيل قسم من المفرطين ، الأولياء على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، بل رؤيتهم في مرتبة الأنبياء عليهم السلام . وقد شرحنا في الكلمة الثانية عشرة والكلمة السابعة والعشرين " الاجتهاد " وفي نيلها الخاص بالصحابة كيف للصحابة الكرام خواص متميزة بسبب الصحبة النبوية ، بحيث لا يمكن للأولياء أن يبلغوا مرتبتهم أصلا فضلا عن أن يتفوقوا عليهم ، ولا يمكنهم أن يبلغوا قطعا مرتبة الأنبياء .

الثالثة :

وهي ترجيح بعض المتطرفين والمتعصبين جدا للطريقة لأوراد طريقتهم وآدابها على أذكار السنة النبوية الشريفة ، فيسقطون بذلك إلى منزلق مخالفة السنة النبوية وتركها في الوقت الذي يظنون متشبهين بأوراد طريقتهم ، أي أنهم يسلكون سلوك غير المبالي مع آداب السنة النبوية الشريفة فيهبون في الورطة ، وكم

(١) المکتوبات ص ٥٧٧ وانظر النورسي منكم العصر ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

أثبتنا في كلمات كثيرة ، وكما أكد كبار محققي الطرق كالإمام الغزالي والإمام الرباني :

" إن اتباع سنة واحدة من السنن النبوية يكون مقبولا عند الله أعظم من مائة من الآداب والنواقل الخاصة . إذ كما أن فرضا واحدا يرجح ألفا من السنن ، فإن سنة واحدة من السنن النبوية ترجح ألفا من آداب التصوف " .

الرابعة :

إن بعض المتطرفين من أهل التصوف يظنون خطأ أن " الإلهام بمرتبة الوحي " ، كما يعتبرون الإلهام نوعا من أنواع الوحي ، فيسقطون في هذا المزلق الخطير ، وقد برهنا سابقا في " الكلمة الثانية عشرة " و " الكلمة الخامسة والعشرين " المتعلقة بإعجاز القرآن وفي رسائل أخرى ، كيف أن الوحي سام وعال وساطع وضاء وكلي شامل ، بينما الإلهام بالنسبة إليه جزئي وخافت .

الخامسة :

أن بعض المتصوفين ممن لم يدركوا تماما سر الطريقة - في كونها وسيلة وليست غاية بحد ذاتها - قد ينجذبون ويتوجهون إلى ما يقاض عليهم من الكرامات والأذواق والأنوار ، تلك التي توهب ولا تسأل ، إذ يمنحها الله سبحانه تقوية للضعفاء ، وتشجيعا للمتكاسلين ، وتخفيفا من المشقة والسأم - الذي يعتريهم من شدة الإجهاد في العبادة - فينجرون إلى تفضيل تلك الكرامات والأذواق والأنوار على فروض الدين والخدمة تحت لوائه وقراءة الأذكار والأوراد ، فيسقطون في هذا المزلق .

وقد سبق أن أجملنا في النقطة الثالثة من التلويح السادس وفي كلمات أخرى ، بأن هذه الدنيا هي دار خدمة وعمل وليست دار ثواب ومكافأة ، فالذين يرغبون في قطف ثمار أعمالهم في هذه الحياة الفانية ، إنما يستبدلون المكافأة الدنيوية الفانية بثمار الآخرة الأبدية الباقية ، فضلا عن أن هذا يدل على بقايا تعلق بالدنيا ورغبة في الاستمتاع بها ، ويكون هذا سببا في خفوت شوقهم وتطلعهم إلى الحياة البرزخية ، بل يريدون هذه الحياة ، إذ يجدون فيها نوعا من ثمار الآخرة .

السادسة :

وهي المنزلق الذى يقع فيه قسم من سالكى الطرق الصوفية من غير أمر الحقيقة عندما يلتبس عليهم الأمر ، فيتوهمون بأن ظلال مقامات الولاية ونماذج المصغرة كأنها هي المقام الحقيقى والكلى والأصلى ..

ولقد أثبتنا فى الغصن الثانى من " الكلمة الرابعة والعشرين " وفى كلمات أخرى بما لا شك فيه ، أن الشمس وإن تعددت صورها بتعدد المرايا التى تنعكس عليها ، فهذه الصور تملك ضياء الشمس وحرارتها ، ولكن ليس هو الضياء الأصلى نفسه ، ولا هي الحرارة نفسها ، فهي باهتة الأنوار بالنسبة للشمس الحقيقية .

كذلك فإن لمقام النبوة ولمقام كبار الأولياء ، شيئا من الظلال التى يمكن لأهل الطرق أن يستظلوا بها ، ولكنهم يظنون أثناء دخولهم فيها أنهم أعظم درجة من كبار الأولياء ، بل حتى من الأنبياء - والعياذ بالله - فيسقطون فى منزلق .

ولإنقاذ أنفسهم من جميع هذه المزالق المذكورة سابقا ، عليهم أن يضعوا أصول الإيمان وأسس الشرع نصب أعينهم ، ويتخذوها مرشدا دائما لهم ، وأن يخالفوا أذواقهم ومشهوداتهم ويتهموها عند تعارضها مع تلك الأسس .

السابعة :

وهي المنزلق الذى يقع فيه قسم من أهل الأذواق والأشواق من أصحاب الطرق عندما ينصرفون إلى الفخر والادعاء وإشاعة الشطحات وطلب توجه الناس ونيل المرجعيات الدينية ، ويفضلون هذه العجالات على الشكر والتضرع والحمد والاستغناء عن الناس ، بينما عبودية محمد ﷺ هي أسمى مرتبة فى العبودية . تلك العبودية التى نستطيع بالمحبووية ، أو عبودية المحبة .

فأساس العبودية وسرها هو التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والفقر والاستغناء عن الناس ، وبهذا فقط يمكن الوصول إلى كمال تلك الحقيقة ، حقيقة العبودية .

نعم إن عددا من الأولياء الكبار اضطروا - دون اختيار منهم لغلبة الحال وبشكل مؤقت فقط - إلى الخروج إلى ساحة الفخر والطلب والشطحات ، لذا فإن

يجوز اتباعهم اختياراً في حالهم هذه ، فهم مهتدون ، ولكنهم هنا وفي هذه النقطة بالذات ليسوا قدوة في الهداية ، لذا لا يمكن السير وراءهم والافتداء بهم .

الثامنة :

وهي الورطة التي يتورط فيها قسم من المتعجلين والقاصدين للمنافع الذاتية من أهل الطرق من الذي يرغبون في تناول ثمرات الولاية في الدنيا بدلا من قطفها في الآخرة . وعندما يدل سلوكهم على هذه الرغبة ، وتكتشف نيتهم من خلال هذا السلوك يكونون فعلا قد سقطوا في هذه الورطة . علما أن آيات كثيرة في القرآن الكريم من أمثال (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (آل عمران : ١٨٥) تدل بوضوح ما أثبتناه سابقا في عدة "كلمات" من أن ثمرة واحدة من ثمرات عالم البقاء ترجح ألف بستان في هذه الحياة الفانية ، لذا فالأفضل عدم تناول تلك الثمرات المباركة هنا ، وإن أعطيت دون توجه ورغبة فيها ، فيجب إبداء الحمد والشكر في قبولها - لا على أنها مكافأة - بل على أنها إحسان وفضل من الله وهبت للتشويق.^(١) وأما موقف النورسي من نظرية وحدة الوجود، فيمكن أن ترتبه على الوجه

الآتي:

بيدأ النورسي بتعريف وحدة الوجود كما عند الصوفية فيقول :

" يعتبر " وحدة الوجود " التي تضم " وحدة الشهود " من المشارب الصوفية المهمة وهي تعنى : حصر النظر في وجود " واجب الوجود " ، أي أن الوجود الحق هو : " واجب الوجود " سبحانه فحسب ، وأن سائر الموجودات ظلال باهتة وزيف ووهم لا تستحق إطلاق صفة الوجود عليها حيا " واجب الوجود " لذا فإن أهل هذا المشرب يذهبون إلى اعتبار الموجودات خيالا ووهما ويتصورونها عدما في مرتبة ترك ما سواه ، أي : " ترك ما سوى الله سبحانه وتعالى " حتى أنهم يتطرفون ويذهبون إلى حد اعتبار الموجودات مرایا خيالية لتجليات الأسماء الحسنى . " ^(٢)

(١) أنظر المكتوبات ، ص ٥٨٨ - ٥٩١ .

(٢) المكتوبات ، ص ٥٧٩ .

ويرفض النورسي نظرية وحدة الوجود رفضاً قاطعاً ، لأنها تعدم الكائنات
وتتبنى المقولة المعروفة " لا موجود إلا هو " وهو مخالف لهدى القرآن الكريم -
فرق بجلاء بين الخالق والمخلوق ، وأثبت لله تعالى الأسماء الحسنى التي تتجلى -
الوجود ، تجنياً حقيقياً لا تجلياً خيالياً ... إلى أن يقول : " وهكذا فإن سلطنة الأنوار
تقتضى وجود أسماء حسنى حقيقية متعددة لها ، أمثال : الرحمن ، الرزق
الوهاب ، الخلاق ، الفعال ، الكريم ، الرحيم ، وهذه الأسماء والصفات تقتضى
كذلك وجود مرابيا حقيقية لها وهى المخلوقات . " (١)

ويقول النورسي :

" أما أهل الحقيقة فانهم يرون بسر النورثة النبوية وبصراحة القرآن الكـ
وآياته البيّنات :

إن النقوش التي توجد فى مرابيا الموجودات بقدرة الله وإرادته إنما هى -
آثارها سبحانه وتعالى . فكل موجود إنما هو منه تعالى وهو الذى يوجد ، وليس -
موجود هو ، حتى يقال : لا موجود إلا هو . إذ للأشياء وجود ، وهو وجود تُجـ
إلى حد ما ، وإن كان هذا الوجود وجوداً ضعيفاً كأنه وهمى وخيالى بالنسبة -
وجوده تعالى ، إلا أنه موجود بإيجاد التقدير الأزلى وإرادته وقدرته .

إن للشمس المشهودة فى المرآة وجوداً مثالياً عدا وجودها الخارجى الحقيقى
ولها وجود خارجى عرضى آخر يلون المرآة بزينته ، إذ تتبسط عليها صورته . وبـ
وجود خارجى عرضى أيضاً ، وهو وجود ثابت إلى حد ما وهو الصورة المنتقـ
على الورقة الحساسة خلف المرآة .

فكما أن للشمس وجودات هكذا فى المثال ، كذلك الأمر فى مرآة الكـ
ومرابيا ماهية الأشياء . فان نقوش المصنوعات الظاهرة بتجليات الأسماء الإلهـ
الحسنى الحاصلة بالإرادة الإلهية واختيارها وقدرتها ، لها وجود حادث غير وجـ
الواجب للوجود . وقد منح بالقدرة الإلهية ثباتاً لهذا الوجود ، ولكن لو انقطع الارتبـ
فنيبت الأشياء وانعدمت مباشرة . فكل شىء محتاج لبقاءه فى كل آن إلى

(١) المكتوبات . ص ١٠٧ .

إبقاء خالفه له فان حقائق الأشياء وان كانت ثابتة ولكن ثابتة بإثباته سبحانه لها وتثبيتها لها .

وهكذا فإن قول الشيخ ابن عربي : " إن الروح ليست مخلوقة وإنما هي حقيقة آتية من عالم الأمر وصفة الإرادة " مخالف لظاهر نصوص كثيرة ، كما قد التبس عليه الأمر في ضوء التحقيقات المذكورة آنفا واتخذ . إذ لم يشاهد الموجودات الضعيفة .

فلا يمكن أن تكون مظاهر (الخالق والرزاق) من الأسماء الإلهية الحسنى مظاهر وهمية خيالية . فما دامت تلك الأسماء ذات حقيقة ، فإن مظاهرها أيضا لها حقائق خارجية . (١)

ويبين النورسي مخاطر وحدة الوجود عندما تتحول من مجرد شطحة وحدانية ذوقية إلى أسس قولية وعقلية وعلمية ، فحينئذ تصطدم مع الدساتير العقلية ، والقوانين العلمية ، وأصول العقائد الإسلامية النابعة من الكتاب والسنة المطهرين ، وتصطدم مع ما كان عليه أهل الصحوة الإيمانية ، من الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين من أجيال السلف الصالح من هذه الأمة .

نعم ! إن الصراط المستقيم لهو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذين يرون أن " حقائق الأشياء ثابتة " وهي القاعدة الكلية لديهم ، وهم الذين يعلمون أن الأدب اللائق بحق الله سبحانه وتعالى هو قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (الشورى: ١١) أي أنه منزّه عن الشبيه والتحيز والتجزؤ . وأن علاقته بالموجودات علاقة الخالق بالمخلوقات ، فالموجودات ليست أوهاما كما يدعى أصحاب وحدة الوجود ، بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى

ويذهب النورسي إلى أن هذه النظرية مخالفة لأركان الإيمان عدا ركن الإيمان بالله " لأن تلك الأركان تستدعي وجود الممكنات ، أي أن هذه الأركان المحكمة لا يمكن أن تقوم على أساس خيالي " . (٢)

ويحذر النورسي من المخاطر السلوكية التي يمكن أن تنتجها وحدة الوجود

(١) اللمعات . ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) المكتوبات . ص ٥٧٩ .

فيقول :

" ولكن إذا نزل هذا المشرب من علياء الأذواق والمواجيد ، والأشواق القلبية إلى دائرة المذاهب الفكرية والعلمية ، وعرض بشكله العلمي والعقلاني على أنظار الذين استهوتهم الحياة الدنيا ، وغرقوا في الفلسفات المادية والطبيعية ، فإنه سيكون إغراقا في الطبيعة والمادة وإيعادا عن حقيقة الإسلام .

فالشخص المادي المتعلق بالأسباب ، والمغرم بالدنيا يتشوق إلى إضفاء صفة الخلود على هذه الدنيا الفانية ، لأنه يعز عليه أن يرى محبوبته وهي تتبخر بين يديه وتذوب ، فيسبغ صفة البقاء والوجود الدائم على دنياه ، انطلاقا من فكرة " وحدة الوجود " فلا يتورع - عندئذ - من رفع محبوبته - الدنيا - إلى درجة المعبود بعد أن أسبغ عليها صفات الدوام والخلود والبقاء الأبدى ، فيفتح المجال أمامه إلى إنكار الله سبحانه والعياذ بالله .

ولما كان الفكر المادي قد ترسخت دعائمه في هذا العصر ، واستولى على غالبية النشاطات العقلية والعلمية ، حتى غدت المادة - عند أصحابه - هي أصل كل شيء ومرجعه ، لذا فإن ترويح مذهب " وحدة الوجود " في هذا العصر - الذي يرى فيه أهل الإيمان الخواص المادية تافهة إلى حد العدم - ربما يعطى للماديين حجة ليكونوا دعاة للمذهب نفسه ، فيخاطبوا أصحابه من أهل الإيمان : " نحن وأنتم سواء ، نحن أيضا نقول هكذا ونفكر هكذا " علما أنه لا يوجد مشرب في العالم بعيد عن منهج الماديين وعبدة الطبيعة من مشرب " وحدة الوجود " . ذلك لأن أصحابه يؤمنون بالله إيمانا عميقا إلى درجة يعدون الكون وجميع الموجودات معدوما بجانب حقيقة الوجود الإلهي ، بينما الماديون يولون الموجودات من الأهمية إلى حد أنهم ينكرون معها وجود الله سبحانه وتعالى ... فأين هؤلاء من أولئك؟! " (١)

ثم يقول :

" إن تلقين مسألة " وحدة الوجود " في الوقت الحاضر للناس يضرهم

(١) المكتوبات . ص ٥٨٠ .

ضررا بالغا ، إذ كما أن التشبيهات والتمثيلات ، إذا خرجت من أيدي الخواص ودخلت أيدي العوام وسرت من يد العلم إلى يد الجهل تتلقى حقائق ، كذلك وحدة الوجود وأمثالها من الحقائق العالية ، إذا ما دخلت بين العوام الغافلين السارحين في تأثير الأسباب ، يتلقونها " طبيعة " وتولد ثلاث مضار مهمة ^(١) . ثم يفصل في تلك الأضرار .

ويناقش النورسي ابن عربي مناقشات عميقة في مسائل أتى فيها بالخيالات وظنيتها حقيقة ^(٢) . وعلى الرغم من ذلك فإنه يعده من المقبولين ، ولكن لا يجوز اتخاذه قدوة لغيره ، إذ يقول :

" نعم ، إن محيي الدين بن عربي مهتد ومقبول ، ولكنه ليس بمرشد ولا هاد ، وقدوة في جميع كتاباته ، إذ يمضي غالبا دون ميزان في الحقائق ، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة ، ويفيد بعض أقواله - ظاهرا - الضلالة غير أنه يرى من من الضلالة ، إذ الكلام قد يبدو كفرا بظاهره ، إلا أن قائله لا يكون كافرا " ^(٣) .
ويصرح النورسي أن موقفه القوي في مناقشة ابن عربي صادر من اعتماده الدائم على نصوص القرآن الكريم فيقول :

" ولكن لما كنت سأخوض في البحث معتمدا على نصوص القرآن الكريم ، فسوف أستطيع أن أخلق أعلى من ذلك الصقر وأسمى منه ، وإن كنت ذباية " ^(٤) .
وكما يرفض النورسي " وحدة الوجود " فإنه يرفض " وحدة الشهود " لأن أصحابها على الرغم من أنهم أثبتوا وجودا حقيقيا للكائنات ، إلا أنهم سجنوها في سجن النسيان المطلق ، فقالوا : لا مشهود إلا هو . للوصول إلى الاطمئنان القلبي .
إن النورسي لاتباعه الصارم لحقائق القرآن والسنة لا يقبل في هذا الجانب

(١) اللمعات ٤٤٣ .

(٢) اللمعات - اللمعة التاسعة وذيلها . ص ٥٢ - ٦٥ .

(٣) اللمعات . ص ٤٤٥ .

(٤) المصدر السابق . ص ٥٢ .

إلا بوضع واحد ، وهو الوضع الإسلامى الحقيقى الصحيح . وهو إثبات الوجود لله تعالى ، وإثبات وجود آخر لمخلوقات خلقها الله تعالى بهداية أسمائه الحسنى وتجليها عليها . فالمسلم فى الوقت الذى يصل إلى أعلى درجات العبودية لله تعالى ، ويفى فيها ، لا ينسى مخلوقاته ، وكيف ينساها ، وهى موضع تجليات أسماء الله الحسنى . (١)

ويستتبط النورسى طريقا قرآنيا للسلوك إلى الله تعالى عبارة عن خطوات أربع ، يستعويض بها عن السلوك الطويل عند الصوفية المبنى فى خطواته على الاجتهادات الذاتية ، غير المنضبطة أحيانا بضوابط الكتاب والسنة .
يقول :

" وقد استفدت من فيض القرآن الكريم - بالرغم من فهمى القاصر - طريقا قصيرا وسيلا سويا هو : طريق العجز ، الفقر ، الشفقة ، التفكير " . (٢)

ثم شرع فى تفصيل هذه النقاط واحدة واحدة . (٣)

هذا عن التصوف وموقف الأستاذ النورسى منه ومن بعض أقطابه ، نرى من خلاله الإنصاف فى النظرة ، والمعالجة والدقة فى الحكم ، والشمولية فى النهج والتصور .

فهو يعده أساسا مهما من أسس إيصال الإنسان المسلم إلى الاستقامة والتقوى ، ورافدا ثرا من روافد صياغة حياته العابدة لله ، فى الوقت الذى ينيه المسلمين إلى الانحرافات والسلبيات التى دخلت فى علم التصوف وواقعه ، نتيجة لابتعاد بعض المتصوفة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومسلك الصحابة الكرام والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم .

سادسا : اعتماد جماعية العمل

سلك الأستاذ سعيد النورسى منهج " جماعية العمل " فى الدعوة ، لأنه من ناحية يتفق مع مكانة هذا الدين وعظمته وشموله ، ومن ناحية أخرى فإن

(١) أنظر الكلمات . ص ٥٦١ .

(٢) المكتوبات . ص ٥٩٤ وراجع النورسى منكم العصر ، ص ٢٠٩ - ٢١٥ فقد نقلنا عنه التلخيص لمناسبته للمقام فى هذه المعالجة . (٣) المكتوبات . ص ٥٩٤ - ٥٩٦ ، الكلمات ص ٥٥٨ - ٥٦٠ .

الجماعية فى العمل تثمر ثمرتها المرجوة فى التبليغ ، والوقوف صفا واحدا فى مواجهة جيوش العلمانيين والملحدين الجرارة فى الداخل والخارج التى ألقّت بكلكتيا على كل ما هو إسلامى ، وبالذات فى تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية قرونا عديدة ، لأجل هذا رأينا الأستاذ النورسى يحشد طاقات تلاميذه للوقوف صفا واحدا أمام هجمات هذه الجيوش الجرارة ويشدّ همهم للعمل متساندين متعاونين للإسلام ، بدلا من الفرقة والخلاف والتشرزم الذى يبدد الطاقات ويبعثر الجهود ويضيع الأوقات سدى .

لقد حض طلابه على الوحدة والتعاون والتآخي فيما بينهم ، وحملهم مسئولية التقصير فى ذلك ، مظهرا لهم أن هذا الزمان هو زمان الجماعة لا الفرد .. وكرر ذلك فى رسائله فى أكثر من مناسبة ، من ذلك قوله :

" إن هذا الزمان ، زمان الجماعة ، فالأهمية والقيمة تكونان حسب الشخصية المعنوية للجماعة . وينبغى ألا تؤخذ بنظر الاعتبار ماهية الفرد المادية الفردية الفانية ، ولا سيما شخص ضعيف مثلى الذى لا حول له ولا قوة ، فان منحه أهمية تفوق قيمته ألف درجة ، وتحميل كاهله ألوف الأبطال ، وهو الذى لا يتحمل رطلا واحدا ، لا شك أنه ينسحق تحت هذا الحمل . " (١)

وقوله :

" أما الآن فقد بعث المولى الكريم " رسائل النور " التى هى بحكم شخص معنوى ، وبعث طلابها الذين هم - جسر التساند والترابط - بحكم الفرد الفريد ، إلى هذا العصر ، عصر الجماعة ، المحاط بالظروف المعقدة والأوضاع الرهيبة ، لأجل القيام بتلك المهمة الجليلة . " (٢)

وقوله :

" تعلمون أن ألفين إذا كانتا متفرقتين لا تكون قيمتهما إلا اثنين ، بينما إذا تحدثتا على خط واحد متكاتفين تكون قيمتهما إحدى عشرة . فالخدمة الإيمانية

(١) الملاحق . ص ١٠١ .

(٢) الملاحق . ص ١٠١ .

التي تهيئونها بنصائحكم السديدة المؤثرة ، إذا ظلت وحدها فمن الصعب أن تقبـ
الهجمات المتحدة في الوقت الحاضر ، بينما إذا التحقت بخدمة رسائل النور فسـ
- كتلكم الألفان - قيمتها إحدى عشرة ، بل ألفا ومائة عشرة وفي قوتها . وسـ
الضلالات المتفككة المواجهة لها . " (١)

وقوله :

" إن هذا الزمان - لأهل الحقيقة - زمان الجماعة ، وليس زمان الشخصية
الفردية وإظهار الفردية والأنانية . فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمـ
ويصمد تجاه الأعاصير . فلأجل الحصول على حوض عظيم ، ينبغي للفرد إـ
شخصيته وأنانيته التي هي كقطعة ثلج في ذلك الحوض وإذابتها فيه ، وإلا ستكـ
حتمًا تلك القطعة من الثلج ، وتذهب هباء وتفتت الفرصة من الاستفادة من تلك
الحوض أيضا .

إنه لمن العجب وموضع أسف أنه بينما يضيع أهل الحق والحقيقة العـ
العظمى في الاتفاق بالاختلاف فيما بينهم ، يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على
القوة المهمة فيه - رغم مخالفته لمشربهم - فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقـ
مع أنهم لا يتجاوزون العشر بالمائة . " (٢)

وقوله أيضا :

" إن هذا الزمان زمن الجماعة ، فلو بلغ دهاء الأشخاص فردا فردا حـ
الخوارق ، فربما يغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوي . لذا فـ
... إن مهمة إيمانية جليلة بحيث تنور عالم الإسلام من جهة ونائسنة من أنوار دهـ
قدسى ، لا تحمل هذه المهمة على كاهل شخص واحد ضعيف مغلوب ظاهر
يتربص به أعداء لا يعدون وخصماء ألداء يحاولون التفتيقص من شأنه بالإهـ
الشديدة ، لسقط الحمل وتبعثر . " (٣)

وقوله في موضع آخر لتلامذته في "أسبارطة" :

" إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد ، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزجـ

(١) الملاحق . ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق . ص ١٦٣ ، ١٧٨ .

(٣) الملاحق . ص ٢٦٤ .

فالحياة المعنوية تذهب أيضاً أدرج الرياح .

فالآية الكريمة (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال : ٤٦) . تشير إلى أن التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها .

إنكم تعلمون أن ثلاث ألفات إذا كتبت مفردة متفرقة فقيمتها ثلاث ، ولكن إذا اجتمعت بالتساند العددي فقيمتها مائة واحد عشر . فان بضع أشخاص من أمثالكم من خدام الحق إذا عمل كل منهم على انفراد من دون اعتبار لتقسيم الأعمال ، فان قوتهم تكون بقوة ثلاثة أو أربعة أشخاص ، بينما إذا ما عملوا متساندين باخوة حقيقية ، مفتخراً كل منهم بفضائل الآخرين ، حتى يبلغوا بسر الفناء في الأخوة أن يكون أحدهم هو الآخر بنفسه ، أقول : انهم إذا ما عملوا هكذا فان قيمة أولئك الأشخاص الأربعة تكون بمثابة أربعائة شخص .

إنكم يا أخی بمثابة مولدات الكهرباء التي تمد الضوء إلى بلد عظيم وليس إلى إسبارة وحدها ، فدواليب الماكينة مضطرة إلى التعاون فيما بينهما . فان كلاً من تلك الدواليب - ناهيك عن الغيرة والاستياء - تجد الراحة مما تكسبه من القوة الفائقة التي تمتلكها الدواليب الأخرى ، حيث إنها تخفف عنه عبء الوظيفة .

إن الذين يحملون على أكتافهم أعباء خدمة الإيمان والقرآن والتي هي بمثابة خزينة الحق والحقيقة العظيمة الرفيعة يفتخرون كلما انضم إليهم قوية متعاونة معهم ، فيشكرون ربهم .

حذار حذار من فتح باب النقد فيما بينكم . إن ما يستحق النقد خارج الصف كثير بل كثير جداً . فكما أنني أفتخر بمزاياكم ، وأجد الراحة والسلوان من مزاياكم التي حرمت منها ، وأعدها كأنها عندي وأنا المالك لها ، فأنتم كذلك عليكم النظر إلى مزايا إخوانكم على هذا النمط . فليكن كل منكم ناشراً لفضائل الآخرين . (١)

وبين لتلامذته أن الإخلاص في العمل أساس الاجتماع وسر النجاح من خلال رسائل في الإخلاص ، منها ما ذكره في " اللمعة الحادية والعشرين " (٢) والتي قدمها بالقرآن الكريم ثم قال في أول حديثه :

(١) الملاحق ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) راجع للمعات . ص ٢٤١ - ١٥١ .

" يا أخوة الآخرة ! ويا أصحاب في خدمة القرآن ! اعلموا - وأنتم تعلمون - أن الإخلاص في الأعمال ولاسيما الأخروية منها ، هو أهم أساس ، وأعظم قوة ، وأرجى شفيح ، وأثبت مرتكز ، وأقصر طريق للحقيقة ، وأبر دعاء معنوي ، وأكرم وسيلة للمقاصد ، وأسمى خصلة ، وأصنى عبودية .

فما دام في الإخلاص أنوار مشعة ، وقوى رصينة كثيرة أمثال هذه الخواص .. ومادام الإحسان الإلهي قد ألقى على كاهلنا مهمة مقدسة ثقيلة ، وخدمة عامة جلييلة ، تلك هي وظيفة الإيمان وخدمة القرآن .. ونحن في غاية القلة والضعف والفقر ، ونواجه أعداء الداء ومضايقات شديدة ، وتحيط بنا البدع والضلالات التي تصول وتجول في هذا العصر العصيب .. فلا مناص لنا إلا ببذل

كل ما في وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالإخلاص .. فننحن مضطرون إليه ، بل مكلفون به تكليفاً ، وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سر الإخلاص في ذواتنا ، إذ لو لم نفز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة - لحد الآن - ولما دامت وإلا استمرت خدمتنا ، ثم نحاسب عليها حساباً عسيراً ، حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى : (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية ، لأجل مطامع دنيوية دنيئة ، مقبلة ، مضررة ، مكررة ، لا طائل من وراءها ولا فائدة ، إرضاء لمنافع شخصية جزئية تافهة (١).

ووضع لهم عدة دساتير لتكون راتداً لهم ، لأجل الوصول إلى الظفر بالإخلاص وللحفاظ عليه ولدفع الموانع وإزالتها عنه .

فخص الدستور الأول بالحديث عن ابتغاء وجه الله تعالى والسعي من أجل رضاه سبحانه بالدعوة إلى دينه .

وخص الدستور الثاني بالحديث عن التحذير من انتقاد بعضهم بعضاً ، أو التفاجر والاستعلاء على بعض ، فهم جميعاً بمثابة الإنسان الكامل ، وهم جميعاً في سفينة ربانية واحدة تسير بالأمة الإسلامية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام . وهذا يدعوهم إلى الاتحاد والتساند والتأخي يقول :

(١) للمعات . ص ٢٤١ .

" فيا طلاب رسائل النور ويا خدام القرآن ! نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها : الإنسان الكامل .. ونحن جميعاً بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة . فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسيير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام .

نحن إذن بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر " الإخلاص " الذي يهبط قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر " ١١١١ " ناتجة من أربعة أفراد . نعم .. إن لم تتحد ثلاث " ألقات " فستبقى قيمتها ثلاثاً فقط ، أما إذا اتحدت وتساندت بسر العددية ، فإنها تكسب قيمة مائة واحد عشرة " ١١١ " وكذا الحال في أربع " أربعات " عندما تكتب كل " ٤ " منفردة عن البقية فإن مجموعها " ١٦ " أما إذا اتحدت هذه الأرقام وانفقت بسر الأخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة على سطر واحد ، فعندها تكسب قيمة أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين " ٤٤٤٤ " وقوتها . هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جداً أثبتت أن ستة عشر شخصاً من المتأخرين المتحدين للمضحين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص . " (١)

وفي الدستور الثالث : أظهر أن الإخلاص سر قوتهم وفرع الأعداء منهم على قلة عددهم ، وسبب تأييد الله عز وجل لهم ، كما أنه سبب حب بعضهم بعضاً وإيثار بعضهم لبعض .

وفي الدستور الرابع : حثهم على الالتفاف حول العمل الموحد للدعوة مع التخلي عن حظوظ النفس . يقول :

" نستوركم الرابع :

هو الاقتدار شاكرين بمزايا إخوانكم ، وتصورها في أنفسكم ، وعد فضائلهم في ذواتكم .

فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال : الفناء في الشيخ ، الفناء في

الرسول .

(١) اللغات ص ٢٤٣ .

وأنا لست صوفياً ، ولكن " الفناء فى الأخوان " دستور جميل يناسب مسلكتنا ومنهجنا تماماً . أى أن يفنى كل فى الآخر ، أى أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية ، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم . حيث أن أساس مسلكتنا ومنهجنا هو الأخوة " فى الله ، وأن العلاقات التى تربطنا هى الأخوة الحقيقية ، وليست علاقة الأب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المرید . وأن كان لابد فمجرد العلاقة بالأستاذ . وما دام مسلكتنا هو " الخليلية " فمشرينا إذا " الخلة " . والخلة تقتضى صديقاً صدوقاً ، ورفيقاً مضحياً ، وأخاً شهماً غيوراً .. وأس الأساس لهذه الخلة هو " الإخلاص التام " فمن يقصر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلة العالى ، ولربما يتردى فى واد سحيق ، إذ لا موضع فى المنتصف " (١)

وحذرهم من موانع الإخلاص كالرياء والسمعة ، والأثانية ، واستشرف الرياسة والمنازل الدنيوية الفانية ، والإعجاب بالنفس ، والخوف ، والطمع ، والحسد الناشئ من التنافس والحرص على المنافع الذاتية ، مع أنهم جميعاً شركاء فى ثمرة العمل ، وضرب لهم المثل التالى :

" اشترك خمسة أشخاص فى إشعال مصباح زيتى . فوقع على أحدهم إحضار النفط ، وعلى الآخر الفتيلة ، وعلى الثالث زجاجة المصباح ، وعلى الرابع المصباح نفسه ، وعلى الأخير علبه الكبريت .. فعندما أشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكاً لمصباح كامل ، فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائطه إذن لأصبح منعكساً فى مرآته مصباح كامل - مع ما فى الغرفة - من دون تجزؤ أو نقص ..

وهكذا الأمر فى الاشتراك فى الأمور الأخروية بسر الإخلاص ، والتساند بسر الأخوة ، وضم المساعى بسر الاتحاد ، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين ، وجميع النور النابع منها ، سيدخل بتمامه فى دفتر أعمال كل منهم .. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة ، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق " (٢)

كما بين لهم أثر الإخلاص فى إدامة العمل وتنميته بهذا المثل :

(١) للمعات ص ٢٤٥ ، وانظر الملاحق ص ١٩٤ ..

(٢) للمعات ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

" يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الإنتاج الوفير وعلى ثروة هائلة نتيجة اتباعهم قاعدة " المشاركة في الصنعة والمهارة " . واليك المثال :

قام عشرة من صناعي ابر الخياطة بعملهم ، كل على انفراد ، فكانت النتيجة ثلاث ابر فقط لكل منهم في اليوم الواحد .. ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة " توحيد المساعي وتوزيع الأعمال " فأتى أحدهم بالحديد والأخر بالنار ، وقام الثالث بتقب الإبرة ، والأخر بإخالتها النار ، والأخر بدأ يحدها .. وهكذا . فلم يذهب وقت أحد سدى ، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأتجزه بسرعة ، لأنه عمل جزئي بسيط أولاً ، ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانياً . وحينما وزعوا حصيلة جهودهم ، رأوا أن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلاً من ثلاث ابر .. فذهبت هذه الحادثة أنشودة يترنم بها أهل الصناعة والحرف ، الذين يدعون إلى توحيد المساعي وتوزيع الأعمال . (١)

وكان يحاول قدر استطاعة - كما سيأتي - تجميع كلمة الدعاة على عصره على كلمة سواء ، خاصة في المتفق عليه بينهم واعدار بعضهم بعضاً في المختلف فيه ، لأن الكل يعمل في خندق واحد ، ويواجهون عدواً مشتركاً .

وقد مر فصل الأهداف أنه استنهض هم جميع المسلمين في المجتمع التركي للتكاتف والتساند والوقوف صفاً واحداً لتحقيق الوحدة الإسلامية التي تقف سداً منيعاً في مواجهة الأخطار الماحقة بها والتي تتهددها في الداخل والخارج على السواء .. ودعاهم إلى نيل الفرقة والخلاف الداعيين إلى ذهاب هيبة الأمة وتمكن أعدائها منها . كما مر أنه شارك في إنشاء " الاتحاد الإسلامي " ودعا المسلمين إلى الانضواء تحت لوائه لتفويت الفرصة على الأعداء المتربصين بالإسلام والمسلمين .

سابعاً : عدم التعرض للعلماء والهيئات والجماعات العاملة للإسلام :

سلك الأستاذ النورسي في دعوته منهجاً وسطاً إيجابياً في التعامل مع العلماء والهيئات والجماعات العاملة للإسلام ، فهو لم يتعرض لهم بالسب أو التجريح

(١) المصدر السابق . ص ٢٤٩ .

لمجرد أنهم خالفوه في الرأي أو الوجهة وإن كانت الغاية واحدة ، ولكنه عذراً ،
، وفتح لهم قلبه بغرض الاجتماع والوقوف صفاً واحداً للعمل للإسلام .
وهو في ذلك انطلق من مبدئين أساسيين واضحين :

لأول : إن الإسلام أمر أتباعه بالوحدة والاتفاق ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف
والعلماء والدعاة إلى الله تعالى في مقدمة المطالبين بذلك .

الثاني : أن العصر الذي عاش النورسي فيه تكالب فيه الملحدون ومن دار في فلكه
على حرب الإسلام والمسلمين ، فلم يعد هناك أمام الدعاة وقت للانشغال
بالقضايا الفرعية الجزئية أو بخلافاتهم الشخصية ، وعليهم أن يوحدوا جهودهم
لمواجهة العدو المشترك خاصة وأنهم جميعاً يعملون في خندق واحد ويواجهون
عدواً مشتركاً للجميع .

لهذا وجدنا النورسي - رحمه الله - يعرض صفحاً عن الخلافات الفرعية ويعبر
على لم شمل الجميع حول العمل للإسلام فيقول : " إنني في هذا الوقت الذي
أتقرب فيه إلى القبر .. وفي هذا الوطن الذي هو بلاد إسلامية ، نسمع نعيق
أبوام البلاشفة .. هذا النعيق يهدد أسس الإيمان في العالم الإسلامي ، ويشتت
الشعب ولاسيما الشباب إليه ، بعد سلب الإيمان منهم .

إنني بكل ما أملك من وجود ، أجاهد هؤلاء ، وأدعو المسلمين وبخاصة
الشباب إلى الإيمان ، فأنا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة . وسأمثل إن شاء
الله في ديوان حضوره سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد . وكل عملي ينحصر في
هذا وأخشى ما أخشاه أن يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشفة أيضاً .
فغايتي المقدسة هي التكاثر والتساند والترابط مع كل من يجاهد أعداء الإيمان هؤلاء
، أعطوني حريتي وأطلقوا يدي كي أعمل بتكاثر مع القوى المجاهدة في سبيل إعلان
التوحيد وترسيخ الإيمان في هذه البلاد وإصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية . " (١)

ويقول : " وعلينا التجرد والابتعاد عن تلك الحالات التي تؤدي إلى التنافس والتحيز
والتنازع فأسفاً ، وألف أسف لأهل العلم ولأهل التقوى الضعفاء الذين يتعرضون

(١) الشعاعات ص ٥٤٤ .

- في الوقت الحاضر - إلى هجوم ثعابين مرعبة ، ثم يتحجبون ببنوات جزئية شبيهة بلسع البعوض ، فيعانون بانتقاد بعضهم البعض تلك الثعابين الماردة . ويسدون المناققين الزنادقة بأسباب لتدميرهم وتحطيمهم ، بل يساعدونهم في هلاك أنفسهم بأيدي أولئك الخبيثاء . " (١)

وقد مر بنا منذ قليل كيف أنه جعل من منهجه شحذ همم تلامذته واستيحاء طاقات المجتمع التركي للالتفاف حول رؤية الإسلام والعمل له بصورة جماعية لا فردية ، وحذرهم من التفرق والاختلاف الذي لا يستفيد منه إلا الأعداء ، وأضاف إلى ذلك مد يد التعاون والتساند للعاملين للإسلام على مختلف مشاربهم ، وطرح الخلافات الفرعية بينهم جانباً عملاً جانباً بعيداً " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه " .

ليذا وجدنا تعاوناً وثيقاً بينه وبين العلماء الذين قدروا قيمة ما يدعو إليه ، كما كان الشأن مع أمين الفتوى بتركيا الشيخ " على رضا" ، فقد كانت بين العالمين علاقات مودة استغللت لصالح الدعوة ، وكان الشيخ " على" من ناحيته يتشى على النورسى كثيراً .

فمن ذلك قوله : " لقد خدم بديع الزمان الدين الإسلامى أعظم خدمة فى هذا الزمان ، وأن مؤلفاته صائبة جداً ، ولم يتيسر لأحد إخراج أثر كهذا فى مثل هذا الزمان الجذب ، إذ ترك الدنيا ونبذها . وهو قمين بالتهينة والتبريك بكل الوجوه وأن رسائل النور مجددة للدين نسأله تعالى أن يوفقه للخير آمين . " (٢)

ويقول :

" أخص سلامى الكامل لبديع الزمان مع الاحترام والتوقير له . وأنا فى دعاء مستمر لكم لتكملوا مؤلفاتكم . لا تتألم من تعرضك لانتقاد بعض علماء السوء ، إذ الأشجار المثمرة ترشق بالأحجار لنيل الثمار ، مثل مشهور . استمعوا فى جهادكم

(١) الملاحق صـ ٢١٤ .

(٢) الملاحق صـ ١٩٨ .

نسألہ تعالیٰ أن یوفقک فی مقصودک عاجلاً . وفي أمانة الله وحده وحفظه . (١)
وقد مر بنا إعجاب الشيخ " بخيت " مفتي الديار المصرية به ، ورضاه عن
دعوته ، بل وتبؤه بمستقبل دعوى طيب له .
كما سبق أيضاً إعجاب علماء الحجاز بدعوته ، ومنهجه في محاولة جمع
كلمة الجميع على صعيد واحد ، فقاموا بنشر ما يتعلق بذلك في الحجاز والهند لتعم
الفائدة.

وكان الأستاذ سعيد يستغل أية بادرة خير من قبل العلماء فيعمل على توجيهه
لصالح الدعوة والالتفاف حوله كلمة سواء . ولهذا لما برأت رئاسة الشؤون الدينية
ساحة الرسائل - كما سبق - (٢) ولم تأخذ على منهجه في الدعوة إلا بعض جزئيات
يسيرة كتب لهم رسالة شكر ، وتصحيح لما أخذوه عليه بأسلوب هادئ لين ، ومد له
يد التعاون على المتفق عليه ، فقال في نهاية الرسالة :

"إننا مع عدم امتعاضنا من انتقاداتكم الجزئية ننتظر منكم أيها العلماء
الأفاضل ضماداً لجرأحتنا ، وتكونوا أعواناً لنا بقوة فراسكتكم . " (٣)

وقد عاصرت دعوة النورسى دعوات إصلاحية تجديدية فردية وجماعية -
من بلدان العالم الإسلامى كدعوة الإمام محمد عبده (١٣٢٣ - ١٣٥٣هـ) والدكتور
محمد إقبال (١٨٧٣-١٩٣٨م) والإمام حسن البنا (١٩٠٥-١٩٤٩م) ، والإمام محمد
ابن على السنوسى (١٨٨٧ - ١٩٥٩م) والأستاذ عبد الحميد بن باديس (١٣٥٩هـ)
وكان بين دعوته ودعوة هؤلاء الأعلام المجددين تقارب وانتلاف .

فهم قد انطلقوا جميعاً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومنهج السلف
الصالح رضوان الله عليهم ، واندمجوا بمشكلات مجتمعاتهم . وعبر كل منهم عنها
بأسلوبه الخاص المناسب لظروف بلده ، ولكن في وحدة عقيدته واضحة ،
وأساس فكرى شمولى موحد . وكان هناك تقارب أكبر بين الامام حسن البنا

(١) المصدر نفسه ص ١٩٨

(٢) انظر الشعاعات ص ٤٧٦ - ٤٨١ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤٨١ .

والإمام النورسي ، وبين جماعتيهما " النورية" و" الأخوان المسلمون" . وقد كان النورسي يدرك تمام الإدراك هذا الاتحاد الثابت بين الجماعتين.(١)

ظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى أخوان حلب في سورية ، يعبر لهم فيها عن شكره وامتنانه لرسالتهم له ، ويؤكد على الاتحاد القائم بين الجماعتين ، ويحث على المزيد من التعاون بينهما . يقول في الرسالة :

" إخواني الأعزاء الأوفياء !

أولاً : بارك الله فيكم ألف مرة على إنجازكم مجموعة " الكلمات " على أفضل وجه وأصح . وحمداً كثيراً لله على إنقاذكم قسماً من المجموعات من المصادرة والتلف .

ثانياً : بالنسبة للتهنئة التي كتبها إلى من حلب أحد أعضاء الأخوان المسلمين ، فإننا تهنئه بالمقابل ، ونهنيء الأخوان المسلمين من صميم قلوبنا وأرواحنا ونقول لهم : بارك الله فيكم ألف مرة . إن طلاب النور - الذين هم بمثابة خلف الاتحاد المحمدي السابق - يمثلون الاتحاد الإسلامي في الأناضول . أما في البلاد العربية فالأخوان المسلمون هم الذين يمثلون الاتحاد الإسلامي .. إن طلاب النور والأخوان المسلمين - من بين صنوف عديدة - يشكلان صفيين مترافقين ومتوافقين ضمن حزب القرآن ، وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدسة ، وقد سعدنا باهتمامهم الجدي برسائل النور وبعزمهم على ترجمة بعضها إلى اللغة العربية ، ونحن نحمل لهم شعور العرفان بالجميل .

لذا فأرسلوا جواباً لمن أرسل إلى بطاقة التهنئة باسم جمعية الأخوان المسلمين وأرجو منهم أن يقوموا برعاية طلاب النور ورسائل النور هناك." (٢)

وقد جعل من منهجه تقديم النصح الهادئ اللين للعلماء الذين اتخذهم

(١) النورسي متكلم العصر . ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) الملاحق . ص ٣٣٧ .

العلمانيون أدوات طيبة لهم للتضييق على دعوته ، وقد سبق في فصل الوسائل طرق
من ذلك . وكان كثيرا ما يوصى تلامذته بعدم التعرض لهم بالسب أو التجريح
وعدم فتح باب الجدل أو النقاش معهم ، حتى لا يوغروا صدورهم على الله
فيوجهوا سهام النقد والتجريح لهم ولدعاتهم بدلا من توجيهها إلى الإلحاد والملحى
يقول " إخوتى ! عليكم بمنتهى الحيطة والحذر .. وإياكم إياكم أن تفتحوا باب
النقاش مع العلماء ، بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة على قدر الإمكان
فلا تتعرضوا لغرورهم العلمى حتى لو كان أحدهم ميالا إلى البدع ومستحدثات الآ
لأن الزندقة الرهيبة تجاهنا . فيجب عدم دفع هؤلاء المبتدعين إلى صف الملحى
وإذا ما صادفتهم علماء رسميين أرسلوا إليكم خاصة ، فلا تفتحوا باب النقاش
معهم ، لأن اعتراضاتهم باسم العلم سيكون مستندا بيد المنافيين . " (١)

وقال لهم بشأن عالم واعظ انتقد الأستاذ وقل من شأنه ومن شأن رسائل النور
" بلغوا ذلك العالم الواعظ عنى السلام ، فإننى أقبل انتقاده لشخصى
واعترضه على بتقدير وبرحابة صدر . وأنتم يدوركم لا تسوقوا ذلك العالم القاصر
ولا أمثاله من العلماء إلى المناقشة والمناظرة ، ولو حدث تعد وتجاوز علينا ، فلا
تقابلوه حتى بالدعاء عليهم . إذ أن ذلك المتجاوز أو المعارض أيا كان ، هو أخوتنا
حيث الإيمان لأنه مؤمن . حتى لو عادانا ، فلا نستطيع أن نعاديه بمثل عداته ، حتى
ما يرشدنا إليه مسلطنا . لأن هناك أعداء شرسين وحيات لاذعة ، ونحن لا نملك سوى
النور ، ولا الصولجان . والنور لا يؤلم ، بل يلاطف بضياءه ، ولا سيما الذين هم
علم فلا تثيروا غرورهم العلمى إن كانوا على غرور وأنايية ، بل استرشدوا
استطعتم بدستور الآية الكريمة : (وإذا مروا باللغو مروا كراما) (الفرقان : ٧٢) .
وقال : " اتباعا لدستور الآية الكريمة (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)
(آل عمران : ١٣٤) .

(١) الملاحق . ص ٢٨٢ .

(٢) الملاحق . ص ٢١٤ - ٢١٥ .

وحفاظا على إيمان المؤمنين من التصدع ، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم .

وبناء على ما يلزم من إنقاذ الأركان من طلاب النور المخلصين من ثورة الغضب المضرة - مع كونها محقة - على اعتراضات باطلة .

واجتنابا لما يستفيد منه أهل الإلحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الأولى بسلاح الأخرى واعتراضاتها ، وتهوين شأن الثانية بدلائل الأولى ثم دحرهما معا .

على طلبية النور حسب الأسس المذكورة :

ألا يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور ، ولا يقابلوهم بالمثل ، بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب ، مع إظهار روح المصالحة ، والإيجابية بوضوح عن نقاط الاعتراض ، حيث أن الأنائية في عصرنا هذا قد تطاولت واشترأبت بعنقها ، حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يذيب أنايته - التي هي كقطعة تلج بطول قامته - ولا يرغب في تغييرها بل يسوغ لنفسه ويراهم معذورة دائما . وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ، ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق وأهله .. إن حادثة الاعتراض في استنبول تومئ إلى أن بعض العلماء المعجبين بمشربهم ، والأنايين من المتصوفة ، وبعض المرشدين ، وأهل الحق ممن لم يقتلوا نفوسهم الأمانة بالسوء ، ولم ينجوا من ورطة حب الجاه سيعترضون على رسائل النور وطلابها ، حفاظا على رواج مشربهم ومسالكهم وتوجه أتباعهم إليهم ، بل هناك احتمال قوى أن تكون المقابلة شديدة ، فعند حدوث مثل هذه الحوادث بالتأني وتبسط النفس والثبات وعدم الولوج في العداة وعدم التهوين من شأن رؤساء الطائفة المعارضة . (١)

وقال لهم موجهها إياهم :

" إنه لا أهمية قطعا لانتقادات خفيفة يوجهها إلينا بعض المتصوفة - كما ورد في رسالة أخيننا من قونيا - وعليهم ألا يتألموا منها ، ولا يقابلوهم بالمثل بأي وجه من الوجوه . لأنى أعد تلك الانتقادات نوعا من النصيحة وضربا من الالتفاتة

(١) الملاحق . ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

والتكريم ، حيث أنها واردة من أهل الإيمان ، ولا سيما من أهل الطرق الصوفية .
 سيما ما كانت تمس شخصي بالذات . فأنا أسامحهم وأعفو عنهم ، فتجاه الأضرار
 الرهيبة التي ينزلها بنا أهل الإلحاد حاليا أعد تلك الانتقادات الطفيفة من إخواننا أهل
 الإيمان ، والتي تمس شخصي توصية صديق شبيه بالتذكير والتبويه لأخذ الحذر .
 إنه كان يفتح صدره لأي نقد يوجه إليه من قبل الآخرين العاملين بالإسلام
 على أن يكون نقدا إيجابيا بناء مبنيا على ضوابط شرعية مرعية مقصودا به الوصير
 إلى الحق ، لا نقدا هداما خاليا من معايير الضوابط الشرعية يقصد به حفظ النفس
 واتباع الهوى .

يقول مجيبا على سؤال حول حديث " اختلاف أمتي رحمة . " (٢)

" إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت .
 ومعناه : أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظريته .
 دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم ، بل
 يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا . أما
 الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه ، ومبعثه الحقد
 والضغينة والعداوة ، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث ، حيث
 المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأى عمل إيجابي بناء . وجوابا عن السؤال
 الثاني نقول :

إن كان التفرق والتحزب لأجل الحق وباسمه ، فربما يكون ملاذ أهل الحق .
 ولكن الذي نشاهده من التفرق إنما هو لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة
 بالسوء . فهو ملجأ ذوى النيات السيئة بل متكأ الظلمة ومرتكزهم ، فالظلم واضح

(١) الملاحق . ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٢) قال السخاوي في المقاصد : رواه البيهقي في المدخل بسند منقطع .. وأخرجه الطبراني والديلمي أيضا
 وفيه ضعيف ، وعزاه الزركشي وابن حجر لنصر المقدسي مرفوعا من غير بيان لسنده ، وعزاه العراقي
 لأدم بن أبي إياس بغير بيان لسنده أيضا . وفي الموضوعات للقراري أن السيوطي قال : أخرجه نصر
 المقدسي في الحجة والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند ورواه الحلبي والقاضي حسين وإمام الحرميين
 وغيرهم ، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا . (باختصار عن كشف الخفاء ٦٤/١) .
 وانظر تمييز الطبيب ص ١١ - (المرجم) .

فى تصرفاتهم ، فلو أتى شيطان إلى أحدهم معاونا له موافقا لرأيه تراه يشئى عليه
ويترحم عليه ، بينما إذا كان فى الصف المقابل إنسان كالملك تراه يلعنه ويقذفه .
أما السؤال الثالث فنقول :

إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفى سبيل الوصول إلى الحقيقة
إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق فى الأسس والغايات ، فهذا النوع من
الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جلية فى الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من
زواياها بأجلى صور الوضوح . ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل
أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة
وحب الظهور ، فلا تتلمع بارقة الحقيقة فى هذا النوع من بسط الأفكار ، بل تتولد
شرارة الفتن . فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقا فى المقصد والغاية ، بل ليس على الكرة
الأرضية نقطة تلاق لأفكارهم ، ذلك لأنهم ليس لأجل الحق ، فترى فيه الإفراط البالغ
دون حدود مما يفضى إلى انشقاقات غير قابلة للالتصام ، وحاضر العالم شاهد على
هذا. " (١)

ويقول فى موضع آخر :

" نحن نشكر من يرى نقائصنا ويربها لنا - بشرط أن تكون حقيقة - ونقول
له : ليرض الله عنك ، إذ كما نشكر من إذا وجد عقربا فى عنقنا ويرمينا عنا قبل أن
تؤذينا ، ونقدم له أجزل الشكر والامتنان .

كذلك نقبل ونرضى بنقائصنا وتقصيراتنا ونظل فى شكر وامتنان لمن نبهنا
إليها بشرط عدم تدخل الأغراض الشخصية والعناد ، وعدم جعله وسيلة لمعاونة أمثل
الضلالة والبذع . " (٢)

(١) المكتوبات . ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) الملاحق . ص ٢٥١ .

وانطلاقاً من هذا المنهج الذى سلكه فى دعوته ، فقد حاول رأب الصدع الذى بين أهل السنة والشيعة المعتدلين (١) . بعدم إثارة الخلافات التى لا تفيد فى الوقت الحاضر إلا الأعداء فى الداخل والخارج الذين ينفخون فى هوة الخلافات التاريخية بينهم . فدعا الطرفين إلى تناسى الخلافات الفرعية بينهم ، وعدم ترك الفرصة لبعض من كليهما بالسب والتجريح ، وأنه لا داعى للإفراط أو التفريط .

يقول :

" إنه لا خير فى الإفراط أو التفريط فى كل شىء ، وأن الاستقامة هى الحد الوسط الذى اختاره أهل السنة والجماعة ، ولكن مع الأسف كما تستر بعض أكثر الخوارج والوهابية بستار أهل السنة والجماعة ، فإن قسما من المفتونين بالسياسة والملحدون ينتقدون سيدنا علياً رضى الله عنه ويقولون : " إنه لم يوفق كاملاً فى إدارة دفة الخلافة لهله - حاشاه - بالسياسة فلم يقدر على إدارة الأمة فى زمانه " ، فإذن . هذا الاتهام الباطل من هؤلاء اتخذ الشيعة طور الغيظ والاستياء من أهل السنة . والحال أن دساتير أهل السنة وأسس مذهبهم لا تستلزم هذه الأفكار بسبل تثبت عكسها . لذا لا يمكن إدانة أهل السنة بأفكار ترد من الخوارج ومن الملحدون قطعاً ، بل إن أهل السنة هم أكثر ولاء وحبا من الشيعة لسيدنا على رضى الله عنه ، فهم فى جميع خطبهم ودعواتهم يذكرون سيدنا علياً بما يستحقه من الثناء وعلو الشأن ولا سيما الأولياء والأصفياء الذين بأكثريةهم المطلقة على مذهب أهل السنة والجماعة ، فهم يتخذونه مرشدهم وسيدهم . فما ينبغى للشيعة أن يجابهوا أهل السنة بالعداء ، تاركين الخوارج والملحدون الذين هم أعداء الشيعة وأهل السنة معا . حتى يترك قسم من الشيعة السنة النبوية عنادا لأهل السنة ! .

وعلى كل حال فقد أسهبتنا فى هذه المسألة حيث أنها قد بحثت كثيراً بين

العلماء .

فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة ! .

(١) أتى الأستاذ النورسى على الامام زيد رأس الزيدية ، وبين كيف أنه رد غلاة الشيعة لما تبرعوا من الخليفين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .. وذكر أن أتباعه هم أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة (انظر الملاحق ص ٨٤) .

ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم ! ارفعوا ثورا هذا النزاع فيما بينكم ، هذا النزاع الذى لا معنى له ولا حقيقة فيه ، وهو باطل ومضر فى الوقت نفسه . وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر ، ومن بعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضا .. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التى تثير النزاع ، لأنكم أهل التوحيد ، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد . " (١)

وقال موجهها كلامه للطرفين منهما :

" إن من الضروري ترك العداء الصغير الطفيف الداخلى لدى هجوم الأعداء الضخام الخارجين . إذ بخلاف ذلك سيكون الأمر فى حكم العون للعدو الكبير الخارجى .. ولهذا فعلى المنحازين من المسلمين إلى جهة من الجهات ضمن دائرة الإسلام ، أن يتناسوا تلك العداوات الداخلية مؤقتا ، كما تقتضيه مصلحة الإسلام . " (٢)

وفى موضع آخر نهى الطرفين عن التغالى فى حب آل البيت أو التفريط فيهم ، وعن الولوج فيما شجر بين الصحابة من خلاف ، حفاظا على ديننا وعلى وحدتنا وأخوتنا الإسلامية خاصة والعدو حولنا يتربص بنا - نحن المسلمين سنة وشيعة - الدوائر . فقال :

" وإن محبة آل البيت قد نص عليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) (الشورى : ٢٣) ، هذه المحبة أساس فى مسلكتنا وفى رسائل النور . ويلزم ألا يكون لدى الطلاب الحقيقين لرسائل النور أى ميل نحو معاداتها . فالضلالة والزندقة تستغل الاختلاف فى هذا العصر ، حتى أن هناك تيارات قوية تجعل أهل الإيمان فى حيرة من أمرهم حيث تبذل الشعائر الإسلامية وبشن هجوم عنيف على القرآن والإيمان ، لذا لا ينبغى فتح باب المناقشة فى الأمور الفرعية الجزئية التى تسبب الاختلاف إزاء هذا العدو اللدود .. وكذا لا يلزم قطعا دم الذين ارتحلوا وذهبوا إلى الآخرة ودار الجزاء . فليس من مقتضى محبة آل البيت - المأمورون نحن بحبهم - بيان تقصيرات أولئك بيانا لا جدوى منه

(١) للمعات . ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) الملاحق . ص ٣٠٣ .

بل فيه ضرر .. لأجل كل هذا فقد منع أهل السنة والجماعة مناقشة الفتن التي وقعت
زمن الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

ولاشتراك الذين بشروا بالجنة كالزبير وطلحة ، وكذلك أمنا عائشة الصديقة
رضى الله عنهم أجمعين فى واقعة الجمل ، فقد حكم أهل السنة والجماعة على تلك
الواقعة ، أنها نتيجة الاجتهاد ، وأن سيدنا عليا رضى الله عنه كان محقا وعلى
صواب والآخرون ليس لهم الحق . ولكن لأن الأمر ناشئ من الاجتهاد فهم معفون -
ثم إنهم - أى أهل السنة والجماعة - يرون أن مناقشة أمر البغاة فى حرب صفيين
فيها ضرر ، إذ تثير المناقشة نزعتين متضادتين هما : نزعة تقف ضد محبة آل البيت
، وأخرى تغلو فى حبهم " كالرافضة " فيتضرر الإسلام نتيجة لذلك .

لقد قال إمام علم الكلام سعد الدين التفتازانى أنه : يجوز " لعن يزيد " وأمثاله
من الظالمين كالحجاج والوليد . ولكن لم يقل أن " اللعن واجب ، أو فيه خير وفضيلة
، أو فيه ثواب وأجر " ، لأن الذين ينكرون القرآن الكريم ويجحدون بالرسول ﷺ
ويرفضون صحبة الصحابة الكرام للرسول ﷺ كثيرون جدا لا يعدون ولا يحصون .
وهم يصلون ويجولون أمامنا .

ومن المعلوم شرعا أن المرء إن لم يتذكر أحدا من الذين يستحقون اللعنة ولم
يلعنهم فليس فى هذا بأس قط ، لأن الذم واللعنة ليسا كالممدح والمحبة ، فهما لا
يدخلان فى الأعمال الصالحة ، وإن كان فيهما ضرر فهو أدهى .

وفى الوقت الحاضر ، استغل المنافقون بعض العلماء فأتاروا فيهم نزعة -
ضد أهل البيت - علما أن العلماء هم المأمورون بالحفاظ على الإسلام والحقائق
الإيمانية ، حتى وصل بهم الأمر إلى مهاجمة أهل الحقيقة واتهامهم بانتحالهم نزعة
التشيع ، ونشب العداء بينهما بحيث أنزل أولئك المنافقون ضربتهم القاضية بالجبهتين
معا ، وذلك باستعمال كل منهما ضد الآخر ووضعها فى مجابهته ، فهؤلاء الذين
يسعون فى إنزال الضربة القاضية بالإسلام مائلون أمامنا . (١)

(١) الملاحق ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

ثامنا : التربية

إن ركيزة أى دعوة تتمثل فى العناصر التى تحملها والتى ربيت على الإيمان بها واعتناقها والتحرك بها للأخريين .

والواقع المشاهد يقول : بقدر ما يكون عمق التربية ونضجها ، بقدر ما يكون التمكين للدعوة وانتشارها تحت أى ظرف من الظروف .

لأجل هذا وجدنا دعوات الأنبياء عليهم السلام تقوم من بعدهم على أكتاف الأتباع الذين تولوا تربيتهم وإعدادهم الإعداد الذى يؤهلهم لحمل أمانة التبليغ لدين الله تعالى .

وهذا ما رأيناه واضحاً فى دعوة النبى ﷺ الذى قام على أصحابه فرباهم وأحسن تربيتهم بالوسائل المتاحة له على زمانه ، فتخرج على يديه ﷺ ، جيل فريد فى التاريخ البشرى ثبت أمام شدائد المحن ، وحمل عبء التبليغ بعد النبى ﷺ حتى وصل إلينا بفضل الله تعالى صافياً لم تتل منه يد التحريف والتغيير رغم محاولات الهدم الكثيرة على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان .

فطن الأستاذ النورسى - رحمه الله - إلى هذا .. فكان من منهجه الذى سلكه فى دعوته بذل الجهد فى تكوين جيل يكون ردهاً له فى الدعوة فى حياته ويستمر بيبا بعد مماته ، والعبرة عنده بالكيف لا بالكم . يقول :

" الإخلاص الحقيقى يمتنعى من التطلع إلى المقامات والدرجات المادية والمعنوية ، فالكيف أهم وأفضل من الكم . وتبليغ حقائق القرآن إلى عشرة أفراد بإخلاص وصدق ؛ أهم عندى من إرشاد آلاف فى طريقة صوفية . وتبليغ الدعوة إلى عشرة أشخاص بمنزلة نواة تنبت وتصبح شجرة ثابتة بإذن الله . لكن هؤلاء الآلاف من المتصوفة يمكن أن تزلزل أفكارهم أمام الهجوم الفلسفى المضلل." (١)

وهذا ما رأيناه فى الواقع العملى على حسب ما أتيج له آنذاك .

(١) الملاحق ص٧٤.

فقد كان يتعهد من اصطفاهم من التلاميذ ، ويصقلهم من الداخل بالإيمان حتى يكونوا رجال عقيدة ثابتة لا يتزلزل أصحابها أمام الشدائد أياً كان وضعها ، وكان هو قدوة في ذلك .

يقول أحد الطلاب !

" كان يقوم لصلاة التهجد كل ليلة ، وكنت أحياناً أراه وهو يصلى ، فلا أستطيع النوم . وعندما كان يرانى مستيقظاً يقول لى : ما دمت مستيقظاً تتعل وشاركنى فى الدعاء . ولكنى كنت أجهل قراءة أى دعاء ، فكان يقول لى : سأدعو أنا وردد أنت بعدى: آمين .. وكنت أغفو أحياناً أثناء الدعاء ، فكان ينظر إلى ويقول :- لقد كنت أنا أيضاً مثلك .. ولكنك ستعود . " (١)

وكان قريباً منهم يشاركونهم فى أمورهم ، ويشاورهم حتى فى أمور الخاصة (٢) تعليماً لهم على روح المشاركة والعمل الإيجابى البناء . وقد سبق فى فصل الأهداف كيف أنه تعهدهم بتركية نفوسهم كى يكونوا أعضاء صالحين ينتفع بهم العباد والبلاد .

وسبق فى فصل الوسائل أيضاً كيف أنه أعطى للدعوة الفردية جزءاً من وقته وجهده لتربية من التقى بهم ، وقد وفق فى ذلك إلى حد كبير . وكانت وسائل التربية التى أتاحت له مرتكزة على ما يلى :

- ١- الثقة المتفائلة بالإنسان .
- ٢- توجيه الخطاب إلى العقل والقلب والروح معاً .
- ٣- الدعوة إلى التعلم من الطبيعة ، واستنباط الحكمة من كتاب الكون ،
- ٤- ضرب الأمثال .
- ٥- تجريد الخطاب التربوى من المقاصد الدنيوية ليغدو أكثر فعالية .
- ٦- تقوية البصيرة الأخلاقية للمتربى ليغدو قادراً على مواجهة تيار الدمار .
- ٧- خلق الحس النقدى لدى المتربى ودعوته إلى الحضور الفكرى أثناء التلقى " خذ ما صفا دع ما كدر " .

(١) يدعى الزمان سعيد النورسى . الصالحى ص٥٦ .

(٢) انظر الملاحق ص٢٣٧ .

٨- وضع نموذج النبي ﷺ للحث على الإقتداء به .

٩- استعماله كل وسائل التربية المتاحة لتوصيل المضامين المعرفية ومنها التربية بتفريغ الطاقة وبالعبودية وبالوعظ وبالقصة بأنواعها وبالقدرة الشاخصة .

١٠- إبرازه خصوصية التربية النسوية (١) كما سبق .

هذا .. وينبغي ملاحظة أمر مهم هنا سبقت الإشارة إليه في فصل الرسائل ، وهو : أن الأستاذ النورسي قضى ثمانية وعشرين عاماً في الملاحقات الدائمة من قبل الكماليين الجمهوريين ، والنفي والسجن إذا استثنينا فترة دعوته إبان الدولة العثمانية قبل إسقاط الخلافة والتي سلك فيها النهج التربوي في الدعوة على قصر المدة . وكانت المتابعة والتربية في هذه الفترة عن كتب لجميع تلامذته متعذرة ، اللهم إلا ما كان عن طريق :

(أ) المراسلة بينه وبينهم من موضع نفيه أو سجنه .

(ب) الشباب الذين كانوا يتسللون إليه خفية بعيداً عن أعين الرقباء .

(ج) التلاميذ الذين كانوا معه في السجن - وهم كثير - فقد وجدها فرصة لتعهدهم ورعايتهم ، ولهذا أطلق على السجن " المدرسة اليوسفية " ، لأنه حوله إلى محضن للتربية ، ومدرسة للتهذيب .. فما كانت تمر مدة على المسجون حتى يتحول السجن - كما يقول الأستاذ- بحقه مدرسة تربوية إرشادية ، وموضع تحابب ومكان تساطف ، حيث يقضى أيامه مع زملائه في راحة فضلاً عن راحته وتوجه الأنظار إليه بالرحمة ، بل لعله يفضل بقاءه في السجن على حريته في الخارج التي تتثال إليه الذنوب والخطايا من كل جانب ، ويأنس بما يتلقى من دروسى التربية والتركية فيه .

وحينما يغادره لا يغادره قاتلاً ولا حريصاً على أخذ الثأر ، وإنما يخرج رجلاً صالحاً تائباً إلى الله قد غنم تجارب حياتية غزيرة . فيصبح عضواً نافعاً للبلاد والعباد . " (٢)

(١) ملامح تربوية في رسائل النور . محمد رشدى عبيد .. ص٩٣-٩٤ . كتاب مؤتمر تجديد الفكر

الإسلامي

(٢) الكلمات ص١٦٥-١٦٦ .

إن سمة هذه المرحلة في حياة الأستاذ النورسي (١٩٢٧-١٩٥٠م) وعده
قساوتها تميزت - كما يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي - بالعمل السري الصامت
والتأسيس الصامت ، والتأكيد على الحذر الشديد لإرساء القواعد وتربية طلاب
يتحلون بالإخلاص الكامل والتفاني في العمل والوفاء الخالص والشغف بالدعوة
والارتباط المتين بها ، وبعد الهمة في سبيل نشر رسائل النور التي هي تفسير للقرآن
الكريم ، والعمل المتواصل في ترسيخ حقائق الإيمان في النفوس ودفع الشبهات عنها
، في الفترة التي تعد أقسى الفترات التي مرت على تركيا حيث الحرب النضروسي
على الإسلام قائمة تشدد كلما مر الزمان (١) .

فلما خفف عنه في الخمسينات ، كان قد كبر سنه حيث وصل إلى (٧٧) سنة
.. فكان الاتصال وبالتالي التعهد والتربية لعدد محدود من التلاميذ على أن يكونوا هم
نواباً عنه في تعهد بقية التلاميذ ومدارسة رسائل النور معهم . وقد مر أيضاً أنه
اعتذر عن مقابلة الأعداد الغيرة من الطلاب المقبلين على الدعوة .
وكتب لوحة على الباب الخارجي لمحل إقامته في " إسبارطة " و " أميرداغ "
بذلك .

يقول فريق من تلامذته الذين كانوا يتلقون منه مباشرة ثم ينوبون عنه في
تعليم الآخرين : " لقد رجونا من أستاذنا أن يدرسنا في غضون يومين الخطبة الشامية
المطبوعة بالعربية ، لعدم اتقاننا العربية ، ففضل علينا بشرحها ، ونحن بدورنا دوناً
ما قرره علينا ، وكان الأستاذ يكرر بعض الجمل ويعيدها كي يرسخها في أذهاننا ،
ولما كنا قد وجدنا المثال والحكاية الأخيرة واضحة ، فقد أبرزناها مقدماً إلى الطلاب
الجامعيين والنواب المتدينين ، ذلك لأن الأستاذ عندما استهل الدرس قال :
" إنني أضعكم أمامي بدلاً من المعلمين في ذلك القطار وأضع النواب
المتدينين حقاً بدلاً من النواب المتدينين الذين سألوني عن الشريعة قبل خمسة
وأربعين عاماً ، هكذا أتصور الأمر وأتكلم في ضوءه .

(١) مقامة الملاحق ص ٨٠٧ .

فنحن نبين ما فى هذه الرسالة من معان أولاً لأهل المعرفة والتربية والنواب
المتدينين ، وإذا شاءوا نبين لهم الدروس التى أخذناها من الأستاذ لدى شرحه الخطبية
ننا .. " (١)

فلم تكن إذن التربية بوسائلها الكاملة وبفترتها الزمنية المطلوبة ؛ متاحة
للأستاذ كما أراد هو خاصة فى عهد الكمالين وعلى النحو الذى أتيج لدعوات أخرى
عاصرت دعوته ، مثل دعوة " الأخوان المسلمون " التى تكونت لديها مناهج متكاملة
ووسائل متعددة فى التربية والتكوين وخطّة واضحة فى التدرج والعمل . لكن رغم
بذا كله بارك الله للأستاذ فى المتاح ، واستطاع بفضل الله - كما سبق - أن يكون
جياً من التلاميذ ولاسيما من الشباب أحدث صحوة طيبة فى تركيا ، نرى مظاهرها
وأثارها بادية فى جوانب متعددة من الحياة هناك .

تاسعاً : الاكتفاء بدحض الشبهة دون ذكر الشبهة نفسها :

سلك الأستاذ سعيد النورسى فى دحض شبهات شياطين الإنس من العلمانيين
الملحدين والمستشرقين منهجاً هو : الاكتفاء بدحض الشبهة دون الذكر الصريح لها إلا
فيما ندر ، وذلك بإيراد البراهين الكثيرة التى لا تدع للقارئ أو المستمع مجالاً للريب
فى الحقيقة التى بينها الأستاذ بياناً شافياً واضحاً إلى حد أنه يرغم المخائف على
التسليم والقبول . فلا يترك زاوية من الزوايا الخفية فى الشبهة إلا ويفتحها ، فمن
كانت لديه تلك الشبهة فقد شفى قلبه منها ، ومن لم تكن لديه شبهة لا يتكدر صفو قلبه
وفكره .

وقد أشار إلى هذا المنهج الذى استخدمه فى دعوته فى أكثر من موضع من
رسائله .

يقول فى مقدمة كتاب " إشارات الإعجاز : " ومن المعلوم أن نهج رسائل النور
هو : عدم ترك أثر سيئ مهما كان فى ذهن القارئ ، إذ تجيب أجوبة قاطنة على
الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام من دون أن تذكر الشبهة نفسها - بخلاف سائر
العلماء - فتسد بهذا دخول أية شبهة كانت فى ذهن القارئ . " (٢)

(١) صيقل الإسلام ص ٥٢٤

(٢) ص ١٩ .

ويقول في الكلمة الخامسة والعشرين :

" أما الشبهات فقد أجيب عنها أجوبة قاطعة من دون ذكر الشبهة نفسها وذلك لئلا تتكدر الأذهان كما في الآية الكريمة (والشمس تجرى ...) (والجبال أوتاداً ..) إلا ما ذكرناه من شبهاتهم في المقام الأول من الكلمة العشرين حول عند من الآيات . " (١)

وقال :

" إن قسماً من مصنفات العلماء السابقين وأغلب الكتب القديمة للأولياء الصالحين تبحث في ثمار الإيمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه ، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر يقتلع جذور الإيمان وأسسها ، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة .

أما الآن فإن هناك هجوماً عنيفاً جماعياً منظماً على أركان الإيمان وأسسها ، لا تستطيع أغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط أن تصد التيار الرهيب القوي لهذا الزمان ولا أن تقاومه .

أما رسائل النور ، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تتخذ أسس الإيمان وأركانه ، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود ، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهن ساطعة . حتى حكم كل من ينعم النظر فيها : بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء . " (٢)

وقد وضع بيان الطلبة الجامعيين من طلاب رسائل النور الذي أصدره فيما بعد سنة (١٩٥٠م) ، أن الأستاذ بين أن :

" إيضاح المسائل الباطلة والاهتمام بحسن تصويرها من الأسباب المؤدية إلى تضليل الأذهان الصافية وتلويثها .

وكثيراً ما يدرس المرء الأمور الباطلة قاصداً إثبات بطلانها ؛ وجعل ذلك الإثبات وسيلة لإظهار الحق ، إلا أنه أثناء ذلك تتلون صحيفة فكره وتتصبغ شيئاً

(١) الكلمات ص ٤٢٠ .

(٢) الملاحق ص ١٠٤-١٠٥ .

فشيئاً من غير أن يشعر ، فيتناقص وفاؤه وتجرده وإخلاصه السابق تدريجاً وتتضاءل صلابته الدينية ، وعندما لا يمكنه أن يميز الصواب من الخطأ فيلتبس عليه الأمر والعياذ بالله ... " (١) .

تلك كانت - من وجهة نظري القاصرة - المناهج التي سلكها الأستاذ النورسي في دعوته ، فجعلت منها دعوة وسطية إصلاحية شقت طريقها وسط أمواج القهر والظلم والطغيان والإلحاد إلى القلوب الضامنة والتي فرغت من نور الإيمان ، فأحدثت آثارها الطيبة داخل تركيا وخارجها كما مر في فصل الوسائل .
هذا .. وهناك بعض الانتقادات التي وجهت إلى الأستاذ النورسي من قبل بعض الباحثين تشير إليها هنا قبل أن تغادر دعوته .

انتقادات وجهت إلى الأستاذ :

وجه الأستاذ مصطفى محمد عدة انتقادات إلى الأستاذ سعيد النورسي في دعوته ، لا نسلم له بجميعها وهي كما يلي :

١- ذكر أن جمعية الاتحاد المحمدي التي أسسها النورسي عام (١٩٠٨) كانت رد فعل ما لبث أن انتهى ، وأنها لم تستطع أن تؤثر في اندفاع الأحداث باتجاه البعد عن الإسلام .. وكان على النورسي بما تمتع به بين الناس أن يعلنها دعوة إسلامية تتأدى بالخلافة الإسلامية وإصلاح المجتمع الإسلامي القائم بالفعل . (٢)

والذي حدث من الأستاذ النورسي - كما سبق - هو المشاركة في تأسيس الجمعية ، وليس هو الذي استقل بإنشائها كما يبدو من كلام الأستاذ مصطفى ، باعتبار أن الرجل من منهجه مباركة أي عمل إسلامي والمشاركة فيه ما دام يخدم الإسلام ، والدعوة إليه أيضاً .

وتقدم في فصل الأهداف أنه سعى لإعادة الخلافة الإسلامية مرة ثانية ، ورفض المشاركة في أي ثورة تدعو لخلافها وكلامه صريح في ذلك .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى . ص ١٧٠ .

(٢) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص ١٤٦ ، ومقدمة سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان أديب الدباغ ص ١٠٠ ، ب . دار الوثائق .

وكان من ناحيته محباً للخلافة الإسلامية ولسلاطين آل عثمان منهم السلطان عبد الحميد الثاني ، وإن اختلف معه في بعض وجهات النظر إلا أنه كان يحله ويقدره .

٢- عاب على الأستاذ النورسي تلبينه لدعوة مصطفى كمال بحضوره إلى أنقرة بعد إلغاء الخلافة الإسلامية .. وقبوله العمل رئيساً للوعاظ في شرق الأناضول وعضواً في رئاسة دار الحكمة ، وسكناً نظيفاً يليق بمكانته .

ولم يعجبه تفسير طلبية النور له : بأن هذا الموقف كان يأمل الأستاذ منه أن يخرج من ظلام الحكومة الكمالية نوراً ، وأن يقلب سعيها إلى خدمة الإسلام..^(١)

وهي على كل حال وجهة نظر من الأستاذ سعيد ، حيث لم يلجأ إلى الطريقة السلبية في الدعوة وإنما تحرك لما ظنه خيراً وفي صالح الدعوة ، ولم يجارهم في أعمالهم ، بل كان لهم بالمرصاد ، فلما لم يجد فيهم أملاً ترك لهم هذه الوظائف ، وكانت له مواقف الجريئة ضد مصطفى كمال وحكومته ، بل والحكومات اللاحقة لها كما سبق .

أما سؤاله : " لماذا لم يكن لديه مثل هذا الأمل في خليفة المسلمين الموجود في استنبول ؟ " ^(٢)

فقد مر أنه كان يحله ويقدر له مكانته ، وكان يقوم معه بواجب النصيح لا غير . فهل يلام على ذلك ؟

٣- عاب على النورسي رفضه الاشتراك في ثورة الشيخ " سعيد بيران " ، مستنجباً من ذلك عدم رضاه عن الخلافة وحكومة الخليفة . ^(٣)

والواقع أن الأمر كان على خلاف ما قال الأستاذ مصطفى ، وبيان ذلك مر في عنصر " البدء بسلم الأولويات والتدرج في الدعوة " من هذا الفصل ، فليراجع هناك ..

(١) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص١٤٧ ، ومقدمة سعيد النورسي رجل الإيمان في محفة النكر والطغيان . ص ب، ج.

(٢) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص١٤٧ ، مقدمة سعيد النورسي رجل الإيمان ص ج .

(٣) الإسلامية الحديثة ص١٤٨ .

٤- ذكر بعد الأستاذ النورسي عن السياسة في المرحلة الثانية من حياته ، وأن ذلك نتيجة لفشله - كما يقول - في إدراك حقيقة المواقف السياسية في ذلك الوقت ، فجميع مواقفه السياسيّة كانت في الاتجاه الخاطئ وجلها عبارة عن روود فعل . (١) وقد سبق في عنصر الشمول من هذا الفصل تجلية هذه القضية ، التي انتهت فيها بفصل الله إلى أن الأستاذ النورسي لم يترك السياسة طوال حياته ، ومارسها إلى أن مات ، والذي تركه واستعاذ بالله منه هو السياسة الميكيا فيلية التي فرغت من الدين والخلق .

وأما سوء فهم الأتباع لمرامي أستاذهم ، فذاك أمر آخر ستأتي معالجته إن شاء الله تعالى .

٥- ذكر أن الأستاذ النورسي لم يستطع نتيجة للظروف العصبية والصعبة التي عاشها أن يؤسس حركة إسلامية بالمعنى المعروف وبالرغم من الحياة الفاضلة التي عاشها هذا المجاهد العظيم ، ومن الدراسات القيمة التي توصل لها بملازمته للقرآن الكريم ، ومن الرسائل المهمة التي كانت تصل إلى أنصاره في أنحاء تركيا .. إلا أنه - رحمه الله - لم يضع لأنصاره خطة حركية مرحلية توصله في كل مرحلة إلى نقطة تالية تقربهم من الحكم الإسلامي الذي هو هدف الحركات الإسلامية أساساً .

وأن هذا كان سبباً في الانقسام الذي حدث لجماعته من بعده .. وأن تلامذته لم يتمكنوا من وضع الأساس التنظيمي للجماعة ، ومن ثم سهل اختراقها من قبل العلمانيين . (٢)

والأستاذ مصطفى مصيب في انتقاده هذا .. وعذر الأستاذ الملاحقات والسجن والنفى الذي تعرض له - كما سبق - والذي استمر (٢٨) سنة لم يتمكن معه من وضع مخطط شامل وأضح المعالم محدد المراحل .. وإن كان من منهجه التربوية على النحو الذي سبق بيانه في هذا الفصل .

(١) نفسه ص ٤٨٠ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٠ - ١٥١ .

وبانتهاء هذه الانتقادات التي وجهت إلى دعوة الأستاذ النورسي ينتهي هذا
الفصل لننتقل من الحديث عن دعوة الأستاذ النورسي إلى الحديث عن الأتباع وماذا
حدث للدعوة بعد موته .

دعوة النورسي بعد موته

عرفنا أن الأستاذ سعيد النورسي لقي ربه في الخامس والعشرين من رمضان عام (١٣٧٩هـ) الموافق الثالث والعشرين من مارس (١٩٦٠م) عقب الانقلاب العسكري على "جلال بيار" و "عدنان مندريس" ببضعة أشهر، بعد أن بذل كل ما قدر عليه في سبيل نشر الدعوة في أرجاء تركيا، بل وخارجها، مستعملاً في ذلك وسائل مختلفة، وأساليب قرآنية حكيمة متعددة، ومناهج علمية مدروسة، بغية الوصول إلى أهداف محددة. وقد سبق تفصيل كل ذلك في الفصول الماضية.

هذا ما قام به هو في حياته، فماذا آل إليه الأمر بعد مماته؟

من الأمور البديهية أن تقع اختلافات فرعية بين أفراد الجماعة الواحدة لاسيما بعد موت مؤسسها، مع الالتزام بالإطار العام الذي يحكم سياستها ومبادئها، فتكون هذه الاختلافات الفرعية عبارة عن وجهة نظر يبديها الأفراد لدفع عجلة حركتها إلى الأمام.

غير أن الذي حدث لجماعة "النور" كان أكبر من هذا، فقد ظهرت اختلافات أساسية حول المبادئ بعد موت الأستاذ بمدة أدت إلى تشعبها وانقسامها إلى أكثر من جماعة.

وقد ظهر هذا الاختلاف عام (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) حين ظهر حزب "النظام الوطني" الذي أعلن بقيادة أربكان أنه يسعى لإقامة شرع الله، ويدعو إلى توحيد المسلمين في تركيا ليكونوا صفواً واحداً يساعد على تكوين كيان سياسي موحد. فبادر بعض "جماعة النور" إلى تشجيع هذا الحزب في الانتخابات العامة، دعماً منهم لكيان الحركة الإسلامية في تركيا، حتى تتاح له الفرصة لمواجهة التيار العلماني من ناحية، والوقوف في وجه حزب العدالة من ناحية ثانية، بعد أن تبين لهم أن هذا الحزب لا يختلف في مبادئه ونظراته إلى الدين والحياة عن الحزب الجمهوري المغالي في علمانيته إلا سيراً. ورأت فئة أخرى من الجماعة تشجيع الحزب

الديمقراطي الذي أصبح فيما بعد " حزب العدالة " (١) عقب إعدام مندريس ، ثم حزب " الطريق المستقيم "

وحجتهم في ذلك أن الأستاذ النورسي قد شجع هذا الحزب ، ووقف بجانبه في الانتخابات التي جرت عام (١٩٥٧م) (٢) . ورأوا أن في هذا ما يؤيد نظرة الأستاذ إلى الحزب الديمقراطي كانت مطلقة وليست مقيدة بزمن .

- ورأت فئة ثالثة من الجماعة أن ما صنعه النورسي من تصويته لصالح الحزب الديمقراطي وتشجيعه له تغيير في منهجه الذي أعلنه ، وهو بعده عن السياسة واستعادته بالله منها ومن الشيطان ، ومن ثم خطووه ، وابتعدوا عن السياسة . (٣) ومن هنا نشأ الاختلاف بين أفراد " جماعة النور " ، وأدى ذلك إلى انقسامها إلى عدة جماعات :

١- جماعة (بني آسيا) : وهي تدعى أنها لا تتدخل في السياسة ، ويكتفى أعضاؤها بالإدلاء بأصواتهم في الانتخابات - وتشجع هذه الجماعة حزب العدالة " الطريق المستقيم " حالياً ، وتبرر مواقفها المنافية للدين ، وتظهر زعيمه بمظهر مجدد الإسلام ، وتدافع عنه دون حياء أو خجل ، مع ما عرف عن كثير من أعضاء الحزب من انتمائهم للماسونية . (٤)

بينما لم تؤيد " حزب السلامة " الذي صار حزب الرفاه فيما بعد ، واتهمته بالانحراف ، وتبنت في جريدة " بني آسيا " حملة قذرة لثيمة ضد هذا الحزب في مقالات عديدة . (٥)

(١) انظر الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري . ص ٤٢٦-٤٢٧ : الحركة الاسلامية الحديثة في تركيا ص ١٨٧-١٨٨ . ، الأمة في عام . تركيا التطورات السياسية والتحديات الاقتصادية ص ١٨٧ .

(٢) انظر بديع الزمان سعيد النورسي . الصالحى ص ١٢٣-١٢٤

(٣) انظر الأوضاع الثقافية في تركيا . ص ٤٢٧ ، حركات إسلامية في القرن الرابع عشر الهجري " جماعة النور - تركيا " مقالة للأستاذ فتحي يكن . الأمة . ص ٧٩ . جمادى الآخرة . ١٤٠١هـ ابريل ١٩٨١ م .

(٤) انظر الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٤٢٧-٤٢٨ .

(٥) انظر الحركة الاسلامية الحديثة في تركيا ص ٢١٩ .

ولأعضاء هذه الجماعة الطيبين السذج تعليل عجيب في عدم مساندة حزب الرفاه ، كثيراً ما يتكرر في بعض البلدان الإسلامية في ظروف معينة .
يقول الأستاذ مصطفى محمد :

"ولاستطيع أن أنسى حواراً أجريته مع أحد الإخوة النوريين المتقنين - وكان أستاذاً في الجامعة - وقد سألته : لماذا أعطوا أصواتهم في الانتخابات لحزب العدالة - وهو حزب علماني - ومنعوها عن حزب " الرفاه " - وهو حزب إسلامي - ؟ . فأجاب :

إن أربكان شخصية نظيفة ، وينبغي أن يبتعد عن السياسة ، فلا يليق بالدعاة المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة ، فهي رجس من عمل الشيطان . " (١)
وهذا منطلق عجيب وغريب من مثل هذا الأستاذ الجامعي ؟ . فإذا كانت السياسة كما ذكر فلماذا يقرها لحزب " الطريق المستقيم " ويشجعه عليها ؟ . ثم أليس قد مارسها الأستاذ النورسي - بطريقته - كما تقدم في مرحلته الجديدة ؟ !
وخطأ فكري آخر وقعت فيه " بنى آسيا " هو اعتبار الأستاذ النورسي بديع عصره ، ووحيد دهره ، وأنه لم ينشأ في هذا العصر أحد مثله ، وأن العلاج الذي يصفه لأمراض العالم الإسلامي يعد علاجاً فعالاً لا مثيل له ، وترتب على ذلك هجرهم لجميع المؤلفات والكتب الأخرى التي ليمت من عمل النور (٢) . مع أن الأستاذ - رحمه الله - حذر من التعلق بشخصه أشد التحذير كما مضى في فصل الوسائل .

٢- جماعة الخدمة : وقد انفصلت عن (بنى آسيا) ، وتقوم بأنشطة جيدة لصالح الإسلام ، ولها مراكز في كثير من المدن التركية وبعض المدن الأوربية. (٣)

٣- جماعة فتح الله كولن : نسبة إلى زعيمها الأستاذ فتح الله . الذي اختار منطقة " أزمير " لممارسة نشاطه ، ثم انتشرت فعاليات جماعته في أنحاء تركيا .
وقد ركز دعوته على شباب الجامعات والعاملين في الدوائر الحكومية .

(١) الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا . ص ١٤٩ .

(٢) انظر الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٤٣٢-٤٣٣ .

(٣) انظر الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٤٢٩ .

وقد افتتحت هذه الجماعة المدارس الإعدادية والثانوية الاهلية فى أنحاء مختلفة من تركيا ، وجهزت تلك المدارس بأحدث الأجهزة والمختبرات العلمية التى يحتاج إليها الطلاب فى تلك المراحل ، مع توفير الجو العلمى اللازم للطلاب ، إضافة إلى الجو الإسلامى ، ولتتميم الفائدة وفرت لهم مساكن خاصة بهم فى أماكن هذه المدارس .

وكان من ثمرتها البانعة تفوق طلابها على أقرانهم فى المدارس الحكومية والمدارس الخاصة الشهيرة الأخرى ، وحصولهم على أعلى الدرجات التى تؤهلهم فى التخصص فى أرقى الأقسام العلمية بالجامعات التركية . والجدير بالذكر أن هذه الجماعة كانت سباقة إلى افتتاح المدارس الإعدادية والثانوية فى الجمهوريات الإسلامية بعد انفصالها عن الاتحاد السوفيتى .

كما أنها سبقت غيرها فى افتتاح قناة تليفزيون خاصة فى تركيا لملئ الفراغ فى هذا الصدد ، وبخاصة فى نقل الأخبار ، وعرض الأقسام العلمية ، والمحافظة على الآداب والعادات الإسلامية ، وذلك بعد انتشار كثير من قنوات التليفزيون التخريبى المتحرر من الحياء . (١)

٤- جماعة مدرسة الزهراء : نسبة إلى اسم الجامعة التى كان الأستاذ رحمه الله يريد افتتاحها فى مدينة " وان " لنشر الدعوة الإسلامية فى قارة آسيا .

وكان من أنشطتها السعى فى إنشاء الجامعة المذكورة ، ونشر الدعوة الإسلامية مع الالتزام بمبادئ الجماعة التى وضعها الأستاذ النورسى دون تبديل أو تحريف ، والالتزام بعلم وخبرات العلماء .

ومن أنشطتها إيواء مئات طلاب الجامعات وتيسير سبل التعليم لهم ، وإصدار المجلات ، والكتب الإسلامية القيمة .

وتعد هذه الجامعات أقرب جماعات النور إلى أراء الأستاذ .
ولهذا فإن من منهجها الانفتاح على الآخرين ، والاستفادة من التجارب السابقة فى حقل الدعوة الإسلامية ، على عكس معظم جماعات النور الأخرى التى جمعت على رسائل الأستاذ فقط بحجة أن فيها كل شئ ، وعدم معايشة الواقع الممثلئ

(١) انظر الأوضاع الثقافية فى تركيا ص ٢٨ .

بالأحداث^(١) . فتجاوزهم الزمن أو يكاد . وانعزالهم عن المجتمع واستعلاؤهم على غيرهم ، واعتقادهم بأن ماعندهم الصواب ومالدى غيرهم الخطأ ، مما جعل حركتهم سلبية ، بعيدة عن مراكز التأثير في المجتمع^(٢)

وللقارئ أن يسأل : ما الأسباب التي أدت إلى هذه الانقسات البينة في جماعة " النور " بعد موت الأستاذ ، بحيث أدت إلى ابتعاد الكثير منهم عن المنهج الصواب لدعوته والأهداف الواضحة التي رتب إليها ؟ .

الحق أن هناك أسباباً عديدة أدت إلى ما آل إليه أمر الجماعة بعد رحيل الأستاذ إلى عالم الآخرة ما أشار إليها بعض الباحثين ، منها :

١- انفقاد الجماعة بعد وفاة الأستاذ - رحمه الله - قائداً يستطيع الإمساك بزمام الأمور ، ويقف سداً أمام الانحرافات .

٢- ظهور جوانب النقص الكامنة في نفوس عدد من القادة بعد وفاة منشي الجماعة

٣- للتدخلات الخارجية .

٤- الانتماءات السياسية .^(٣)

لهذه الأسباب ولغيرها من الأسباب الأخرى ابتعد كثير من الأتباع عن المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله ، مما أدى إلى الانقسام الآنف الذكر .

هذا ومن الإنصاف القول بأن قسماً كبيراً من شباب جماعة النور طاهر نظيف ، لا ينقصه الإخلاص للعمل للإسلام - ولهم جهود مشكورة في إنشاء المدارس الإسلامية في أنحاء المجتمع التركي ، وبيوت الطلاب ، وإصدار المجلات الكثيرة ، وطبع كتب الأستاذ كي ينتفع المسلمون بها ، والتحلى بالأخلاق الفاضلة في مجتمع عج بالفساد الأخلاقي الفاضح ، والالتزام بأداء الفرائض والنوافل .

كما أن لهم فضل سبق في العمل للإسلام في تركيا في وقت كان العمل للإسلام في هذا البلد من أشد الجرائم التي يعاقب عليها القانون .. فالآلاف منهم سجنوا وعذبوا في الله .. ووقفوا وقفة الحق أمام القضاء الجائر الظالم .

(١) أنظر الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٤٢٨-٤٢٩ .

(٢) أنظر الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ص ١٥٣ .

(٣) الأوضاع الثقافية في تركيا ص ٤٢٩-٤٣٠ .

ولا ينقصهم إلا التنظيم السليم والقيادة الواعية التي تضم يدها إلى يد العاملين للإسلام في تركيا ونيزد الخلافات الجانبية اتباعاً لمنهج الأستاذ في الدعوة كما سبق ، فقد كان يبارك كل عمل يخدم الإسلام ، ويتعاون مع الدعاة والعلماء .
وعليهم أن يأخذوا الإسلام بالشمولية التي أخذها الأستاذ ، فذاك من الفهم الصحيح للدين .

الخاتمة

وبعد .. فهذه دعوة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي التجديدية الإصلاحية .. رأيناها ظهرت فى ظروف عصبية مريها العالم الاسلامى بعامة وتركيا المسلمة بخاصة .. فقد عاصر الأستاذ نهاية الدولة العثمانية وشاهد بنفسه ما آلت إليه الأوضاع فيها من تألب اليهود والصليبيين والملحدين على الدولة ، ثم إستطاع الخلافة وتمكن الكماليين من البلاد والعباد والحيولة بينهم وبين شريعة ربهم ، وترك الفرص للأيدى العابثة والأقلام المسمومة تفعل ما نشاء بعقول الناس .. غير أن النورسي - رحمه الله - لم يقف أمام هذا الإلحاد الماكر والطغيان المتجبر مكتوف اليدين ، فكانت له مواقف الجهادية الرائعة التى زلزلت عروش الطغاة وهزت تركيا من أقصاها إلى أقصاها غير مبال بما تعرض له من محن السجون والمعتقلات والنفى والتشهير به وبدعوته .

وكانت دعوته - كما مر على صفحات هذا الكتاب - دعوة كريمة جامعة

إذ كانت أهدافه فيها محددة واضحة شملت :

١- الفرد ٢- والبيت ٣- والمجتمع .

٤- كما هدف إلى إظهار الحقائق وذلك :

(أ) بإزالة اللبس لدى طلابه .

(ب) وتفنيد شبه الملحدين ، وسبه غير المسلمين .

(ج) وكشف الحقيقة لدى المسؤولين إعداراً لهم .

(د) وأظهر حقيقة دعوته فى دفاعاته أمام المحاكم

(هـ) كما أظهرها حول الأفكار السائدة فى تركيا تصحيحاً لمفاهيم الناس .

٥- وهدف الأستاذ من وراء دعوته إلى إعادة الخلافة الإسلامية مرة أخرى بعد

إسقاطها .

٦- وأيضاً دعوة غير المسلمين إلى الإسلام .

وكانت وسائله هى الأخرى متنوعة شملت ما يلى :

١- التوجيه والإرشاد لدى الخاصة والعامة على السواء .

٢- إلقاء الخطب والمحاضرات .

- ٣- المحاورات والمناظرات .
 - ٤- السعى فى إنشاء المدارس والجامعات .
 - ٥- المساهمة فى نشاطات الجمعيات والمحافل العلمية الخادمة للإسلام .
 - ٦- عقد المؤتمرات والندوات .
 - ٧- كتابة المقالات .
 - ٨- الاشتراك فى الجهاد فى سبيل الله تعالى .
 - ٩- الاتصالات الشخصية " الدعوة الفردية " .
 - ١٠- دعوة غير المسلمين للإسلام .
 - ١١- مراسلة غير المسلمين .
- وسلك أسلوباً مؤثراً خاطب به العقل والقلب والوجدان مقتنياً بذلك أسلوب القرآن الكريم ، وهو فى كل ذلك قد تحلى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن .

كما اتبع النورسى منهجاً شمل ما يلى :

- ١- الاعتماد على الكتاب والسنة .
 - ٢- مراعاة العصر فى العرض .
 - ٣- الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى الدعوة .
 - ٤- الشمولية لا الاجتزاء فى الدعوة .
 - ٥- اعتماد جماعية العمل .
 - ٦- عدم التعرض للعلماء والهيئات والجماعات العاملة للإسلام .
 - ٧- اتباع منهج التربية .
 - ٨- الاكتفاء برحض الشبهة دون ذكر الشبهة نفسها .
- تلك كانت دعوة النورسى ، والمأمول من أتبعتة والدعاة إلى الله فى كل مكان السير على هذه الخطى السديدة ، ونبذ الفرقة والخلاف بين العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية حتى لا تتبعثر الجهود وتضيع سدى ، ويجنى العدو وحده ثمرة ذلك .
- وعليهم - انطلاقاً من دعوة الأستاذ - مراعاة الواقع الذى يعيشه العالم اليوم وتطورات الحياة وتغيرها .. فلو قدر الله تعالى أن يعيش النورسى إلى الآن وشاهد ما عليه العالم اليوم .. لاشك أنه كان سيغير من خططه الدعوية ويستجد وسائل أخرى

تناسب العصر ، ويمد يده - كما كان - للعاملين للإسلام ، وينفضها من يد الذين
تكشفت مع الأيام حقيقتهم .

رحم الله الأستاذ النورسى رحمة واسعة وألحقه بموكب الصديقين والشهداء
والصالحين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . د / محمد محمد حسين . مؤسسة الرسالة . بيروت الثامنة . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
٣. أسرار الانقلاب العثماني . مصطفى طوران . ترجمة كمال خوجة . الرابعة . ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٤. أسرار الماسونية . جواد رفعت أتلخان . المؤتمر الإسلامي . بدون .
٥. الإسلام فكرة وحركة وانقلاب . فتحي يكن . مؤسسة الرسالة . بيروت . الحادية عشرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٦. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . دار سوزلر للطباعة والنشر بالقاهرة . الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٧. الإمام سعيد النورسي المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد والإصلاح . د / عبد النور شلبي . كتاب مؤتمر حول تجديد الفكر الإسلامي عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م . دار سوزلر . القاهرة .
٨. الأمة في عام . مركز الدراسات الحضارية بالقاهرة . ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م - ١٩٩٤ م .
٩. الأمة القطرية (مجلة) جمدى الآخرة . ١٤٠١ هـ - أبريل ١٩٨١ م . وعدد ثلث القعدة عام ١٤٠٥ هـ .
١٠. الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري . د / سهيل صابان . رسالة دكتوراة قدمت تقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
١١. الأهرام (الجريدة) بتاريخ ٢٤ سبتمبر (١٩٩٦ م) .
١٢. بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره . إحسان قاسم الصالحي . دار الوفاء بالمنصورة . الثالثة . ١٩٨٨ م .
١٣. بديع الزمان سعيد النورسي . زكي العاشور . دار المحراب للطباعة والنشر . ألماتيا الغربية . بدون .
١٤. تاريخ الدولة العلية العثمانية . محمد فريد بك . دار الجيل . بيروت .
١٥. تجديد الفكر الإسلامي . د / محسن عبد الحميد دار الصحوة للنشر بالقاهرة . ١٩٨٥ م .
١٦. الجزيرة العربية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب د / فرج محمد إبراهيم . إيباك كوبي سنتر . المنصورة . الأولى . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

١٧. الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج . دار الفكر . بيروت . بدون .
١٨. حاضر العالم الإسلامي . شكيب أرسلان . دار ان فكر . بيروت . الرابعة . ١٣٩٤هـ - ١٩٧٣م .
١٩. حاضر العالم الاسلامى وقضاياها المعاصرة . د / جميل عبد الله محمد المصرى .
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . الثانية . ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م .
٢٠. الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا . مصطفى محمد . ألمانيا الغربية . الأولى .
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
٢١. حقائق الإيمان . بديع الزمان سعيد النورسى . ترجمة إحسان قاسم انصالحى . سوزلر .
استانبول . ١٩٨٦م .
٢٢. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . د / عبد العزيز الشافى . الأتجلو
المصرية . ١٩٨٤م .
٢٣. الدولة العثمانية والدعوة الإسلامية . د / فرج محمد إبراهيم . إيالك كويسى سنتر
بالمصورة . الأولى . ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
٢٤. رائد الحركة الإسلامية فى تركيا المجاهد المجتهد الشيخ سعيد النورسى . أحمد بهجت .
المختار الإسلامى بالقاهرة .
٢٥. الرجل الصنم . ضابط تركى . ترجمة عبد الله عبد الرحمن . مؤسسة الرسالة .
بيروت . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٦. الرحيل إلى استانبول . د/ عماد الدين خليل ، كتاب بديع الزمان سعيد النورسى لى
مؤتمر حول تجديد الفكر الإسلامى . سوزلر بالناشرة . ١٩٩٢م .
٢٧. رحلتى من الكنيسة إلى المسجد لماذا .. مارى ويلدز . ترجمة . د/ طارق عيد انتادى .
مكتبة النور بالقاهرة . ١٩٩٢م .
٢٨. سعيد النورسى رجل الإيمان فى محنة الفقر والطغيان أديب إبراهيم الدباغ . دار
نوثائق الكويت . الأولى . ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٩. سنن أبى داود . الامام سليمان بن الأشعث السجستاني . دار الجيل . بيروت .
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٣٠. سنن النسائى . الإمام النسائى . دار الفكر . بيروت . بدون .
٣١. السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والزعية ابن تيمية . دار الشعب بالقاهرة .
بدون .
٣٢. الشعاعات . بديع الزمان سعيد النورسى . ترجمة إحسان قاسم انصالحى . سوزلر
بالقاهرة . الثانية . ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣٣. صحيح البخارى . الامام محمد بن اسماعيل البخارى . دار الشعب بالقاهرة . بدون .

٣٤. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية أبو الحسن الندوي . دار القلم بالكويت ودار الأنصار بالقاهرة . الثالثة . ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٣٥. صيقل الإسلام . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٩٩٥م .
٣٦. عدة الدعاية . د/ فرج محمد الوصيف . اياك كويى سنتر بالمنصورة . الأولى . ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٧. عون المعبود شرح سنن أبى داود . محمد شمس الحق العظيم أبى . دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٣٨. الفكر الدنيوى والأدبى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسي . د/ سمير رجب محمد . سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٩. الفتح (مجلة) جمادى الأولى . ١٣٤٦هـ .
٤٠. الكلمات . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٤١. اللغات . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر باستنبول . الأولى . ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٤٢. المثنوى العربى النورى . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر بالقاهرة . الأولى . ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٤٣. مجموع الفتاوى . ابن تيمية . الرئاسة العامة لشؤون الحرمين بالسعودية . بدون .
٤٤. مدارس الجواسيس . تحدث سونج . تركيا
٤٥. مذكرات السلطان عبد الحميد . ترجمة . د/ محمد حرب عبد الحميد . دار الأنصار بالقاهرة . ١٩٧٨م .
٤٦. مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة . محمد الغزالي . دار الكتب الحديثة بالقاهرة . الرابعة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
٤٧. المكتوبات . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٤٨. الملاحق . بديع الزمان سعيد النورسي . ترجمة إحسان قاسم الصالحى . سوزلر بالقاهرة . الثانية . ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٤٩. النورسى متكلم العصر . د/ محسن عبد الحميد . سوزلر بالقاهرة . ١٩٩٥م .
٥٠. النور (مجلة) أغسطس وسبتمبر ١٩٩٤م .
- عدد : ١٠٠ - ١٠١ . أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٩٤م

عدد : ١٠٢ - ١٠٣ . ديسمبر ويناير عام ١٩٩٤م - ١٩٩٥م . عدد : ١٠٤ -
١٠٥ .

- ٥١-.. وحى القلم . مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي . بيروت . بدون .
٥٢-.. هوامش على فكر بديع الزمان سعيد النورسي وسيرته الذاتية . أديب إبراهيم النيباغ
. كتاب بديع الزمان سعيد النورسي حول مؤتمر تجديد الفكر الاسلامي عام ١٩٩٢م .
سوزلر بانقاهرة .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٦	الباب الأول : لمحة عن عصر النورسى
٨	مدخل
٩	الفصل الأول : الأحوال السلسلسة
٩	المرحلة الأولى : الخلافة العثمانية
١٤	جمعية الاتحاد والترقى
١٥	حادثة ١٩٠٩م وإسقاط السلطان عبد الحميد
٢١	إلغاء الخلافة
٢٤	المرحلة الثانية : الجمهورية التركية العلمانية
٣٥	الفصل الثاني : الأحوال الخلقية والاجتماعية
٣٦	المظاهر الخلقية والاجتماعية التى تفشت فى تركيا
٣٦	١- صدور القوانين المؤيدة للأفكار والنظريات الهدامة
٣٨	٢- الترويج لانتشار الفسق والفجور على نطاق واسع
٣٨	٣- انتشار العادات الغربية بين الناس
٤٢	الفصل الثالث : الأحوال الفكرية
٤٢	١- المبتعثون إلى أوروبا :
٤٢	٢- المؤسسة العلمية لوضع الخطط والمناهج "تجمنى داتش" :
٤٣	٣- إنشاء كتب الترجمة :
٤٣	٤- الغربيون المستقدمون للعمل فى المدارس والكليات العسكرية :
٤٣	٥- موظفوا السفارات العثمانية المبتعثون إلى أوروبا :
٤٤	٦- الجمعيات الفرنسية فى كل من فرنسا واستنبول :
٤٤	٧- المؤسسات التعليمية الأجنبية فى استنبول :
٤٧	مظاهر عداء الكماليين للإسلام :
٥٥	الباب الثاني : حياة النورسى .
٥٨	الفصل الأول : سعيد القديم " المرحلة الأولى "
٥٨	مولده

الصفحة	الموضوع
٥٨	نشأته العلمية :
٦١	محاولته إنشاء جامعة إسلامية :
٦٣	أول محاكمة له .
٦٦	لقاء مع مفتى الديار المصرية .
٦٦	تأسيس جمعية الاتحاد المحمدي .
٦٧	محاكمة
٦٩	إلى الشام
٦٩	تجديد السعي لإنشاء جامعة الزهراء
٦٩	النورسي قائدا ومفتيا
٧٢	تعيينه في دار الحكمة المصرية
٧٣	تحديه للانجليز ومؤامراتهم ضد الاسلام
٧٤	عضويته في جمعية اهلال الأخصر
٧٤	موقفه من مصطفى كمال والبرلمان
٧٦	ذهابه إلى "وان"
٧٧	موقفه من ثورة الشيخ سعيد بيران
٨٠	الفصل الثاني : سعيد الجديد " المرحلة الثانية "
٨٠	إلى بارلا
٨١	إلى أسكى شهر
٨٣	النفى إلى قسظموني
٨٤	إلى أنقرة
٨٥	سجن دنيزلي " المدرسة اليوسفية الثانية "
٨٥	النفى إلى أمير داغ
٨٦	في محكمة أفيون " المدرسة اليوسفية الثالثة "
٨٨	الفصل الثالث : سعيد الثالث "المرحلة الثالثة"
٨٩	في ظل الحزب الديمقراطي
٩١	محكمة الجزاء الكبرى في استبول
٩٢	محكمة صامسون
٩٤	مع بطريك الروم

الصفحة	الموضوع
٩٤	العودة إلى بارلا
٩٥	تبرئة رسائل النور
٩٦	مشاركته في الانتخابات
٩٦	أيامه الأخيرة
١٠٩	الباب الثالث : دعوة النورسى
١٠٣	مدخل
١٠٤	الفصل الأول : أهداف دعوة النورسى
١٠٤	مدخل
١٠٦	أولا : إصلاح الفرد "النفس" .
١١٦	ثانيا : إصلاح البيت .
١٢٤	ثالثا : إصلاح المجتمع .
١٣٩	رابعا : إظهار الحقائق .
١٣٩	١- إزالة اللبس لدى طلاب النور .
١٣٩	٢- تنفيذ شبه العلمانيين الملحدين
١٤٠	٣- تنفيذ شبه غير المسلمين .
١٤٤	٤- كشف الحقيقة حول دعوته لدى المسئولين .
١٤٦	٥- كشف الحقيقة حول دعوته في الدفاعات .
١٤٩	٦- إظهار الحقائق حول الأفكار السائدة في تركيا .
١٥٥	خامسا : السعى لاعادة الخلافة العثمانية .
١٥٦	سادسا : دعوة غير المسلمين للإسلام .
١٥٩	الفصل الثانى : الوسائل فى دعوة النورسى .
١٦٢	أولا : التوجيه والارشاد .
١٦٢	١- الخاصة
١٦٢	(أ) طلاب النور
١٦٦	(ب) العلماء
١٦٧	(ج) المسئولون من رجال الحكم والادارة
١٧٣	٢- عامة الناس
١٧٤	٣- المناسبات

الصفحة	الموضوع
١٧٧	ثانيا : إلقاء الخطب
١٧٩	ثالثا : المناظرات والمناظرات
١٨٢	رابعا : السعى فى إنشاء المدارس والجامعات
١٨٦	خامسا : المساهمة فى نشاطات الجمعيات والمحافل العلمية الخادمة للإسلام
١٨٨	سادسا : عقد المؤتمرات والندوات .
١٨٩	سابعا : كتابة المقالات .
١٩١	ثامنا : الاشتراك فى الجهاد فى سبيل الله .
١٩٣	تاسعا : الاتصال الشخصى " الدعوة الفردية "
١٩٦	عاشرا : دعوة غير المسلمين للإسلام .
١٩٧	حادى عشر : مراسلة غير المسلمين .
١٩٩	الفصل الثالث : الأساليب فى دعوة النورسى
١٩٩	مكانة الأسلوب عند النورسى
٢٠٣	تأثير القرآن الكريم فى أسلوب النورسى .
٢١٦	أسلوب ضرب الأمثال
٢١٩	أسلوب مخاطبة المعارضين .
٢٢١	أسلوب الاستثناء .
٢٢٤	الفصل الرابع : منهج النورسى فى دعوته .
٢٢٦	أولا : الاعتماد على الكتاب والسنة .
٢٢٩	ثانيا : مراعاة العصر فى العرض .
٢٦١	ثالثا : الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى الدعوة .
٢٦٩	رابعا : التدرج والبدء بسلم الأولويات فى الدعوة .
٢٧٥	خامسا : الشمول لا الاجتزاء فى الدعوة .
٣٠١	سادسا : اعتماد جماعية العمل .
٣٠٨	سابعا : عدم التعرض للعلماء وهيئات والجماعات العاملة بالإسلام .
٣٢٠	ثامنا : التربية .
٣٢٤	تاسعا : الاكتفاء بدحض الشبهة دون ذكر الشبهة نفسها .
٣٢٦	انتقادات وجهت إلى الأستاذ .
	الفصل الخامس : دعوة النورسى بعد هوته .

٣٣٦

الخاتمة .

٣٣٩

المراجع .

٣٤٣

الفهارس .

مطابع اياك كوبى سنتر
٣٢ ش الجلاء أمام الجامعه
المنصورة - ت / ٣٥٢٤٥٩

دار نور الاسلام بالمنصورة للنشر والتوزيع

رقم الايداع بدار الكتب : ٥١٩٦ / ١٩٩٦ م

I.S.B.N. 977 - 19 - 0755 - 7